سعود المولى

من فتح إلى حماس:
البدايات الإخوانية والنهايات الوطنية

دار سائر المشرق

سعود المولى

من فتح إلى حماس:
البدايات الإخوانية والنهايات الوطنية



سائر المشرق

الطبعة الأولى
٢٠١٨

جديدة المتن – سنتر بايلايان – الطابق السابع
رقم الهاتف والفاكس 01-900624
info@entire-east.com
www.entire-east.com

ISBN: 978-614-451-084-1

تنفيذ الكتاب: creative couple
www.creativecouple.com

نُحاول في هذا الكتاب دراسة العلاقة بين حركتَي فتح وحماس من خلال العودة إلى سياقها التاريخي الأول، أي إلى البدايات «الإسلامية الإخوانية»، لحركة فتح الوطنية الفلسطينية، ومنها إلى النهايات «الوطنية الفلسطينية» لحركة حماس «الإسلامية الإخوانية»، وهي نهايات كانت فتح قد وصلت إليها باكرًا، أي منذ انشقاق طلائعها الأولى عن جماعة الإخوان المسلمين في غزة (سنوات1957-1959)، وتوصلت إليها حماس مؤخّرًا بعد مخاض طويل عبّرت عنه وثيقتها السياسية الشاملة (ميثاقها الجديد) التي أذاعتها في الأول من أيار/مايو 2017.

إن العودة إلى السياقات التاريخية المؤسِّسة وإلى صراعاتها وقضاياها، تسمح لنا بطرح الإشكالية الأساسية التي حكمت العلاقة بين حركتي فتح وحماس. فحركة فتح كانت من جهة أولى نتاج تطور فلسطيني في أزمة الإخوان المسلمين في منتصف القرن العشرين: أي أزمة المواءمة بين الطرح الإسلامي العام الذي تبلور خلال مرحلة سقوط الخلافة العثمانية وبروز تيار النهضة الإسلامية (منذ حركة الثنائي جمال الدين الأفغاني-محمد عبده ومجلة العروة الوثقى، ثم مرحلة السيد رشيد رضا ومحب الدين الخطيب ومجلتَي المنار والفتح)، وبين ضرورات مرحلة التحرّر الوطني الديموقراطي الناجمة عن تشكّل الدول الوطنية الحديثة على أنقاض دولة الخلافة الإسلامية، ثم صعود التيار القومي العربي العلماني والانقلابات العسكرية التي حملت فكره وسيادته (في مصر وسورية بالتحديد). وهي من جهة ثانية شكّلت قطيعة تاريخية مع تراث الإخوان المسلمين التقليدي وتنظيمهم الديني حين هدفت فتح إلى بلورة الشخصية الوطنية الفلسطينية المستقلّة، وأسست لحركة تحرّر وطني حقيقية في ظروف الحرب الباردة ونهوض الحركة القومية العربية وترسّخ الدول الوطنية وانتشار العلمانية.

بالمقابل حملت حركة حماس إشكالية أخرى تمثّلت في أنها عملت منذ نشأتها على إحياء المشاركة الإسلامية الأولى في القضية الفلسطينية (من عز الدين القسام والحاج محمد أمين الحسيني إلى كتائب الإخوان في حرب فلسطين 1948) بعد غياب استمر لعقود، فأعادت تشكيل الصيغة الإسلامية الأولى لحركة فتح، ولكن على أسس أكثر دينية ترتبط برأينا بالجو العام لما سمي الصحوة الإسلامية في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين، وهو جو عام يختلف تمامًا عن أجواء نشأة الإخوان في عام 1928 أو نشأة حركة فتح في منتصف الخمسينات؛ فاستعادت حماس العنوان الإسلامي وحاولت جعله شعارًا لمرحلة اتسمت بصعود الإسلام

السياسي من إيران إلى أفغانستان إلى مصر. غير أنها بالمقابل وصلت بعد تاريخ من الصراع المسلّح والسياسي مع الكيان الإسرائيلي إلى تبنّي موقف فتح في النضال الوطني المرحلي وفي توسيع الرؤية الوطنية الفلسطينية، الحركية والجبهوية. وهذا ما نجده بوضوح في ميثاقها الجديد (وثيقة المبادئ والسياسات العامة لحركة المقاومة الإسلامية «حماس»).

يسمح لنا تتبّع مسار هذه الإشكاليات، أن نطل على الحاضر من خلال حوادث وماجريات الماضي القريب لكي نستخلص الدروس والعِبرَ ما يساعد في إطلاق دينامية جديدة تعيد موضعة القضية الفلسطينية والحركة الوطنية الفلسطينية في سياق الكفاح الوطني التحرري الاستقلالي.

الفصل الأول: الإخوان وفلسطين

1- البدايات

بحسب رواية إسلامية معاصرة، فإن مؤسس جماعة الإخوان المسلمين الأستاذ حسن البنّا (1906-1949) كتب في مطلع العشرينات، حين كان طالبًا في كلية دار العلوم (1923-1927)، مقالة لمجلة الفتح[1] «ينبّه فيها إلى الخطر الصهيوني على فلسطين، ويدعو إلى تحرّر المسلمين من غفلتهم ويطالبهم بالعمل لوقف الجهود اليهودية المتصاعدة للسيطرة على فلسطين»[2]. وقد تحققتُ من مجلة الفتح فوجدتُ أن الشهيد البنّا نشر فيها أولى مقالاته في العدد رقم 100 الصادر في 25 من ذي الحجة 1346هـ 14 من يونيو/حزيران 1928، (أي بعد تخرّجه من كلية دار العلوم وتأسيسه لجماعة الإخوان)، وكانت تحت عنوان: «الدعوة إلى الله».

ثم كانت مقالته الثانية في صدر الصفحة الأولى من العدد رقم 103 بعنوان: «الدعوة إلى الله.. على من تجب؟»؛ ثم استكمل الموضوع في مقالته الثالثة المنشورة في العدد رقم 111 في 15 من ربيع الأول 1347هـ، 30 أغسطس/آب 1928 تحت عنوان «الدعوة إلى الله: سبيل الدعوة». كما وجدتُ له مقالة بعنوان «السبيل إلى الإصلاح في الشرق»، العدد 145 (15 من ذي القعدة 1347هـ، 25 من إبريل/نيسان 1929)؛ وأخرى بعنوان «هل نسير في مدارسنا وراء الغرب؟!» العدد 165 (16 ربيع الثاني 1348هـ ، 19 سبتمبر/أيلول 1929)؛ ومقالة بعنوان «واجب العالم الإسلامي أمام ما

1 علمًا أن المجلة صدرت في 10 حزيران/يونيو 1926 في القاهرة، وتوقفت في عام 1948. فتكون مقالته قد صدرت بالتالي خلال عام 1926-1927 الدراسي في كلية العلوم وهو ما سنتحقق من كونه غير صحيح.

2 أنظر خصوصًا مقالة «فلسطين حتى النكبة: بروز دور الإخوان المسلمين»، المنشورة من دون توقيع اسم الكاتب، في مجلة الإسلام وفلسطين، العدد الثاني، السنة الثانية، تشرين الأول/أكتوبر 1989، ص9. والمجلة كانت تصدر من قبرص وتحمل فكر وتوجهات حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين وأمينها العام الدكتور فتحي الشقاقي الذي كان هو كاتب المقالة المذكورة (بحسب معرفتي واطّلاعي). ولا يذكر الكاتب مصدره أو أي معلومة عن مقالة حسن البنّا. كما أن الرواية نفسها أكدها موقع إخوان ويكي (ويكيبيديا الإخوان المسلمون) ضمن سلسلة مقالات وردت في ملف خاص حمل عنوان «الإمام البنّا والقضية الفلسطينية»، ودائمًا من دون ذكر أي مصدر أو مرجع لهذا التأكيد.

http://www.ikhwanwiki.com/index.php?title=%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%85%D8%A7%D9%85_%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%86%D8%A7_%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B6%D9%8A%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%A9_(%D9%85%D9%84%D9%81_%D8%AE%D8%A7%D8%B5)

نزل به: ما هي الوسائل العملية الممكنة؟» العدد 255 (2 من صفر 1350هـ، 18 من يونيو/حزيران 1931). ونلاحظ من مجمل هذه المقالات أن اهتمامات الأستاذ حسن البنّا قد تركّزت على أسس الإصلاح وتربية المجتمع من خلال المنظور الإسلامي.

من جهة أخرى، نشرت مجلة الفتح في عددها الصادر في 27 ربيع الثاني 1347هـ، 11 تشرين الأول/أكتوبر 1928 مقالة افتتاحية بعنوان: «البرنامج الصهيوني»، جاء فيها أن «اليهود يبغضون الأديان الأخرى بغضًا تقليديًا، وقد نشأ عندهم عن هذا البغض طمع في أن يكيدوا لجميع البشر، وأن يتوصّلوا من هذا الكيد إلى العمل على اضمحلال كلّ كيان غير إسرائيلي، والاستعاضة عنه بحكم دولي صهيوني. وهذه هي خطتهم التي ساروا عليها. ولا يزالون سائرين عليها للوصول إلى هذه النتيجة". ولا يوجد ما يدعو إلى التأكيد بأن صاحب المقالة هو حسن البنّا.

وفي افتتاحية العدد الصادر يوم 24 ربيع الأول 1348هـ، 29 آب/أغسطس 1929 من مجلة الفتح مقالة بعنوان «الدماء المراقة في القدس» جاء فيها: «لقد كان اليهود مشردين في الأرض، منفيين عن بيت المقدس، يوم تسلّم المسلمون أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين من أيدي الرومانيين، فكان من حرمة الإسلام لهذه البقاع المقدسة أن زادها حرمة وتقديسًا وتوارث أهله أمانتها أربعة عشر قرنًا، مبيحين لليهود ما كان الرومانيون حرموه عليهم من تملّك واستقرار، وحسب اليهود من المسلمين هذه اليد لهم في التاريخ، فأما أن يحدّثوا أنفسهم باغتصاب حق المسلمين شهد لهم به أربعة عشر قرنًا فهذا ما يستحيل أن يكون!»

وفي العدد المذكور من مجلة الفتح وصف المحرّر العدوان الصهيوني الأول في القدس يوم الجمعة 16 آب/أغسطس 1929 الذي يوافق ذكرى المولد النبوي الشريف، حين «خرج ألوف المسلمين من المسجد الأقصى بعد فريضة الجمعة في تظاهرة تعاهدوا فيها في مكان البراق على الدفاع عن المقدّسات الإسلامية إلى الموت. ويوم السبت 17 آب/أغسطس هجم اليهود على المسلمين، ونشبت بين الفريقين معركة كانت بداية المعارك، تواطأ فيها رجال الانتداب البريطاني واليهود ضد المسلمين وحاول فرسان من الأردن إنجاد المسلمين فمنعتهم القوات الإنكليزية»... وختم الكاتب وصف المعركة بقوله: «وهذه هي نتائج وعد بلفور المشؤوم».

وقد أورد الدكتور إبراهيم البيومي غانم[3] والدكتور نهاد الشيخ خليل[4] أن مقالة البنّا الأولى عن فلسطين نشرتها مجلة الفتح في عدد يناير 1929، وأن البنّا نشر مقالة

3 إبراهيم البيومي غانم: الفكر السياسي للإمام حسن البنّا؛ دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى 1992، ص 487.

4 نهاد محمد سعدي الشيخ خليل: حركة الإخوان المسلمين في قطاع غزة 1967-1987. مركز التأريخ والتوثيق الفلسطيني، غزة فلسطين، الطبعة الأولى 2011، ص2-3.

أخرى فيها سنة 1931 أكد فيها على المضامين نفسها «موضحًا أن الصهاينة يسعون إلى طرد الفلسطينيين إلى الصحراء والاستحواذ على ممتلكاتهم بالقوة»[5].

والحال أنه لا يوجد «عدد يناير»، لأن الفتح كانت صارت أسبوعية وبالتالي ثمة خمسة أعداد لشهر يناير. وقد وجدت مقالة حسن البنّا في عدد 24 يناير/كانون الثاني 1929 وهي افتتاحية العدد بعنوان «الجهاد في سبيل الله ومنزلته من الإسلام» والمقالة دعوية إرشادية عن منزلة الجهاد معززة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وسيرة المسلمين الأوائل وفيها جملة واحدة صغيرة (لعلها هي مقصد الباحثَين إبراهيم بيومي غانم ونهاد الشيخ خليل) تقول ما نصه: «أكتب هذه الكلمة والإسلام يحيط به الأعداء وتدبر له المكائد وترسم لغزوه وانتزاعه من نفوس أهله الخطط ويحاصره الطامعون من جهة والمارقون من جهة أخرى والمخدوعون من جهة ثالثة، وحتى اليهود تتنبه مطامعهم أمام غفلة المسلمين، وهكذا يطمع في عزة الإسلام من لا يدفع عن نفسه»[6].

ولم أجد المقالة المذكورة التي يتحدث الكاتبان أنها نُشرت في أعداد الفتح لسنة 1931، إنما يبدو أن المقصود كان رسالة الإمام البنّا إلى الحاج محمد أمين الحسيني أو إلى المؤتمر الإسلامي العام المنعقد في القدس. فبحسب كتاب منشور على موقع الإخوان الرسمي فإن «الإمام البنّا بدأ اهتمامه بالقضية منذ عام1931م عندما أرسل برسالةٍ إلى مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني يُثني على جهوده ومواقفه العظيمة تُجاه القضية الفلسطينية، كما حثّ أعضاء المؤتمر الإسلامي الأول على العمل بجد لقضية فلسطين»[7].

5 بيومي غانم، مرجع سابق، ص 488. والنص نفسه نقلتُه هنا حرفيًا عن كتاب نهاد الشيخ خليل، مرجع سابق، ص 3، حيث لا يذكر بيومي أو خليل عدد المجلة أو تاريخ النشر. أما موقع ويكيبيديا الإخوان المسلمين (إخوان ويكي) فيؤرّخ لبداية اهتمام البنّا بالقضية الفلسطينية برسالته إلى المؤتمر الإسلامي العام المنعقد في القدس سنة 1931. أنظر: الملف الخاص بعنوان «الإمام البنّا والقضية الفلسطينية». مرجع سابق.

6 الفتح العدد رقم 132 بتاريخ الخميس 13 شعبان 1347هـ، الموافق 24 يناير1929، ص3.

7 عبده مصطفى دسوقي: «الإخوان ونصرة فلسطين.. البداية». على موقع إخوان أونلاين.

http//:www.ikhwanonline.com/print.aspx?ArtID&43060=SecID373=

كما نجد المعلومات نفسها في مقالة «حسن البنّا والقضية الفلسطينية» على موقع إخوان ويكي-ويكيبيديا الإخوان المسلمين

http://www.ikhwanwiki.com/index.php?title=%D8%AD%D8%B3%D986%_%D8%A7%D984%%D8%A8%D986%%D8%A7_%D988%%D8%A7%D984%%D982%%D8%B6%D98%A%D8%A9_%D8%A7%D984%%D981%%D984%%D8%B3%D8%B7%D98%A%D986%%D98%A%D8%A9

وبحسب مصادر إخوانية أخرى[8]، فقد بعث حسن البنّا في عام 1931 برسالة مطوّلة إلى المؤتمر الإسلامي العام المنعقد في القدس في الفترة من 7-17 كانون الأول/ديسمبر 1931[9]، تضمّنت حلولاً ومقترحات عملية لقضية فلسطين وكان من أبرزها: مسألة شراء الأرض في فلسطين: «فحبذا لو وفّق المؤتمر إلى إيجاد نواة لصندوق إسلامي مالي، أو شركة لشراء أرض فلسطين المستغنى عنها، وتنظيم رأس المال وطريق جمع الاكتتابات وسهوم هذه الشركة... والجمعية تكتتب مبدئيًا في هذه الفكرة بخمسة جنيهات مصرية ترسلها إذا قرر المؤتمر ذلك على أن تتوالى بعدها الاكتتابات، ولا يضحك حضراتكم هذا التبرّع الضئيل فالجمعية تقدّر الفكرة، وتعلم أنها تحتاج إلى الآلاف من الجنيهات، ولكنها جرأت على ذلك إظهارًا لشدة الرغبة في إبراز الفكرة من حيز القول إلى حيز العمل».

رد سماحة مفتي فلسطين على الإخوان برسالة في 1932/1/24 قال فيها:

> بسم الله الرحمن الرحيم. حضرات السادة الكرام أعضاء جمعية الإخوان المسلمين بالإسماعيلية المحترمين. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد... فقد تلي بيانكم في مكتب المؤتمر الإسلامي العام فكان موضع التقدير والاعتبار، وستهتم اللجنة التنفيذية بما جاء فيه كلّ الاهتمام. وبهذه المناسبة فإنا نشكر لكم ما تبذلون من جهود لإعلاء كلمة الإسلام، ونأمل أن يكون منكم ومن فروع جمعيتكم الموقرة في الديار المصرية أكبر مساعد على تنفيذ مقررات المؤتمر ومشروعاته الطيبة. في الختام نرجو الله أن يوفقنا وإياكم لخير الإسلام والمسلمين»[10].

من جهة أخرى، يبدو أن الحاج محمد أمين الحسيني (1895-1974) قال في رثائه لحسن البنّا بعد استشهاده إنه عرفه للمرة الأولى من كتاب أرسله البنّا إليه سنة

8 موقع الإخوان المسلمين الإلكتروني: مقالة بعنوان «الإخوان المسلمون وقضية فلسطين: ملحمة تاريخية». وهذه المقالة هي مرجع أساسي لكلّ ما يكتبه الإخوان عن تلك المرحلة (1928-1948). وقد صدرت المقالة لاحقًا في كراس صغير عن مركز الإعلام العربي، لا مكان نشر، سلسلة فلسطين، مواقف وآراء،1، (2004). وبعد العام 2011 عمل «مركز التأريخ والتوثيق الفلسطيني» في غزة على نشر سلسلة من الوثائق والشهادات التي تتحدث عن دور الإخوان المسلمين وخصوصًا دور الأستاذ البنّا في فلسطين.

9 يرد في عدد من الوثائق الإخوانية ذكر نص الرسالة على أنها من البنّا إلى الحاج أمين الحسيني بمناسبة انعقاد المؤتمر الإسلامي الأول. أنظر: جمعه أمين عبد العزيز، أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين، 5 أجزاء، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 2003، الجزء الثالث، ص 395-400. ويرد في مصادر أخرى أن الرسالة كانت إلى المؤتمر نفسه. ولعلّها كانت موجهة إلى المفتي بوصفه رئيس المؤتمر.

10 الإخوان المسلمون وقضية فلسطين: ملحمة تاريخية، مرجع سابق.

1927[11]. ويعتبر بعض الإخوان أن هذا دليل على تاريخ بداية اهتمام حسن البنّا بفلسطين[12].

يرد في كتابات لاحقة للبنا تأكيده أن «فلسطين وطنٌ لكلّ مسلم باعتبارها من أرض الإسلام، وباعتبارها مهد الأنبياء، وباعتبارها مقرّ المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله»[13]... وأن «قضية فلسطين هي قضية كلّ مسلم»... إذ «تحتلّ فلسطين من نفوسنا موضعًا روحيًا قدسيًا فوق المعنى الوطني المجرّد، إذ تهبّ علينا منها نسمات بيت المقدس المباركة، وبركات النبيين والصديقين، ومهد السيد المسيح عليه السلام، وفي كلّ ذلك ما ينعش النفوس ويغذّي الأرواح»[14]. وفلسطين في فهم

11 أنور الجندي: «حسن البنّا الداعية الإمام والمجدّد الشهيد 1906-1949»، ضمن سلسلة أعلام الدعاة المعاصرين(1)، بيروت، دار القلم، ط1، 1978، ص346. وقد أورد الجندي كلمة الحسيني في رثاء البنّا كاملة. ولعل كتاب البنّا هذا إلى المفتي كان هو المقالة المقصودة في دراسة الشقاقي السالفة الذكر. وقد ذكرت جريدة الإخوان (اليومية) هذا الكتاب. أنظر: جريدة الإخوان، العدد719، السنة الثالثة،5 سبتمبر 1948، ص 10-11.

12 جمعه أمين عبد العزيز، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص 394.

13 حسن البنّا، مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنّا، ط 4؛ بيروت: المؤسسة الإسلامية للطباعة والنشر، 2004، ص 150.

14 جريدة الإخوان المسلمين، 1947/10/25، نقلاً عن عبد الفتاح العويسي، تصوّر الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية. القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، لات.، ص 28. وهذا الكتاب مصدر مهم كونه اشتغل على مقالات جرائد ومجلات «الإخوان المسلمين» و«النذير»...إلخ.

ظهر العدد الأول من (جريدة الإخوان المسلمين) الأسبوعية في 22 من صفر 1352هـ، الموافق 15 من يونيو 1933، وحملت على صدر صفحتها الأولى المعلومات التالية: رئيس التحرير طنطاوي جوهري، مدير الجريدة محب الدين الخطيب، محرر القسم الديني حسن البنّا. ظلّت الجريدة تصدر باسم الإخوان حتى العدد 68 من السنة الخامسة في 12 من رمضان 1357هـ، الموافق 4 من نوفمبر 1938، إلا أنها لم تعد تعبرّ عن وجهة نظر الإخوان فعليًا ابتداء من العدد 34 من السنة الخامسة الصادر في 24 من ذي الحجة 1356هـ، الموافق 25 من فبراير 1938؛ حيث بَعُدَ بها رئيس تحريرها الأستاذ محمد الشافعي المحامي عن وجهة الإخوان.

كان الإمام الشهيد يكتب في المجلة نوعين من المقالات: النوع الأول هو ما كان يكتبه في القسم الديني من المجلة، وكان أهم أقسامها. أما النوع الثاني من مقالات الإمام: فكان في موضوعات عامة سياسية، واجتماعية، وأخلاقية، بحسب المناسبات والأحداث التي تمر بها المملكة المصرية أو العالم الإسلامي في ذلك الوقت، بالإضافة إلى أنه كان يكتب غالبًا افتتاحية المجلة، وعادة ما كان يخصصها لتوجيه الإخوان في الموضوعات الدعوية، والتي منها «إلى أي شيء ندعو الناس» و«دعوتنا»... إلى غير ذلك من الموضوعات التي جمعت في كتاب عرف عند الإخوان بـ«رسائل الإمام الشهيد». وبعد توقّف دام سنتين تقريبًا لصحف الإخوان المسلمين سمحت حكومة الوفد لهم بإصدار مجلتهم مرة ثانية بعد تنازل الإمام البنّا عن الترشيح في الانتخابات البرلمانية عام 1942، وصدر العدد الأول من مجلة (الإخوان المسلمين) نصف الشهرية في 17 من شعبان 1361هـ، الموافق 29 من أغسطس 1942، ثم أصبحت المجلة أسبوعية من العدد الخامس والستين في السنة الثالثة في 1 من رمضان 1364هـ، الموافق 9 من أغسطس 1945. ثم صودرت، بعد صدور العدد 224 للسنة السابعة في 3 من صفر 1368هـ، الموافق 4 من ديسمبر 1948، عندما صدر قرار حلّ جماعة الإخوان المسلمين، ومصادرة جميع ممتلكاتها في عهد وزارة النقراشي.

عَرّفت المجلة نفسها بأنها مجلة إسلامية اجتماعية يصدرها المركز العام للإخوان المسلمين، ثم غيرّت المجلة شعارها بعد ذلك بداية من العدد الثاني والستين ليكون شعارها الجديد «دعوة الحق والقوة والحرية». وكتب الإمام البنّا فيها أكثر من مائة مقال في مختلف القضايا الشرعية والفكرية والاجتماعية والسياسية والدعوية، تحت عنوان: «من أهداف الدعوة» بينّ فيها رؤية الإخوان في الإصلاح في جميع المجالات. وصدر العدد الأول من جريدة (الإخوان

الإخوان «أرض وقفٍ إسلامي على جميع أجيال المسلمين في ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم إلى يوم القيامة، لا يجوز لأحد كائنًا من كان أن يفرّط أو يتنازل ولو عن جزء صغير جدًا منها ولذلك فهي ليست ملكًا للفلسطينيين أو العرب فحسب، بل هي ملك للمسلمين جميعًا... فعلى المسلمين في كلّ مكان أن يساهموا عمليًا في تقديم المال والدم للدفاع عنها»[15]... وفلسطين «قطعة من الجسد الإسلامي العام، ولبنة قيّمة من بنيان الكيان الإسلامي»[16]... «ليست قضية وطن جغرافي بعينه، وإنما هي قضية الإسلام الذي تدينون به، فما فلسطين إلا قطعة مصابة من الجسد الإسلامي العام، ولبنة مزعزعة من لبنات بنيانه، فكلّ قطعة لا تتألّم لألم فلسطين ليست من هذا الجسد، وكل لبنة لا تختلّ لاختلال فلسطين ليست من هذا البنيان»[17]... «وما الشعب الفلسطيني إلا أخٌ لنا، فمن قعد عن فلسطين فقد قعد عن الله ورسوله، وظاهر على الإسلام، ومن أعانها وبذل لها وأمدّها فقد انتصر لله ورسوله ودافع عن الإسلام»[18].

المسلمون) اليومية في 3 من جمادى الآخرة 1365هـ، الموافق 5 من مايو 1946، وكان مدير إدارة المجلة الأستاذ أحمد السكري، ثم تولى الأستاذ عبد الحليم الوشاحي مديرًا لإدارة الجريدة بعد فصل الأستاذ أحمد السكري من الجماعة. أوضح الإمام البنّا في العدد الأول السياسة التي ستسير عليها كجريدة إسلامية لكلّ المسلمين، بل والمنبر العام للهيئات الإسلامية والجماعات الإصلاحية جميعها، وأن الرسالة الأولى لها هي قول الحق والجهر به بلا رهبة أو تردد، فضلاً عن دعوة الأمة إلى الرجوع إلى آداب الإسلام وتعاليمه. صودرت الجريدة قبيل حل الجماعة في 7 من صفر 1368هـ، 8 من ديسمبر 1948، وكان آخر عدد صدر عنها في 2 صفر 1368هـ 3 ديسمبر 1948، وصدر عن هذه الجريدة خلال هذه الفترة 794 عددًا. كتب الأستاذ البنّا فيها ما يزيد على 370 مقالاً في كلِّ القضايا، سواء في الجانب الشرعي في الباب الأسبوعي بعنوان: «حديث الجمعة»، أو في الجوانب السياسية والاجتماعية، إضافة إلى سلسلة مقالات بعنوان: «نحن» ليبين دعوة الإخوان المسلمين ورؤيتهم في إصلاح المجتمع.

يتوجّب هنا الإشارة إلى أن الباحثين كما وسائل إعلام الإخوان المسلمين نفسه يخلطون في التسمية بين جريدة ومجلة «الإخوان المسلمين» الأسبوعية، والتي صدرت في أعوام 1933-1938 ثم أعوام 1942-1948 وبين جريدة «الإخوان المسلمون» اليومية التي صدرت في أعوام 1946-1948.

15 جريدة الإخوان المسلمين، 1947/10/25، نقلاً عن عبد الفتاح العويسي، مرجع سابق، ص 29.

16 جريدة الإخوان المسلمين، 1937/11/5، نقلاً عن عبد الفتاح العويسي، مرجع سابق، ص 21.

17 مجلة النذير، 1937/3/25، نقلاً عن عبد الفتاح العويسي، مرجع سابق، ص 5.

والنذير هي المجلة التي أصدرها الإخوان المسلمون لتعبر عنهم فكرًا وحركة وفهمًا بعد فقد جريدة (الإخوان المسلمين) الأسبوعية، وقد صدر العدد الأول في 30 من ربيع الأول 1357هـ الموافق 30 من مايو 1938م. وقد عرّفت المجلة نفسها بأنها سياسية إسلامية أسبوعية تصدر عن مبادئ الإخوان المسلمين، وظلت كذلك حتى حاد بها رئيس التحرير محمود أبو زيد عن مسار الإخوان ونهجهم، وانشق مع آخرين فيما عرف بجماعة «شباب سيدنا محمد». وكان آخر عدد للنذير صدر معبرًا عن الإخوان في 28 من ذي القعدة 1358هـ، الموافق 8 من كانون الثاني/يناير 1940. كتب الإمام البنّا بها ما يزيد عن ثمانين مقالاً حظي الجانبان السياسي والاجتماعي بنصيب وافر فيها، مع توضيح الجانب الشرعي.

18 جريدة الإخوان المسلمين، 1936/6/16، نقلاً عن عبد الفتاح العويسي، مرجع سابق، ص 21.

والحقيقة أن حسن البنّا كان مثله مثل كلّ أبناء جيله من مسلمين عاديين كما من وطنيين وقوميين وشيوعيين يتفاعل بشكل عادي ومفهوم مع الموضوع الفلسطيني الذي لم يكن قد تبلورت بعد كلّ أبعاده.

يكتب حسن البنّا في مذكراته[19] خبر تأسيس جمعية عربية في أميركا: «نشرت جريدة الضياء بتاريخ 22 من المحرم 1350 (9 حزيران، يونيو 1931) ما يأتي: تألّفت في الولايات المتحدة جمعية غايتها بث فكرة وحدة العرب والمطالبة باستقلالهم... وكان من أعمالها هذا القَسَم الذي يحلف به كلّ عربي وهو كالتالي: بإسم العرب نحيا وبإسم العرب نموت. أقسم بإلهي وبشرفي وبتربة أجدادي أن أعمل للوحدة العربية وأسعى لاستقلال العرب بكلّ وسيلة وطريقة. إني لا أعترف مطلقًا بالتقسيم الذي أجراه الأحلاف في البلاد العربية ولا بأي انتداب أو وعد مثل وعد بلفور، ولا بأي حلّ لا يتفق مع أماني العرب، بل إني أعتبر كلّ البلاد العربية جسمًا واحدًا لا يتجزأ وأعترف أن وجود العناصر الغريبة والمهاجرين الأجانب في البلاد العربية هو غير طبيعي وجائر واغتصاب لحقوقي وحقوق أمتي وسلب لحريتي وحرية بلادي، وإني أتعهّد بأن أطهّر البلاد من كلّ استعمار أو احتلال أو انتداب أجنبي وأن أهدم كلّ عقبة في سبيل الغاية العامة وألا أجعل أية غاية شخصية أو إقليمية تقف في سبيل الوحدة العربية... والله شهيد... والتوقيع فرسان الوحدة العربية». ثم يعلّق البنّا على الخبر بعبارة واحدة: «كما قرروا يوم 17 حزيران/يونيو بدء العمل بهذا الميثاق لأنه يوم إعدام السلطة الإنكليزية لشهداء فلسطين».[20] الخبر كما ينقله البنّا لا صلة له بما سبقه أو بما يليه... فما العبرة؟ خصوصًا وأن الخبر يؤسّس لتيار أو حزب قومي عربي بوضوح وليس إسلاميًا البتة، أم أن البنّا كان يتّبع التسلسل الزمني للأحداث في مذكرات الدعوة والداعية؟ يبدو ذلك... إذ هو يعود بعد ذلك في مذكراته إلى ذكر فلسطين في أحداث العام 1936 وهو العام الذي أدى فيه البنّا فريضة الحج (سافر على باخرة من السويس يوم غرة ذي الحجة 1354، 24 شباط/ فبراير 1936)... «وفي هذه الأثناء تحرّكت قضية فلسطين وثار الشعب الفلسطيني الباسل على التصرفات البريطانية التي تمالئ اليهود في كلّ شيء وتحرم العرب من كلّ شيء. وكانت الهيئات السياسية والأحزاب في مصر منصرفة كلّ الانصراف عن مناصرة فلسطين مناصرة جدية بحكم النعرة الوطنية الخاصة التي لم تكن

19 حسن البنّا: «مذكرات الدعوة والداعية»، لا مكان ولا تاريخ نشر، والأرجح أنه عن دار الشهاب في بيروت سنة 1966، ص 135.

20 وهو يقصد الإشارة إلى الشهداء الثلاثة محمد جمجوم وفؤاد حجازي وعطا الزير الذين أعدمهم البريطانيون في سجن عكا يوم الثلاثاء 17 حزيران/يونيو 1930 في أعقاب ثورة حائط البراق، عام 1929، والتي شملت عددًا كبيرًا من المدن والقرى الفلسطينية، وفي مقدمتها القدس، يافا، حيفا، وصفد، وقامت سلطات الاستعمار البريطانية بإصدار أحكام الإعدام بحق 26 مناضلاً فلسطينيًا شاركوا في الثورة، ثم استبدلت بالسجن المؤبّد لـ 23 منهم، ونفّذت حكم الإعدام بالأبطال الثلاثة في ما عرف باسم «الثلاثاء الأسود».

قد تطورت إلى ذلك الشعور الدفّاق بحق العروبة ورابطة الإسلام»[21]... وقد شكّل الإخوان لجان دعم لثوار فلسطين (وللإضراب العام الكبير الذي استمر لعدة أشهر) ونظّموا المهرجانات والتظاهرات والبعثات الصيفية للطلاب إلى الريف لشرح قضية فلسطين، وجمع التبرّعات المالية[22].

في نيسان/إبريل عام 1936، أعلن الشعب العربي الفلسطيني إضرابه العام التاريخي ونشبت الثورة الفلسطينية الكبرى في أعقابه، وأجمعت كلمة الشعب على إنشاء منظّمة سياسية موحّدة تمثّله وتنطق باسمه وتتولى زعامة الحركة السياسية، فتشكّلت «اللجنة العربية العليا لفلسطين» برئاسة الحاج محمد أمين الحسيني، مفتي فلسطين الأكبر[23]. وقد كان لتأسيس اللجنة العربية العليا ورئاسة المفتي لها أثر كبير في مصر وبين الإخوان تحديدًا الذين كانوا على صلة بالمفتي منذ سنة على الأقل. وكان البنّا أرسل في 6 آب/أغسطس 1935 اثنين من قادة الجماعة هما شقيقه عبد الرحمن (الساعاتي) ومحمد أسعد الحكيم، بمعية الزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي، في مهمة لفلسطين وسورية ولبنان «لبَث الدعوة» و«رسالة الإخوان» و«تقوية الروابط مع مسلمي الشام»[24]... فالتقى المبعوثان بالمفتي الحسيني الذي «استقبلهما ببالغ الحفاوة والعطف، وزوّدهما بخطابات كريمة لرؤساء الهيئات والجمعيات في البلدان التي سيزورونها»[25]. وبحسب رواية فتحي الشقاقي، فقد «تطورت العلاقة بين الإمام البنّا والمفتي بعد الزيارة واستمرت الرسائل بينهما حتى وفاة الإمام البنّا. كما أن الإخوان بشكل عام احتفظوا بمكانة عالية للمفتي حتى أن اسمه كان أحد الأسماء التي تردّدت لانتخابه خليفة للبنا كمرشد عام للإخوان مطلع الخمسينات»[26]. وفي يوم السبت 25 صفر 1355هـ، 17 أيار/مايو 1936، انعقد اجتماع كبير بدعوة من البنّا في مركز الجماعة انتهى إلى تشكيل «اللجنة المركزية

---

21 البنّا: مذكرات الدعوة، مرجع سابق، ص 211.

22 يُلاحظ خصوصًا دور مجلة الإخوان المسلمين ومجلة الفتح في تلك الأيام 1936-1938.

23 استمرت من 1936 حتى اندلاع الحرب 1939 وحلت محلها بعد الحرب الهيئة العربية العليا وذلك بقرار من مؤتمر الجامعة العربية المنعقد في بلودان في 12 حزيران / يونيو 1946.

24 مذكرات الدعوة، مرجع سابق، ص202. على الرغم من ورود خبر هذا الوفد الرسمي في مذكرات البنّا نفسه إلا أن بعض كتاب الإخوان المسلمين ينقلونه عن مرجع أجنبي ويجعلون تاريخ الزيارة بناء على هذا المرجع في 3 آب وليس 6 منه. انظر: الشيخ خليل، مرجع سابق، ص 4، ناقلاً المعلومة عن كتاب لهشام أحمد (من الخلاص الديني إلى التغيير السياسي: بروز حركة حماس في المجتمع الفلسطيني) صدر عام 1994 بالإنكليزية عن الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون السياسية في القدس.

25 مذكرات الدعوة... المرجع نفسه ومن المهم هنا الإشارة إلى كيف أن الإخوان كانوا يتحركون يومها ضمن أجواء وطنية وعربية وإسلامية عامة عبر قيادات تشبه المفتي الحسيني والزعيم التونسي الثعالبي وغيرهما.

26 مجلة الإسلام وفلسطين، مرجع سابق، ص 9.

العامة لمساعدة فلسطين» أذاعت بيانات إلى الشعب ورسائل إلى المسؤولين ونظّمت حملات التبرّعات كما حملات «القنوت في الصلاة من أجل فلسطين»[27].

يعتبر عدد من الباحثين أن عام 1935 (زيارة الوفد الإخواني) هو التاريخ الصحيح لبداية الاهتمام الإخواني بفلسطين[28]. ويرى آخرون أنه عام 1936. الباحث الإخواني محسن صالح في دراسته «حسن البنّا والقضية الفلسطينية»[29]، لا يذكر أي مساهمة للبنا في الموضوع الفلسطيني قبل العام 1936.

ولكن هناك قبل الزيارة قرارات المؤتمر الثالث للإخوان التي «عكست التزامات صريحة ومباشرة بالقضية الفلسطينية»[30]. ويرى آخرون أن رسالة البنّا «إلى أي شيء ندعو الناس»، التي كتبها البنّا سنة 1934 حملت أول موقف رسمي لجماعة الإخوان من القضية الفلسطينية[31].

لا أظن أن دور الإخوان في القضية الفلسطينية كان سيتجاوز مسألة الدعم السياسي والمالي والمعنوي إلى ما هو أبعد لولا وقوع «المعاهدة المشؤومة» (المعاهدة المصرية البريطانية التي أعلنت في 26 آب/ أغسطس 1936 والتي ألغاها مصطفى النحاس باشا في 18 أكتوبر 1951 قائلاً كلمته الشهيرة: من أجل مصر عقدتها ومن أجل مصر ألغيها)، «وكان الإخوان المسلمون من المعارضين لها المتبرّمين بها»[32]. وهكذا نلحظ تأسيس الجوالة (1936) ثم الكتائب (1937) «مع بداية اهتمام الإخوان بفلسطين وبدء نشاطهم فيها، وهي القضية التي شكّلت مع الاحتلال البريطاني الركيزة الأساسية لطموح الجماعة لممارسة النشاط السياسي المؤثّر اجتماعيًا»[33].

---

27 محمد عبد القادر أبو فارس: شهداء فلسطين، دار الفرقان، إربد، 1990، ص323.

28 خالد الحروب: حماس الفكر والممارسة السياسية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت لبنان، 1996، ص 12. وأيضًا، عبد الله أبو عزة: مع الإخوان المسلمين في البلاد العربية. دار القلم، الكويت، 1986، ص 87.

29 أصل هذه الدراسة (التي نشرها مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت)، بحث منشور في كتاب: بحوث مؤتمر مئوية الإمام البنّا: المشروع الإصلاحي للإمام حسن البنّا، تساؤلات لقرن جديد (القاهرة: مركز الإعلام العربي، 2007)، ص 274-292.

30 زكريا عثامنة: الحركة الوطنية الفلسطينية في قطاع غزة تحت الإدارة المصرية 1948-1967، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس 1999، ص 110.

31 محمد أبو الروس: الإخوان المسلمون في قطاع غزة 1948-1987، رسالة دكتوراه، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة 2007، ص 10. وأيضًا ربعي المدهون: الحركة الإسلامية في فلسطين 1948-1987. مجلة شؤون فلسطينية. عدد 187، تشرين الأول/ أكتوبر 1988. ص 12.

32 البنّا: مذكرات الدعوة، مرجع سابق، ص222.

33 ريتشارد ميتشل: الإخوان المسلمون، ترجمة عبد السلام رضوان، دفاتر التاريخ العربي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1977، ص 68-69.

غير أن الإخوان يقولون إنهم شاركوا في ثورة فلسطين 1936 «وحين قامت القلاقل في فلسطين أخذوا يمدّون المجاهدين بما يقع في أيديهم من مال وسلاح، حتى كانت ثورة 1936 حين نجح عدد من شبابهم في التسلل إليها والاشتراك مع الثوار في جهادهم وخاصة في مناطق الشمال حيث عملوا مع المجاهد العربي الكبير الشيخ عز الدين القسّام»[34]. وعلى الرغم من أن بعض المراجع الإخوانية تذكر «إرسال عدد من المقاتلين للمشاركة في الثورة»[35] فقد بحثتُ كثيرًا في وثائق البنّا والإخوان فلم أعثر على أي موقف فلسطيني جهادي متميّز (أي فيه دعوة للمشاركة في الجهاد أو العمل المسلح) ما بين العامين 1936 و1947. والإخوان كانوا كما رأينا على اتصال بالحاج أمين الحسيني الذي كان يدير الصراع السياسي في فلسطين وحوله ثلة من المجاهدين.

عقب اندلاع ثورة 1936، أصدر مكتب الإرشاد (حسن البنّا) بيانًا إلى إخوان مصر وإلى كلّ الشعوب العربية (مسلمين ومسيحيين) يدعوهم فيه للوقوف إلى جانب شعب فلسطين، ويقرّر فيه أشكال الدعم وأساسها كما جاء في البيان: «موالاة الكتابة تذكيرًا بالواجب نحو فلسطين وحثّ التجار الذين يساعدون اليهود على التضامن مع العرب ومقاطعة المعتدين الغاصبين»[36]. وقد قام البنّا على ما يبدو بجهود مع الأقباط للتبرّع لفلسطين واتصل أيضًا باللجنة المصرية لمساعدة الأحباش المنكوبين بالاستعمار الإيطالي لتوجيه اهتمامهم إلى فلسطين[37].

---

34 كامل إسماعيل الشريف: الإخوان المسلمون في حرب فلسطين، القاهرة، ط2، 1951، ص51 (وطبعة دار الزهراء بالقاهرة 1987)، ص 31. الغريب أن بعض المواقع والشخصيات الإخوانية تنسب هذا الكتاب إلى مصطفى السباعي، أنظر: محسن صالح: حسن البنا والقضية الفلسطينية، مرجع سابق، الهامش رقم 87. وكذلك موقع ويكيبيديا الإخوان. والغريب أكثر قول الكاتب إن الإخوان عملوا خلال ثورة 1936 مع الشيخ عز الدين القسام، وهو الذي استشهد قبل ذلك بسنة أي في 20 تشرين الثاني/نوفمبر 1935، في معركة حرش يعبد قرب بلدة جنين.

http//:www.ikhwanwiki.com/index.php?title%=D985%%D8%B5%D8%B7%D981%%D98%A_%D8%A7%D984%%D8%B3%D8%A8%D8%A7%D8%B9%D98%A

على أن الشيخ السباعي له كرّاس صغير من حوالى 42 صفحة عن دور الإخوان في فلسطين، عنوانه: «جهادنا في فلسطين»، أعادت دار الوراق/لندن نشره في العام 2000.

ومن المفيد التذكير هنا بأن عز الدين القسام استشهد في 20 تشرين الثاني/نوفمبر 1935 في أحراش يعبد بجنين أي قبل اندلاع ثورة 1936 بخمسة أشهر... وبالتالي فلم يكن ممكنًا التنسيق بينه وبين الإخوان خلال ثورة 1936! وللأسف فإن أدبيات الإخوان كلّها تتبنّى الرواية نفسها من دون أي تدقيق أو توثيق علمي، خصوصًا لجهة التواريخ. فحركة حماس تقول في ميثاقها، في المادة السابعة: «وحركة المقاومة الإسلامية حلقة من حلقات الجهاد في مواجهة الغزوة الصهيونية تتصل وترتبط بانطلاقة الشهيد عز الدين القسام وإخوانه المجاهدين من الإخوان المسلمين عام 1936».

35 الشيخ خليل، ص 5. البيومي غانم، ص 497. كامل الشريف المرجع السابق، ص 17 وما بعدها.

36 حاتم يوسف أبو زايدة: جهاد الإخوان في فلسطين حتى عام 1970، دراسة منشورة على موقع القسام، أيلول 2009، ص 21-22.

37 جمعه أمين عبد العزيز، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص 409- 411.

أما على المستوى السياسي، فتلفت الانتباه برقية البنّا إلى المؤتمر العربي الذي انعقد في بلودان في 10 أيلول/سبتمبر 1937 لنصرة شعب فلسطين، والتي يُعلن فيها «استعداد جماعة الإخوان المسلمين للدفاع عن فلسطين بدمائهم وأموالهم»[38].

كما ذكر البنّا في رسالة بعثها إلى السفير البريطاني في القاهرة «إن الإخوان سيبذلون أرواحهم وأموالهم في سبيل بقاء كلّ شبر من فلسطين إسلاميًا عربيًا حتى يرث الله الأرض ومن عليها»[39]. وقال في رسالة بعثها إلى رئيس وزراء مصر محمد محمود «إن الإنكليز واليهود لن يفهموا إلا لغة واحدة، وهي لغة الثورة والقوة والدم»[40].

ورأى البنّا أن حلّ قضية فلسطين سيكون بتلازم خطى الوحدة والجهاد[41]. نجد في أدبيات الإخوان التي يعود بعضها إلى سنة 1936 أن العمل لقضية فلسطين لن تقف بركته عند تحقيق الوحدة العربية، بل إنها ستحقّق أيضًا الوحدة الإسلامية[42]. ورأى البنّا أن قضية فلسطين وثورتها كان لهما أثر كبير طيب على بلدان المسلمين، فعندما قامت الثورة الكبرى في فلسطين سنة 1936 أعادت الجهاد إلى الواقع مرة أخرى، وقام الفلسطينيون «يحسنون من جديد صناعة الموت»... وسرى هذا التيار «من نفس الفئة المجاهدة القليلة في جوار الحرم المقدس إلى شباب الإسلام والعرب»... وخاطب البنّا أهل فلسطين «أيها الفلسطينيون، لو لم يكن من نتائج ثورتكم إلا أن كشفتم غشاوات الذلة وحجب الاستسلام عن النفوس الإسلامية، وأرشدتم شعوب الإسلام إلى ما في صناعة الموت من لذة وجمال وروعة وربح، لكنتم الفائزين»[43].

وبحسب البنّا، فإن «قضية فلسطين لم تحل، ليس لأن المسلمين لا يقدرون، بل لأنهم لا يريدون، وهم لا يريدون لأنهم لا يشعرون، وذلك لأنهم مسلمون أدعياء»[44]. وبتعبير آخر، نُشر في جريدة الإخوان سنة 1937 «لا قيام للباطل إلا في غفلة الحق، وإن أشد ما يمكّن لأعدائكم في دياركم قعودكم عن نصرة إخوانكم»[45].

---

38 محسن محمد صالح: التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد 1917-1948، دار الفلاح، الكويت، 1988، ص 436.

39 النذير، 1938/12/26، نقلاً عن عبد الفتاح العويسي، مرجع سابق، ص 6.

40 النذير، 1939/5/31، نقلاً عن عبد الفتاح العويسي، مرجع سابق، ص 7.

41 النذير، 1938/10/18، نقلاً عن عبد الفتاح العويسي، مرجع سابق، ص 38.

42 جريدة الإخوان المسلمين، 1936/9/8؛ والنذير 1939/5/23؛ ومجلة الإخوان المسلمين 1948/5/22، نقلاً عن عبد الفتاح العويسي، مرجع سابق، ص 21.

43 النذير، 1938/7/27، نقلاً عن عبد الفتاح العويسي، مرجع سابق، ص 37-38.

44 النذير، 1938/7/27، نقلاً عن عبد الفتاح العويسي، مرجع سابق، ص 6.

45 جريدة الإخوان المسلمين، 1938/10/18، نقلاً عن عبد الفتاح العويسي، مرجع سابق، ص 6.

وتحدّث الإمام البنّا عن خطورة المشروع الصهيوني على نهضة مصر والعالم العربي والنهضة الإسلامية بشكل عام فكتب يقول: «نريد أن نؤمّن حدودنا الشرقية بحلّ قضية فلسطين حلاً يحقق وجهة النظر العربية أيضًا ويحول دون تغلّب اليهود على مرافق هذه البلاد. إن مصر والعالم العربي والإسلامي كلّه يفتدي فلسطين، فأما مصر فلأنها حدّها الشرقي المتاخم، وأما بلاد العرب فلأن فلسطين قلبها الخافق وواسطة عقدها، ومركز وحدتها، وهي ضنينة بهذه الوحدة أن تتمزّق مهما كانت الظروف، ومهما كلّفها ذلك من تضحيات. وأما العالم الإسلامي، فلأن فلسطين أولى القبلتين وثاني الحرمين ومسرى رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم. وهذه الحقيقة يجب أن تضعها الدول المتحدة نصب عينيها فصداقة المسلمين والعرب في كفة، ومطامع اليهود في فلسطين في الكفة الأخرى. نحن نطالب بهذا لأنه تأمين لحدودنا ومصلحة مباشرة لنا، ونطالب به كذلك لأنه حق أمتَين عربيتَين في الشرق والغرب، هم منا ونحن منهم، ولن يفرّق بيننا شيء»[46].

ثم هناك شهادة حسن البنّا أمام لجنة التحقيق البريطانية-الأميركية[47]، يوم 5 آذار/مارس 1946، وفيها موقف لافت من المسألة اليهودية حيث ميّز الشهيد البنّا بين «معاداة اليهود لمجرد كونهم يهودًا، وبين معاداة اليهود الغزاة المحتلين في فلسطين». وقال البنّا إن اليهود هم «أهل كتاب تجري عليهم الأحكام العامة ولهم حقوقهم المعروفة في الفقه الإسلامي»... في حين أن «اليهود الصهاينة المعتدين تجب محاربتهم لقيامهم باغتصاب فلسطين». وقد أعلن البنّا أمام لجنة التحقيق رفض الظلم الذي تعرّض له اليهود في أوروبا، مؤكدًا عدم جواز تحقيق إنصافهم على حساب ظلم أهل فلسطين والعرب، قائلاً: «لا شك أننا نتألّم لمحنة اليهود تألمًا شديدًا، ولكن ليس معنى هذا أن يُنصَفوا بظلم العرب وأن ترفع عنهم المظالم بهلاك غيرهم والعدوان عليهم»[48].

46 البنّا، الرسائل، ص 263-264. من المهم هنا ملاحظة استخدام البنا التمييز بين مصر و«أمتين عربيتين» واحدة في الشرق وواحدة في الغرب.

47 في 10 كانون الأول/ديسمبر 1945، بعثت حكومة الولايات المتحدة مذكرة للحكومة البريطانية بيّنت فيها موافقتها على تشكيل لجنة التحقيق المشتركة من الحكومتَين اقترحت فيها أن يكون عدد أعضاء اللجنة 12 عضوًا من الطرفين بالتساوي يعملون تحت رئاسة دورية وتتكلّف الحكومتان بدفع نفقات اللجنة. وبدأت اللجنة أعمالها في 4 كانون الثاني/يناير 1946، وقدّمت تقريرها في 20 نيسان/إبريل من العام نفسه.

48 زياد أبو عمرو: أصول الحركات السياسية في قطاع غزة، دار الأسوار، عكا، والقدس، الطبعة الأولى، 1987، ص 27، وقارن مع: محسن صالح: «حسن البنّا وموقفه من القضية الفلسطينية»، مقالة على موقع الجزيرة. نت في 2006/11/3.

لمعلومات تفصيلية عن شهادة حسن البنّا وغيره من القادة المسلمين في مصر أمام لجنة التحقيق البريطانية-الأميركية، انظر:

* Bartley Cavanaugh Crum: Behind the Silken Curtain: A Personal Account of Anglo-American Diplomacy in Palestine and the Middle East. (New York: Simon and Schuster publishers, 1947).

وقد استفاض الإخوان لاحقًا في الكتابة عن دورهم الكبير في نشاطات دعم فلسطين وبالتحديد في المؤتمر العربي من أجل فلسطين. وبحسب روايتهم، بدأ الإخوان حملة مقاطعة المحلات اليهودية المساندة للصهيونية بالقاهرة في19-5-1936، وتم طبع كشوف بأسماء تلك المؤسسات وأسماء أصحابها اليهود مذيّلة بالعبارة الآتية: «إن القرش الذي تدفعه لمحل من هذه المحلات، إنما تضعه في جيب يهود فلسطين ليشتروا به سلاحًا يقتلون به إخوانك المسلمين في فلسطين». وبذلك كانت جماعة الإخوان أول هيئة تنادي بفكرة مقاطعة البضائع الصهيونية في مصر، وقد وجهت نداءً لذلك إلى التجار العرب الذين يتعاملون تجاريًا مع اليهود[49]. وكان لهذه الجهود المبذولة من الإخوان تقدير وإشادة من الجانب الفلسطيني ممثلاً في اللجنة العربية العليا بفلسطين، فأرسل رئيس اللجنة المفتي الحسيني خطابًا يحيّي فيه هذه الجهود المبذولة لنصرة فلسطين جاء فيه: «فقد كتب إلينا عدد من الأصدقاء في القاهرة عن الجهود المشكورة والأعمال المبرورة التي تقومون بها في سبيل هذه البلاد الإسلامية العربية المقدسة (فلسطين) التي تقوم بجهادها في سبيل حريتها واستقلالها لتراث الإسلام والعروبة الخالدة فيها. كما أننا اطّلعنا في الصحف المصرية على كثير من تلك الجهود والأعمال المباركة التي تقومون بها بكلّ حميّة ونشاط، فحق علينا أن نشكركم بما أنتم أهله ونقدر لكم شعوركم الفيّاض وحميّتكم الإسلامية حق تقديرها»[50].

وفي شهر تموز/يوليو 1938، قام الإخوان بتوزيع كتاب «النار والدمار في فلسطين الشهيدة»[51] الذي يكشف فظائع الإنكليز وتآمرهم على مسلمي فلسطين، وصفحات الكتاب كلّها تروي وتصوّر مآسي أهل فلسطين على أيدي الإنكليز. وطُبع الكتاب سرًا بمطبعة الإخوان المسلمين، وقام الإخوان بتوزيعه في فترة وجيزة، وقبض على الإمام حسن البنّا بسبب ذلك، ثم أفرج عنه[52].

* Amikam Nachmani: Great Power Discord in Palestine: The Anglo-American Committee of Inquiry. (London: Frank Cass and Company Limited. 1987).

49 مع الاشارة إلى أن الإخوان حددوا المقاطعة باليهود الداعمين للصهيونية. وهناك ما يؤكد من خلال ما كانت تنشره مجلة الفتح عن حملة المقاطعة أن الإخوان عملوا على تحييد اليهود المصريين المعادين للصهيونية... أنظر أعداد مجلة الفتح خلال عام 1936 حيث تجد إعلانات من تجار يهود مصريين يدعمون ثورة شعب فلسطين. وكان صاحب جريدة الفتح السلفي السوري الأصل محب الدين الخطيب قد كتب مهاجمًا أحد دعاة القومية المصرية الفرعونية، فوصفه بأنه «مدسوس على اليهود وعلى المسلمين» (عنوان المقالة الصادرة في الفتح السنة الخامسة، 19 ربيع الأول 1349، 14 آب 1930، ص 177-179.

50 محسن صالح: حسن البنّا وموقفه من القضية الفلسطينية، مرجع سابق، وأيضًا مجلة الإسلام وفلسطين، مرجع سابق.

51 أعدته اللجنة العربية العليا ويقع في 64 صفحة من القطع المتوسط.

52 محمود عبد الحليم: الإخوان المسلمون: أحداث صنعت التاريخ، الجزء الأول 1928-1948، دار الدعوة، الإسكندرية، 1979، ص 88-90.. وانظر: محسن صالح: «التيار الإسلامي»، مرجع سابق، ص435-436. وكذلك أبو زايدة، مرجع سابق، ص24.

وفي أيلول/سبتمبر 1938، بدأ مشروع قرش فلسطين: قررت اللجنة المركزية لمساعدة فلسطين تنظيم أسبوع خاص بفلسطين ابتداءً من ليلة الإسراء (22 أيلول/سبتمبر) على أن يوزّع فيه قرش فلسطين، ورأوا ضرورة عقد مؤتمر تشترك فيه الهيئات الإسلامية الأخرى في مصر بهدف تنظيم الوسائل العملية لإنقاذ فلسطين من محنتها... وتكوّنت منهم هيئة عرفت بِاسم «جمعية القرش لإعانة منكوبي فلسطين»، و شاركوا في «اللجنة العليا لإعانة منكوبي فلسطين» التي تكوّنت بمبادرة من جمعية الشبان المسلمين. وكانت توجيهات مكتب الإرشاد أن يقوم الإخوان في كلّ أنحاء البلاد بالدعاية القوية لجمع التبرّعات. وبالفعل جرى تشكيل لجان عامة وفرعية لجمع المساعدات المالية؛ كما قامت لأول مرة تظاهرات عامة في جميع أنحاء البلاد في ذكرى وعد بلفور بهتافات موحّدة، وكانت هذه التظاهرات أول تنبيه لأذهان الشعب المصري في القرى والمدن نحو قضية فلسطين. كما أنها كانت أول تظاهرات تقوم في أقاليم مصر عامة بعد تظاهرات 1919[53].

وإثر نجاح المؤتمر العربي الأول من أجل فلسطين في بلودان نشأت فكرة عقد مؤتمر لبرلمانات العالم الإسلامي كلّه لأجل قضية فلسطين، وانعقد المؤتمر بسراي آل لطف الله في القاهرة من 7 إلى 11 تشرين الأول/أكتوبر 1938 وتحدّث فيه الكثير من الزعماء[54]. كما انعقد مؤتمر عربي إسلامي كبير من أجل فلسطين في المركز العام للإخوان بالعتبة في القاهرة، وانتهى بقرارات وتوصيات تطالب حكومات الدول العربية والإسلامية بالتدخل لإنقاذ فلسطين من المؤامرة الإنكليزية اليهودية وذلك برفض عد بلفور وإيقاف الهجرة اليهودية[55]. وقد أدركت بريطانيا خطورة تكرار تلك الاجتماعات البرلمانية والشعبية، ولمنع هذا التجمّع العربي الإسلامي مرة أخرى دعت إلى عقد مؤتمر لبحث قضية فلسطين يعقد في لندن وتمثّل فيه الدول العربية على مستوى الحكومات لا الهيئات النيابية. وفي أعقاب ذلك المؤتمر المعروف بِاسم «مؤتمر المائدة المستديرة» (لندن، شباط/فبراير 1939) أصدرت حكومة بريطانيا ما يسمى بـ «الكتاب الأبيض».

53 ذكرته مقالة «الإخوان وقضية فلسطين»، ولكنني لم أستطع التحقق من هذا الزعم خصوصًا وأن موقع الإخوان (صاحب المقالة) يجعل تاريخ التظاهرة يوم 29 يوليو ووعد بلفور كان في 2 نوفمبر. ولكن حاتم أبو زايدة صحّح هذه المعلومات فذكر أن تظاهرة أولى جرت في شهر يونيو 1938 واصطدمت بالشرطة، وأن تظاهرة كبرى جرت في ذكرى وعد بلفور سنة 1938 شملت جميع أرجاء مصر. أنظر: أبو زايدة، مرجع سابق، ص23.

54 حول الأدوار الإخوانية من 1936 إلى 1939 راجع مجلة الإسلام وفلسطين، مرجع سابق، وكتاب كامل الشريف: مرجع سابق، وانظر موقع الإخوان المسلمين: المقالات عن البنّا والإخوان وقضية فلسطين، مرجع سابق. وكذلك دراسة حاتم أبو زايدة: مرجع سابق..

55 مجلة الإسلام وفلسطين، مرجع سابق، وكتاب كامل الشريف: مرجع سابق، وانظر موقع الإخوان المسلمين: مقالة الإخوان وفلسطين، مرجع سابق. وكذلك دراسة حاتم أبو زايدة: مرجع سابق.

والحال أن كلّ ما سبق يؤكد تمامًا ما قاله البنّا نفسه من اقتصار مهمة الإخوان في تلك المرحلة على تقديم الدعم الأدبي والمعنوي والمالي للجهاد الفلسطيني. وما سوى ذلك، وبحسب كلام البنّا نفسه، «انتهاز الإخوان فرصة استقرار المسألة الخارجية بعض الشيء، فاتجهوا إلى الإصلاح الداخلي في محيطهم وفي محيط الأمة كلّها (المقصود طبعًا الأمة المصرية)، فأخذ مكتب الإرشاد يضع الإرشادات والرسائل التوجيهية القوية مثل «دعوتنا» و«إلى أي شيء ندعو الناس» و«رسالة الشباب» وغيرها، يطالب فيها بالعودة إلى نظام الإسلام، وأورد في نهايتها خمسين مطلبًا عمليًا تطبيقيًا من مطالب الإصلاح الداخلي.»[56] يضاف إلى ذلك رسائل من مكتب الإرشاد بتوقيع البنّا، أهمها تلك الموجهة إلى سفير بريطانيا وإلى رئيس الوزراء المصري وتتعلّق بقضية فلسطين (بمناسبة وعد بلفور: 2 تشرين الثاني/نوفمبر 1937)... وتوجيه تحية من المؤتمر الخامس للإخوان «إلى المفتي الأكبر والمجاهدين الكرام في فلسطين المباركة وأعضاء اللجنة العربية العليا وفضلاء أعضاء الوفود الإسلامية الأمجاد بمؤتمر لندن... إلخ»[57].

وقد تحققتُ من نشاطات البنّا والإخوان خلال فترة الحرب العالمية الثانية فلم أجد أدنى إشارة إلى فلسطين. لا بل إن درسيَ أو حديثَي الثلاثاء والخميس من تشرين الثاني/نوفمبر 1939 وحتى آذار/مارس 1940 (أي حتى صدور الأوامر العسكرية البريطانية ومنع الاجتماعات بسبب الحرب وتوقّف الدروس بالتالي) لم تتضمّن أي درس أو حديث عن فلسطين. ولا يشذ عن ذلك سوى الرسالة الشهيرة والخطيرة التي وجهها البنّا إلى رئيس الحكومة علي ماهر باشا (في 20 شعبان 1358/ 4 تشرين الأول/أكتوبر 1939) والتي تعرض موقف الإخوان من كلّ القضايا عند اندلاع الحرب، وهي تضمّنت نقطة مهمة بخصوص فلسطين تدعو «الحليفة بريطانيا إلى الإفراج عن المعتقلين السياسيين والسماح بعودة المهاجرين والاعتراف لهذا الوطن العربي الباسل الكريم بكامل حقوقه غير منقوصة»[58]، ثم تلاها مؤتمر فلسطين في لندن ورسالة من البنّا إلى علي ماهر باشا تشكره على قرار حكومته «دفع إعانة للأسر الفلسطينية المجاهدة». وتلفت انتباهه إلى أن «المسعى السياسي لحل قضية فلسطين أهم بكثير من هذا المسعى الإنساني على جلاله ورحمته»، وتعرض الرسالة لمطالب أربعة لحل القضية: «إيقاف الهجرة اليهودية» و«العفو الشامل» و«تأمين الاعانات والمساعدات والتعويضات» وأخيرًا، وهنا الأهم: «إعتراف بريطانيا باستقلال فلسطين عربية مسلمة والتعاقد معها تعاقدًا شريفًا على نحو ما حدث في مصر والعراق مثلاً»[59].

56 البنّا: مذكرات الدعوة، مرجع سابق، ص 222-223.

57 المرجع نفسه، ص 242-243.

58 المرجع نفسه، ص 267.

59 المرجع نفسه، ص 268-269.

لن نغوص في تحليل تلك المرحلة، ولكن الواضح أن البنّا كما الإخوان كانوا يناورون سياسيًا على ما تقتضيه السياسة في زمن الحرب الكبرى من جهة، وصعود الشيوعية والقومية من جهة أخرى... إذن خلال الأعوام 1940-1945 توقّف كلّ نشاط إخواني وغير إخواني بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية لتنطلق مرة جديدة حملات الإخوان مع انتهاء الحرب.

غير أن الدكتور توفيق الشاوي، وكان أحد أبرز رجال «قسم الاتّصال بالعالم الإسلامي» الذي أسسه حسن البنّا كذراع خارجي للإخوان، يقول بأن «الحرب العالمية الثانية «كانت فترة نشاط كبير للإخوان بالنسبة إلى قضية فلسطين»... وهو يوضح مغزى هذا الأمر بقوله «وكان أغلب نشاطنا في الحقل السياسي خاصًا بقضية فلسطين، خصوصًا لأن المفتي الحاج أمين الحسيني كانت له علاقة بالإخوان المسلمين عن طريق الهيئات الإسلامية في فلسطين»... غير أنه لا يذكر سوى واقعة سفره للدراسة في باريس عام 1946 كدليل على هذا النشاط السياسي حيث «أفهمه» البنّا «أن قضية فلسطين ستبقى هي مهمتي الأولى حيث إن المفتي الأكبر الحاج أمين معتقل هناك تحت الإقامة الجبرية وهدفنا هو مساعدته ليقوم بدوره في قيادة الجهاد الفلسطيني الذي كان هو محور نشاط الإخوان في تلك الفترة».[60] وقد أشار البنّا إلى نشاط الإخوان في تلك المرحلة قائلاً بأن الإخوان وقفوا على مناصرة فلسطين «كلّ جهودهم ماليًا وأدبيًا من حيث الدعاية والخطابة والنشر وجمع المال».[61] ولكن يبدو أن فترة الحرب كانت مناسبة لبناء التنظيم السريّ الخاص أو الجناح العسكري للإخوان والقيام بتدريبات واستعدادات؛ وهو الأمر الذي فتح باب العلاقة بالضباط المصريين الأحرار من خلال عزيز المصري ومحمود لبيب وأنور السادات كما سنرى لاحقًا. كما يبدو أن فترة الحرب كانت مناسبة للتحرّك خارج مصر وافتتاح فروع للإخوان في البلاد العربية وبالأخص فلسطين وسورية ولبنان، وإقامة علاقات مع حركات التحرّر والاستقلال في المغرب الكبير (تونس والجزائر ومراكش)[62].

60 توفيق محمد الشاوي: مذكرات نصف قرن من العمل الإسلامي 1945-1995، دار الشروق، القاهرة، 1998، ص 15. وكان الحاج أمين الحسيني قد هرب من ألمانيا إلى فرنسا حيث وضعته السلطات تحت الاقامة الجبرية بعد تحرير باريس وسقوط حكومة فيشي.

61 البنّا: مذكرات الدعوة، ص 222، و انظر مقالته في جريدة الإخوان المسلمون الأسبوعية، العدد6، السنة الرابعة، 19 مايو 1936، ص19-20.

62 توفيق الشاوي: أحاديث خاصة مع المرحوم توفيق الشاوي كنت أجريتها معه في القاهرة صحبة الامام محمد مهدي شمس الدين على فترات وخصوصًا في25 و26 و27 شباط/فبراير 1999... وكانت تربطنا به صداقة جميلة ومحاورات أجمل. والدكتور توفيق الشاوي مولود عام 1918 بقرية الغنيمية - دمياط وهو أحد الرعيل الأول لجماعة الإخوان المسلمين ممن رافقوا الإمام حسن البنّا. سافر عام 1945م في بعثة إلى فرنسا لدراسة الدكتوراه في جامعة باريس، وحصل عليها في نهاية عام 1949 ليعود إلى مصر ويعين مدرسًا بكلية الحقوق بجامعة القاهرة. في عام 1954 أبعد عن الجامعة مع عدد كبير من الأساتذة. استدعته الحكومة المغربية للتدريس في كلية الحقوق بجامعة محمد الخامس بالرباط، ثم انتقل منها إلى تدريس الفقه المقارن في جامعة الملك عبد العزيز بجدة..أعيد لكلية

ويذكر الإخوان المسلمون عادة أن أهم أسباب إنشاء الإمام البنّا للنظام الخاص داخل جماعة الإخوان هو مشاركة أعضائه في الجهاد لتحرير فلسطين من الانتداب البريطاني، وإفشال المخطط اليهودي الصهيوني في بناء الوطن القومي على أرضها. وقد كان أعضاء هذا النظام يُختارون من خلاصة الإخوان، ويُنظّمون في عضويته في سريّة تامة، وتتم تربيتهم على معاني الجهاد، ويخضعون لتدريبات بدنية شاقة والتدريب على السلاح[63].

2- الإخوان وفلسطين بعد الحرب الكبرى

في ذكرى وعد بلفور 2-11- 1945، أقام الإخوان تظاهرات ضخمة في جميع أنحاء مصر تأييدًا لقضية فلسطين، كان عنفها وشمولها تعبيرًا عن موقف المصريين عامة من قضية مصير فلسطين[64]. وفي عام 1946، استمرت المقالات الصحفية القوية في صحف الإخوان، تكشف أبعاد القضية، وأصدر أحد رجالات الإخوان (أنور الجندي)[65] كتابًا

الحقوق بجامعة القاهرة في عام 1974م. تعاون مع «تنكو عبد الرحمن» عندما كان الأمين العام لمنظّمة المؤتمر الإسلامي في إعداد اتفاقية تأسيس البنك الإسلامي للتنمية، ثم شارك دعاة الاقتصاد الإسلامي في تأسيس بنك فيصل الإسلامي بالخرطوم والقاهرة، وبقى عضوًا بمجلس إدارة هذا البنك عشر سنوات، ونشر ثلاثة كتب عن الاقتصاد الإسلامي في التطبيق. أما الكتب القانونية والعلمية وكتب الثقافة الإسلامية فهى ثمرة آراء جريئة وعناية خاصة تجمع قضايا الأمة الإسلامية وشعوبها جميعًا وفي مقدمتها شعب فلسطين المجاهد. بعد تقاعده استمر يعمل في المحاماة والاستشارات القانونية. توفي في 8 نيسان/إبريل 2009.

63 محمود عبد الحليم، الإخوان المسلمون: أحداث صنعت التاريخ: رؤية من الداخل 1928-1948 (الإسكندرية: دار الدعوة، 1983)، ج 1، ص456.

64 من لقاء مع توفيق الشاوي، جرى اللقاء بتاريخ 27 شباط/فبراير 1999. وكذلك: فريد عبد الخالق، لقاء خاص، القاهرة، 27 شباط/فبراير 1999... والدكتور محمد فريد عبد الخالق كانت تربطنا به أيضًا صداقة جميلة ومحاورات أجمل في القاهرة سنوات 1995-2000 حيث كنا نتردد صحبة الشيخ محمد مهدي شمس الدين ونلتقيه مع الشيخ محمد الغزالي والدكتور محمد سليم العوا وغيرهم من تيار الوسط الإسلامي يومذاك. وفريد عبد الخالق هو من الرعيل الأول مع حسن البنّا، وعضو الهيئة التأسيسية لجماعة الإخوان المسلمين، وعضو مكتب الإرشاد السابق. ولد في مدينة فاقوس شرقية في 30 نوفمبر عام 1915 وانتقل مع عائلته بعد ذلك إلى القاهرة، وأكمل دراسته حيث تخرج عام 36 من معهد التربية العالي. جمع في دراسته العليا بين العلوم والرياضيات، والقانون والشريعة، وعمل مديرًا عامًا لدار الكتب المصرية ودار الوثائق القومية في السبعينيات، ثم وكيلاً لوزارة الثقافة لشؤونهم. خطيب وشاعر وباحث ومفكر.. له العديد من المؤلفات ناهيك عن حلقاته الشهيرة على قناة الجزيرة (شاهد على العصر). حصل على درجة الدكتوراه من قسم الشريعة بكلّية حقوق جامعة القاهرة عام 2009، وعن عمر يناهز 94 عامًا وكان عنوان الرسالة «الاحتساب على ذوي الجاه والسلطان»، وقد دخل بذلك الإنجاز موسوعة غينيس للأرقام القياسية بأنه أكبر باحث في السن يحصل على درجة الدكتوراه في العالم، متفوقًا على صاحب اللقب السابق الذي كان عمره 91 عامًا. وتوفي يوم الجمعة الموافق 12 نيسان/إبريل 2013.

65 أحمد أنور سيد أحمد الجندي: أديب ومفكّر إسلامي مصري. ولد في عام 1917 بقرية ديروط التابعة لمركز أسيوط بصعيد مصر، ويمتد نسبه لعائلة عريقة عُرفت بالعلم، فجده لوالدته كان قاضيًا شرعيًا يشتغل بتحقيق التراث، وكان والده مثقفًا يهتم بالثقافة الإسلامية، وكان «أنور» - الذي سمى باسم «أنور باشا» القائد التركي الذي اشترك في حرب فلسطين والذي كان ذائع الشهرة حينئذ - قد حفظ القرآن الكريم كاملًا في كتاب القرية في سن مبكرة، ثم ألحقه والده بوظيفة في بنك مصر بعد أن أنهى دراسة التجارة بالمرحلة التعليمية المتوسطة، ثم واصل

تحت عنوان «كفاح الذبيحَين: فلسطين والمغرب».

غير أن الإخوان ينسبون إلى أنفسهم أدوارًا أخرى منها على سبيل المثال توحيد منظمتَي النجّادة والفتوّة في فلسطين في العام 1947 (ودمجهما في منظّمة الشباب العربي[66]) بعد خلاف بينهما «سارع خلاله الإخوان لرأب هذا الصدع والتوفيق بين المختلفين وانتهت جهود الإخوان إلى إرسال الصاغ محمود لبيب وكيل الإخوان للشؤون العسكرية قائدًا ومدرّبًا لهذه المنظمات، وتمكّن بمساعدة الهيئة العربية في فلسطين من تكوين جيش ضخم من أبناء فلسطين، ولمّا أحس الإنكليز بذلك أخرجوه من فلسطين بالقوة»[67].

فاصلة عن النجّادة والفتوّة والشباب العربي

النجّادة كانت منظّمة شبابية ذات نظام شبه عسكري، تأسست أواخر عام 1945 في يافا. وكان المحامي محمد نمر الهواري القائد العام لهذه المنظّمة التي كانت تدين بالولاء للحاج محمد أمين الحسيني وتعتبره رئيسها. وقد نجحت النجّادة في الحصول على إذن رسمي من الحكومة وفقًا لنظامها الأساسي في 1945/12/21. واتخذت زيًا موحّدًا شبيهًا بالزي العسكري. واتخذت كلّ فرقة علمًا خاصًا يحمل اسم أحد رجالات العرب. وكان يشرف على مراكز النجّادة (التي انتشرت في يافا والقدس ونابلس وحيفا والناصرة وغزة وخان يونس) قيادة مركزية تضم المجلس الأعلى، ومجلس القيادة، والمجلس الاستشاري، وعلى قمة هذه التشكيلات ينتخب القائد العام مرة كلّ سنتين. وقد انضم إلى النجّادة فريق كبير من الشباب المثقف وحملة الشهادات العليا والثانوية، وانتشرت في المدن والقرى حتى وصل أعضاؤها إلى الآلاف. ولمّا اطمأنت إلى قواتها أقامت في يافا عرضًا عسكريًا كبيرًا مشى فيه ألفان من الشباب المدربين بزيهم العسكري الموحّد. وقد حضر هذا الاحتفال جمهور كبير من المواطنين، وعدد من الزعماء ووجهاء يافا.

دراسته أثناء عمله، حيث التحق بالجامعة في الفترة المسائية ودرس الاقتصاد وإدارة الأعمال، إلى أن تخرج في الجامعة الأميركية بعد أن أجاد اللغة الإنكليزية التي سعى لدراستها "حتى يطلع على شبهات الغربيين التي تطعن في الإسلام". تُشَكِّلُ سنة 1940 م علامة فارقة في حياة أنور الجندي، وذلك عندما قرأ ملخصًا عن كتاب «وجهة الإسلام» لمجموعة من المستشرقين، ولفت نظره إلى "التحدي للإسلام ومؤامرة التغريب"، وهو يصف ذلك بقوله: «وبدأت أقف في الصف: قلمي عدتي وسلاحي من أجل مقاومة النفوذ الفكري الأجنبي والغزو الثقافي، غير أني لم أتبين الطريق فورًا، وكان عليّ أن أخوض في بحر لجي ثلاثين عامًا... كانت وجهتي الأدب، ولكني كنت لا أنسى ذلك الشيء الخفي الذي يتحرك في الأعماق... هذه الدعوة التغريبية في مدها وجزرها، في تحولها وتطورها". نشر الجندي أكثر من 400 كراس وكتاب. توفي في 28 كانون الثاني/يناير 2002.

66 أحمد أبو رومية: دور القوات العربية غير النظامية في حرب فلسطين 1948، قسم البحوث والدراسات السياسية، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، حزيران 2001، ص83.

67 المرجع نفسه، وأيضًا: الإخوان وفلسطين، موقع الإخوان على الإنترنت، مرجع سابق

أظهر هذا الاحتفال النجّادة بقوتها ووحدتها، فبدأت المخاوف منها كحركة تهدد الزعامة السياسية، وخاصة في الحزب العربي الفلسطيني، الذي شنّ ضدها حرب شائعات. وردت النجّادة عليها معلنة انتماءها السياسي «لصاحب السماحة الحاج محمد أمين الحسيني وحده»؛ وأعلنت أن غايتها خدمة الأمة والبلاد بالطرق الفعّالة، على أسس علمية عصرية شورية. وانتقلت حرب الشائعات إلى مرحلة الصراع السافر بعد أن أعلن الحزب العربي عن تأليف منظّمة «الفتوّة» كجناح رسمي للحزب. وحاولت الهيئة العربية العليا ورئيسها المفتي الحسيني دمج المنظّمتين في منظّمة واحدة، ولكن الخلاف بقي مستمرًا.

أما الفتوّة فكانت أيضًا منظّمة شبابية أسسها جمال الحسيني في القدس وأسند قيادتها إلى كامل عريقات الذي كان ضابطًا سابقًا في البوليس الفلسطيني، أواخر شهر تشرين الأول/ أكتوبر 1946[68].

التناحر بين النجّادة والفتوّة

في يافا اتخذت الفتوّة مقرًا لها في بناية السراي وسط المدينة متحدّية النجّادة في معقلها. وكذلك فعلت في مدن وقرى عديدة، وبات في كلّ منها مقر جديد للفتوّة يقابل مقرًا قديمًا للنجّادة. وبلغ عدد أعضاء منظّمة الفتوّة خلال فترة وجيزة 3500 فردًا. وأصدرت المنظّمة في مطلع عام 1947 قانونًا لا يختلف بنصوصه عن قانون النجّادة إلا في ما يتعلّق بانتخاب القائد ومدة تسلّمه القيادة. إذ نص ذلك القانون على أن يبقى القائد في عمله ما دام يتمتع بثقة رئيس الحزب العربي، بينما كان قانون النجّادة يحدّد مدة رئاسة القائد بسنتين.

بعد إنشاء منظّمة الفتوّة بدأ الكثيرون من أعضاء منظّمة النجّادة بالانسحاب منها والانضمام للفتوّة خصوصًا بعد أن راجت شائعات مؤداها أن النجّادة تابعة للمعارضين في حين أن الفتوّة تابعة للمفتي. وعلى الرغم من تأكيد النجّادة في مناسبات عديدة، وبيانات متعاقبة أن مفتي فلسطين هو رئيسها الأعلى وأنها لا تهتف إلا له، إلا أن ذلك لم يكن كافيًا لوقف الاندفاع نحو الفتوّة والانصراف عن النجّادة. وبدأ التنافس غير الشريف يشتد بين المنظّمتين في كلّ مكان. وقد تسابقتا في الصرف على المظاهر والدعاية ومحاولة جذب الأعضاء، وحصلت بعض

68 أنظر بيان نويهض الحوت: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917-1948. مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت 1986، ص 508-511.

أنظر على وجه التحديد كتاب خير الدين أبو الجبين: قصة حياتي في فلسطين والكويت، دار الشروق، عمّان الأردن، الطبعة الأولى، 2002، الملحق الثاني-منظّمة النجّادة الفلسطينية، الصفحات 469-488.

الاصطدامات فيما بينهما منها اصطدام حصل في سينما الحمراء بيافا عند زيارة جمال الحسيني للمدينة لدعم الفتوّة. واستمر الخلاف بين المنظّمتين فقلّ الإقبال عليهما معًا، وبذلك ضعفت مالية منظّمة النجّادة التي كانت تعتمد على اشتراكات الأعضاء بعدما ضعفت أصلاً بما صرفته على المظاهر والدعاية لتنافس الفتوّة.

ويقول جمال الحاج خليل في مذكراته إن يونس نفاع قائد نجّادة حيفا وكان من المقربين من المفتي، ذهب إلى القاهرة في شتاء 46-47 بعد احتدام الخلاف بين النجّادة والفتوّة وتزايد الشائعات بأن الفتوّة تابعة للمفتي بينما النجّادة لم تكن تابعة له. وفي القاهرة، قابل نفاع المفتي الحاج أمين، وأقنعه بأن النجّادة لم تكن معارضة له، ولكن المفتي شعر في الوقت نفسه بخطورة استمرار الخلاف والتنافس بين المنظّمتين. فأصدر أمرًا بتشكيل لجنة لتوحيدهما برئاسة رفيق التميمي وعضوية إميل الغوري، وهما من الحزب العربي، على أن يكون الهواري قائد النجّادة هو العضو الثالث في اللجنة. وقدّم التميمي بعد ذلك تقريرًا إلى المفتي في 47/2/3 جاء فيه أنه يتعذر الدمج لأسباب مالية وقانونية. أما السبب المالي فمفاده أن الدمج يتطلّب إلغاء الشعارات والأوسمة والنياشين والمطبوعات وغيرها للمنظّمتين وعمل أوسمة ومطبوعات للمنظّمة الجديدة وهذا يتطلّب مبلغًا كبيرًا. أما السبب القانوني فقد بيّنته منظّمة النجّادة قائلة إنه صدر في 46/3/24 قانون جديد في فلسطين يطلب من كلّ جمعية أو منظّمة لها زي رسمي مراجعة دائرة الحاكم في مقرها والحصول على إذن منه بارتداء أعضائها لذلك الزي. وقالت النجّادة إنها سبق أن امتنعت عن التقيّد بذلك القانون على أساس أن قانونها سبق القانون المشار إليه وهو موافق عليه من حكومة الانتداب، فإذا تألّفت منظّمة جديدة باسم آخر غير النجّادة، فعليها أن تتقيّد بالقانون الجديد وهذا غير مناسب.

لهذا اقترحت النجّادة أن يبقى اسمها اسمًا للمنظّمة الجديدة المقترحة. ولتعذّر دمج المنظّمتين للأسباب السابقة، ولعدم صفاء النفوس، كما قال التميمي في كتابه للمفتي، فقد اقترح بقاء المنظّمتين على حالهما على أن يكون قائداهما متصلين بالقيادة الفلسطينية عن طريق العضو المنتدب لتلقّي التعليمات. لكن المفتي رفض الاقتراح، وقرر توحيد المنظّمتين تحت اسم «منظّمة الشباب العربي»، وأرسل للنجّادة كتابًا قال فيه: «قررت دمج المنظّمتين في منظّمة الشباب، فإذا لم توافقوا على ذلك، سأعلن أنكم خارجين عن الهيئة العليا وخونة»! وقال لي رشاد عرفة أنه إثر تلقيهم ذلك الكتاب، اجتمعت اللجنة التنفيذية للنجّادة المكوّنة منه ومن الهواري ورشاد الدبّاغ لبحث الأمر في مقر المنظّمة الجديد في شارع أبو الجبين الذي انتقلت إليه قيادة النجّادة لضعف الإمكانيات. وعندما سألوه عن رأيه قال لهما: «إننا مديونون للناس بخمسمائة جنيه وليس في الصندوق إلا سبعة جنيهات

ولذلك وبسبب حالة الضعف العام للنجّادة وتهديد المفتي لنا لا يمكننا إلا الموافقة على الدمج». فبكى الهواري ورشاد «وبكيتُ أنا ووافقنا».

إنشاء منظّمة الشباب

بعد موافقة منظّمة النجّادة، وافقت منظّمة الفتوّة على الدمج. وأصدرت القيادتان بيانًا مشتركًا بتوقيع الهواري وعريقات أعلنتا فيه الموافقة على اندماجهما في منظّمة الشباب التي خصص المفتي لها ميزانية محدودة كما عيّن لقيادتها الضابط المصري المتقاعد الصاغ محمود لبيب الذي كان قائدًا لجوالة الإخوان المسلمين في القاهرة. وقد حضر الضابط فعلاً إلى يافا بعد ذلك وأقام في فندق صغير قريب من فندق الكونتننتال في أول شارع النزهة، واتّخذ مقرًا للمنظّمة الجديدة وحاول جمع شباب المنظّمتين وتدريبهم. وبقيت المنظّمة الجديدة شهورًا قليلة من دون فائدة تذكر، قامت بعدها حكومة الانتداب بإبعاد محمود لبيب عن البلاد بعد أن عرفت مراميه.

وهكذا ماتت منظّمة الشباب وماتت قبلها منظّمتا النجّادة والفتوّة، ولم تكن أيّ منها فاعلة في بداية الأحداث بعد قرار التقسيم موجودة في فلسطين.

وفي الحقيقة أن دمج النجّادة والفتوّة لم يكن إلا شكليًا، كما أن المنظّمة الجديدة لم تلقَ الدعم الكافي من الهيئة العربية العليا، خصوصًا ماليًا. فلم يتطوّر التدريب على السلاح وهو الهدف الأسمى لهما. فضلاً عن ذلك، فإن مظاهر الضعف كانت في الأصل بادية في المنظّمتين، بسبب التنافس والتناحر بينهما. فقلّ انتساب الشباب إليهما معًا وانقطعت التبرّعات لهما، فضلاً عن اشتراكات الأعضاء. ولكن روح النجّادة بقيت حية في نفوس شبابها، إذ على أثر قرار التقسيم، اجتمعت بقايا النجّادة في مكتب الهواري في يافا وألفوا فيما بينهم «مجلس الأمن» للدفاع عن المدينة واتخذوا مقرًا لهم، واستعانوا بما كان قد بقي للنجّادة من أثاث، وسيارة واحدة وأسلحة قليلة، وجمعوا بعض التبرّعات من المواطنين، وأرسلوا أحدهم وهو مصطفى أبو غبن إلى مصر لشراء السلاح. ولكنهم وجدوا فيما بعد أن تنظيمهم هذا يفتقد إلى الشرعية. ومن أجل الحصول على دعم اللجنة القومية عادوا لاتخاذ اسم «منظّمة الشباب» برئاسة عبد الرحمن السكسك، وفتحوا باب التطوّع للتدريب على السلاح في ملعب النادي الأرثوذكسي في يافا. ولكن الإمكانيات كانت قليلة والعدو أكثر تجهيزًا وتنظيمًا، فسقطت يافا عسكريًا يوم 48/4/28 كما سقطت قبلها وبعدها مدن وقرى فلسطينية أخرى حاول شباب النجّادة فيها أيضًا تنظيم أنفسهم والمساهمة في الدفاع عنها![69]

69 خير الدين أبو الجبين، المرجع السابق، الصفحات 489-495.

الإخوان والسلاح في فلسطين

أما القضية الكبرى التي ينسبها الإخوان إلى أنفسهم فهي المعروفة باسم «حملة الإخوان الكبرى لتسليح المجاهدين». فقد أخذت الهيئة العربية العليا لفلسطين تصاريح من الحكومة المصرية بجمع السلاح وشرائه، وتمّ الاتصال بين الهيئة وجماعة الإخوان، فصدرت تعليمات الإمام لقادة النظام الخاص وبعض قادة الجماعة ببذل أقصى جهد لجمع السلاح من مخلّفات الحرب العالمية الثانية في الصحراء الغربية وشرائه من قبائل البدو في الصحراء وصعيد مصر. كما قام الإخوان بإنشاء مصانع لصيانة وإصلاح الأسلحة في حلمية الزيتون للهيئة العربية العليا.

إلى ذلك، أشار مفتي فلسطين بقوله «أقامت الهيئة في مصر عدة مصانع وورش ومخازن لإصلاح السلاح وصيانته وتخزينه، لأن أكثره من مخلّفات الجيوش أو كان مدفونًا في باطن الأرض أو ملقى في الصحراء». كما قاموا بجمع وصيانة وإصلاح السلاح بمرسي مطروح؛ وكان القائمون على ذلك الإخوان العاملون بسلاح الصيانة. وكان الإخوان بعد إصلاح قطع السلاح من مختلف الأنواع الخفيفة والمتوسطة يقومون بتجربتها على ساحل البحر الأبيض المتوسط. وقام القائد الفلسطيني عبد القادر الحسيني بزيارة تلك الورشة، وتحرّك مع الإخوان في عدة جولات لجمع السلاح والذخيرة. كما قام النظام الخاص للإخوان بتطوير نشاطه. فبدأ بتصنيع بعض المتفجّرات التي لا تتوافر في الأسواق مثل قطن البارود. وكذلك قام بتطوير الساعات العادية إلى ساعات توقيت تستخدم في تحديد وقت انفجار العبوات الناسفة، وكان لذلك أثر كبير في نجاح العمليات الفدائية ضد الصهاينة والإنكليز.

وزوّد النظام الخاص المجاهد الفلسطيني عبد القادر الحسيني بكمية كبيرة من ساعات التوقيت الزمنية من صنع ورش النظام الخاص لعدم توافرها بالأسواق... «كما قابل أحد ممثلي الهيئة العربية العليا فضيلة المرشد العام وطلب منه مساعدة الإخوان في شحن سفينة عربية بالأسلحة والذخائر الموجودة بالفعل لدى إحدى بطاريات المدفعية المصرية على ساحل مدينة بور سعيد وأن ضباط هذه البطارية جاهزون للمساهمة في هذه العملية بأشخاصهم فضلًا عن تخزين هذه الأسلحة والذخائر لديهم، وجرى نقل حمولة الأسلحة كاملة إلى السفينة» [70].

كان أول تحرّك عملي من «النظام الخاص» تجاه القضية الفلسطينية عندما جاء الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين إلى القاهرة سنة 1946، فارًّا من محاكمة الحلفاء في أعقاب الحرب العالمية الثانية، والذين اتهموه بالتعاون مع هتلر،

70 الإخوان وفلسطين، مرجع سابق، وانظر أيضًا مجلة الإسلام وفلسطين، مرجع سابق وكذلك: الأستاذ فريد عبد الخالق، أحد رفاق حسن البنّا، لقاء خاص، القاهرة، 27 شباط/فبراير 1999.

والعمل على مناصرة قواته في دخولها مصر، والتخابر مع المسؤولين المصريين بهذا الشأن. وكان للإخوان المسلمين دور كبير في مساندة الحاج أمين الحسيني، والتدخّل لدى الحكومة المصرية لمنحه حقّ اللجوء السياسي. وكان من الطبيعي أن تتعاون الحكومة المصرية مع الحاج أمين الحسيني، الذي توافقت طلباته ومقترحاته مع قرار اللجنة العسكرية العليا التي اجتمعت سنة 1947، وقررت الاعتماد على الفلسطينيين في الدفاع عن بلادهم، وتقديم ما يحتاج إليه المتطوّعون من أسلحة وذخيرة، وتحصين الفلسطينيين في قراهم وتسليحهم ضد الإرهاب الصهيوني، ووقوف الجيوش العربية على الحدود وعدم دخولها إلى الأراضي الفلسطينية. وقام «النظام الخاص» بتعيين ضابط اتصال بين جماعة الإخوان المسلمين والهيئة العربية العليا في شؤون التسليح التي كان يمثّلها عبد القادر الحسيني -بمساعدة أحد التجار الفلسطينيين- بصفته المسؤول عن التمويل المالي للهيئة[71].

وفي تشرين الثاني/نوفمبر1947 تشكّلت هيئة وادي النيل لإنقاذ القدس وكان أعضاؤها (وعلى رأسهم حسن البنّا وصالح حرب وعلي علوبة باشا[72]) يمثّلون مختلف القوى السياسية في مصر؛ وكان يمثّل الجامعة فيها مصطفى مؤمن من زعماء طلبة الإخوان، ويمثّل الإخوان الأستاذ صالح أبو رقيق. ونظّمت الهيئة أسبوعًا من أجل فلسطين جرى فيه جمع التبرّعات لصالح مجاهدي فلسطين.[73]

وحين صدر قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين إلى دولتَين عربية ويهودية في 29-11-1947، أعد الإخوان لتظاهرة مصر الكبرى لتأييد فلسطين التي قارب عدد المشاركين فيها نصف مليون مواطن من قيادات ورجال الأزهر الشريف والجامعات المصرية والعمال، وانطلقت من داخل جامع الأزهر، وشارك الإمام حسن البنّا في تنظيمها، ووقف على باب الأزهر ينادي بمكبّر الصوت الفرق المشاركة حاملة أعلامها، ووصلت التظاهرات إلى ميدان الأوبرا. ومن القيادات والزعامات التي شاركت أيضًا في التظاهرة رياض الصلح (لبنان) والأمير فيصل بن عبد العزيز (السعودية) والشيخ محمود أبو العيون (شيخ الأزهر) وأحمد حسين (زعيم مصر الفتاة) والقمص متياس الأنطوني، وعبد الرحمن عزّام باشا ومحمد علوبة باشا، واللواء صالح حرب (رئيس جمعية الشبان المسلمين). وفي ميدان الأوبرا، تحدث رؤساء الوفود وعدد من الشخصيات العامة؛ ومما جاء في كلمة حسن البنّا: «إنني

71 من مقابلة مع الشيخ زهير الشاويش. عن زهير الشاويش ودوره مع الإخوان في فلسطين انظر كتابي: السلفية والسلفيون الجدد، دار سائر المشرق، بيروت 2016.

72 زكريا سليمان البيومي: الإخوان المسلمون في الحياة السياسية المصرية 1928-1948، مكتبة وهبه، القاهرة، 1978، ص 116

73 فريد عبد الخالق، لقاء خاص، القاهرة، 26 شباط/فبراير 1999

أعلن من فوق هذا المنبر أن الإخوان المسلمين قد تبرّعوا بدماء عشرة آلاف متطوع للاستشهاد في سبيل الله في فلسطين، وهم على أتمّ الاستعداد لتلبية ندائكم...» وفي ذلك اليوم، أعلن الإخوان فتح باب التطوّع للجهاد في فلسطين، وتقدّم الآلاف من شباب الإخوان من جميع محافظات مصر.[74]

ومن مذكرات المرحوم الدكتور توفيق الشاوي،[75] نعلم أن قسم الاتصال بالعالم الإسلامي لعب دورًا كبيرًا في بلدان المغرب العربي لجهة التعبئة لقضية فلسطين وقضية التحرّر والاستقلال. وقد لعبت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية (الحديثة الولادة) دورًا كبيرًا في هذا المجال بفضل الأمين العام السيد عبد الرحمن عزّام (1893-1976)، «وكانت علاقته وثيقة بالإخوان المسلمين وبالشهيد حسن البنّا بصفة خاصة». ويعتقد الشاوي بأن «علاقة عزّام بالبنّا والإخوان وإخلاصه لقضية فلسطين وقضايا شمال أفريقيا كانا من أهم الأسباب التي أدت إلى عزله من الأمانة العامة عام 1952، عقب حركة الجيش مباشرة، من دون مبرّر معروف حتى الآن»[76]. وبحسب الشاوي أيضًا، فإن قسم الاتصال بالعالم الإسلامي لعب دورًا كبيرًا في تهريب المفتي الحسيني من مكان إقامته الجبرية في ضواحي باريس (بوجيفال) إلى مصر[77]. كما أن علاقات الإخوان بزعماء الحركة الاستقلالية في تونس والمغرب والجزائر سمحت لهم بتنظيم نشاطات كبرى في فرنسا دعمًا للقضية الفلسطينية وبإشراك العمال العرب في هذه النشاطات. ولعلّ من أهم هذه النشاطات إعادة إحياء جمعية «أصدقاء فلسطين العربية» التي كان قد أسسها في باريس اللبناني «نجيب صدقة»، وإطلاق نشاطها الفرنسي بدعم من الأمين العام للجامعة العربية عبد الرحمن عزّام وسكرتيره اللبناني أسعد داغر، وبمشاركة من الزعيم الجزائري مصالي الحاج ورفاقه محمد يزيد وشوقي مصطفاي من حزب الشعب الجزائري، وزعيم حزب الاستقلال المغربي علال الفاسي القريب من الإخوان، ورفاقه، عبد الرحيم بو عبيد وعبد الله ابراهيم وعبد اللطيف بن جلون، والحبيب بورقيبة زعيم حزب الدستور التونسي ورفاقه جلولي فارس ومحمد الميلي[78]. أما جمهور هذه النشاطات، فكان من العمال الجزائريين الذين كانوا يحضرون بالآلاف فهم كانوا في فرنسا قبل المغاربة والتوانسة وبأعداد كبيرة، بسبب الاحتلال الاستيطاني للجزائر.

74 المعلومات من الصحف المصرية والإخوانية قمت باختصارها ومقارنتها بمعلومات موقع الإخوان المسلمين وكذلك بمعلومات الأستاذ فريد عبد الخالق، والأستاذ توفيق الشاوي، لقاءات خاصة، القاهرة،25 و26 و 27 شباط/فبراير 1999

75 توفيق محمد الشاوي: مذكرات نصف قرن من العمل الإسلامي... مرجع سابق. وكذلك من لقاءاتي مع الأستاذ فريد عبد الخالق والأستاذ توفيق الشاوي، لقاءات خاصة، القاهرة،25 و26 و27 شباط/فبراير 1999

76 الشاوي، مذكرات، مرجع سابق، ص 33.

77 توفيق الشاوي، لقاءات خاصة، القاهرة،25 و27 شباط/فبراير 1999.

78 توفيق الشاوي، لقاءات خاصة، 25 شباط/فبراير 1999.

بعد تهريب المفتي إلى مصر، بمشاركة من العمال الجزائريين في مرفأ مرسيليا (كما ساهموا بتمرير أسلحة فرنسية إلى لبنان خلال حرب فلسطين)[79] استمرت الصلة بين جمعية أصدقاء فلسطين العربية في باريس والهيئة العربية العليا في فلسطين، من خلال مندوب المفتي هناك الدكتور يعقوب الخوري الذي افتتح مكتبًا للهيئة في باريس، أو بواسطة إميل خوري عضو الهيئة العربية الذي بقي إلى جانب المفتي طوال حياته[80].

تقوّت صلة الحاج أمين بالإخوان بتزويج ابنته للإخواني أبي المكارم عبد الحي وعقد القران في منزل ابنة حسن البنّا وفاء وزوجها القيادي الإخواني سعيد رمضان[81]. كما يذكر كامل الشريف أنه سمع شخصيًا من البنّا والحسيني أنهما كانا على تنسيق سياسي واسع جدًا بما يشمل التعبئة الشعبية والنفسية وحتى جمع السلاح. كما كان هناك تنسيق عسكري بين الإخوان ومنظّمة الجهاد المقدس التي كان يشرف عليها المفتي الحسيني في سنوات 1947-1948. وقد اجتمع كامل الشريف مع حسن سلامة قائد منطقة يافا للتنسيق بتعليمات من البنّا والحسيني معًا. كما يذكر يوسف عميرة أن الحاج أمين كان يحترم الإخوان وآراءهم وكثيرًا ما كان يستشيرهم[82].

بعد النكبة، وفي أول أيلول/سبتمبر 1948أعلن الإخوان المصريون عن مشروعهم لمساعدة «المشرّدين» بفلسطين؛ فوجّهوا خطابًا إلى أمين عام الجامعة العربية، وذكروا فيه أن الإخوان ألّفوا لجنة لهذا الغرض برئاسة الصاغ محمود لبيب المفتش العام لفرق الإخوان على أن تكون مهمتها «محدّدة بتكوين لجان فرعية في المملكة المصرية لجمع الملابس والأغطية والتبرّعات النقدية خلال المدة من 15 إلى 25 أيلول/سبتمبر، تحت عنوان «أسبوع مساعدة اللاجئين بفلسطين». «وكان مطلب الإخوان من الأمين العام أن يقوم بالتوسط لدى وزارة الشؤون الاجتماعية المصرية عن طريق الأمانة العامة للجامعة العربية لتأذن للّجنة بمباشرة مهمتها»[83].

وكان المشروع ينقسم إلى قسمين:

79 توفيق الشاوي، المرجع نفسه، 27 شباط 1999.

80 توفيق الشاوي، أحاديث خاصة، 27 شباط 1999 وقارن مع مذكراته، مرجع سابق، الصفحات 51-62 والمهم في هذه المعلومات أن نرى كيف كان الإخوان في مصر وفلسطين يتعاملون مع أبناء وطنهم من المسيحيين ويسلّمونهم مراكز كبرى في عملهم الوطني.

81 حاتم يوسف أبو زايدة: جهاد الإخوان في فلسطين حتى عام 1970، دراسة غير منشورة، أيلول 2009، ص 15.

82 يوسف عميرة أحد أوائل المنتظمين في جماعة الإخوان المسلمين في فلسطين، شارك في حرب 1948 ضمن جماعة الإخوان في الدفاع عن منطقة يافا، وهو أحد مؤسسي حركة فتح. أنظر: أبو زايدة، ص 25.

83 المرجع نفسه.

1- قطار اللاجئين: وذلك بأن يقوم قطار من أسوان لغاية مصب النيل ليجمع من أهل المروءة والشهامة ما يزيد على حاجتهم من أي شيء؛ واتّصل الإخوان بالحكومة وأخذوا تصريحًا من دسوقي أباظة باشا وزير المواصلات بذلك.

2- عربات اليد: إبتكرها الإخوان وتقضي بإطلاق عدة عربات يد تجوب القاهرة لجمع الملابس والأغطية للاجئين؛ وكان المتطوّع الأول في هذا المشروع الأستاذ البنّا نفسه. ولكن فوجئ الإخوان بأن وزير الداخلية أمر بالامتناع عن هذا العمل المزدوج. وكان لذلك أسوأ الأثر في النفوس لأن الأمر كان مقصودًا به الإخوان.

يقول عارف العارف: «من الواجب أن أذكر بالتقدير والثناء ما قام به الإخوان المسلمون المصريون من أجل فلسطين فقد ركضوا لنجدتها فور نشوب القتال، وعندما قامت حركة اللاجئين بعث المرشد العام لهذه الجماعة الشيخ حسن البنّا رجاله إلى المدن والأرياف المصرية ليجمعوا بإسم اللاجئين الملابس والأطعمة والأدوية والأغطية ومواد الإسعاف اللازمة، ولكن النقراشي أصدر أوامره بوصفه الحاكم العسكري العام بمنعهم»[84].

لكن معظم الذين كتبوا مذكراتهم من قادة الإخوان ورجالهم الكبار لا يذكرون أي مساهمة جهادية مسلحة للإخوان في فلسطين قبل العام 1947 ولا أي تأثير جهادي على فكر تلك المرحلة. فعمر التلمساني يذكر اسم فلسطين في مذكراته حين يتحدّث عن عالمية دعوة الإخوان، فيعطي الدليل عليها مشاركة الإخوان في الحرب في فلسطين[85]، أي أنه لا يتذكر مدى تأثير القضية الفلسطينية على أيّ تطوّر في تاريخ الإخوان. ومحمود عبد الحليم لا يتحدّث عن فلسطين قبل العام 1946، وذلك بمناسبة كلمة المرشد العام أمام لجنة التحقيق البريطانية الأميركية، ثم بمناسبة تظاهرة القاهرة الكبرى في 15 كانون الأول/ديسمبر1947 بعد قرار التقسيم، وصولاً إلى الحرب (1948-1949) «التي شارك فيها الإخوان بقوة والتي كانت السبب المباشر في الصدام مع حكومة النقراشي وما أدى إليه لجهة اغتيال البنّا نفسه.»[86] فيبدو وكأن القضية الفلسطينية لم يكن لها ذلك التأثير الكفاحي والمسلّح على خيارات

84 هذه المعلومات متوافرة وبالنص ذاته على كلّ مواقع الإخوان. ولمعلومات أكثر، انظر كتاب كامل الشريف: الإخوان في فلسطين، مرجع سابق. وقد قارنتُها بمعلومات الأستاذ فريد عبد الخالق، ومعلومات الدكتور توفيق الشاوي، أحاديث خاصة، القاهرة، مرجع سابق.

85 ذكريات لا مذكرات، دار الاعتصام، القاهرة. وانظر الكتاب نفسه في دار الطباعة الإسلامية، القاهرة، 1985، والمقطع المذكور هو في خمسة أسطر آخر صفحة 58-59 من طبعة 1985.

86 محمود عبد الحليم: الإخوان المسلمون، أحداث صنعت التاريخ، مرجع سابق، الفصل الثاني من الباب الرابع من الجزء الاول، الصفحات 409-435.

الإخوان الداخلية والعربية[87]. وهو أمر غريب إذا لاحظنا كل ما سبق، وكذلك اندفاعتهم بعد ذلك في حرب فلسطين إلى جانب الضباط الأحرار. فهل كان ذلك الاندفاع بسبب مشاركة الضباط الأحرار ودورهم المميز في حرب فلسطين؟ وهل كان الإخوان والضباط وجهان لعملة واحدة؟

لعلّ المفيد تسجيله هنا هو تلك الروابط والعلاقات بين النخب السياسية الوطنية في المشرق والمغرب والتفافها حول فلسطين من جهة، وتعاطفها مع الإخوان من جهة أخرى. والتفسير الوحيد لذلك هو أن الإخوان ما كانوا يومها بعد تنظيمًا أصوليًا أو حزبًا سلطويًا... وبالتالي فإن تطوّر الحركات الوطنية المشرقية والمغربية كان في ارتباط وثيق مع مناخ عام وطني استقلالي شارك فيه الإخوان يومها، الأمر الذي يفسّر علاقتهم بالضباط الأحرار من جهة، وبمؤسّسي حركة فتح من جهة أخرى.

3- تنظيم الإخوان في فلسطين

خلال الحرب الكبرى الثانية، انضم أفراد كثيرون إلى الجماعة في فلسطين، ولكن من دون تشكيل شُعب رسمية. وكانت مجلة الإخوان تصلهم بانتظام، إضافة إلى تدفّق الرسل والدعاة من مصر. كما انضم العديد من الطلبة الفلسطينيين الدارسين في مصر للإخوان مثل الشيخ مشهور ضامن بركات الذي صار رئيس المعهد الديني في عكا ورئيس شعبة الإخوان في نابلس عند تأسيسها عام 1946[88]. وبحسب بعض المصادر، فإن البداية الحقيقية كانت عند تأسيس جمعية المكارم في القدس عام 1943 كواجهة للإخوان[89]. وأول فرع رسمي في غزة تأسس بعد الحرب العالمية الثانية برئاسة الحاج ظافر الشوا[90] ثم أصبح الشيخ عمر صوان رئيس

87 نذكر هنا على كل حال أن فيلسوف القومية العربية ومنظّرها الأول أبو خلدون ساطع الحصري لا يذكر فلسطين وقضيتها ولا مرة واحدة في مؤلّفاته التي نشرها مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، في أكثر من 16 مجلدًا... فكأنها لم تكن ذات أهمية في تبلوّر القومية العربية، وذلك على عكس ما قدّمه لتلاميذه وحواريه كلّ من علي ناصر الدين وقسطنطين زريق ونقولا زيادة، في جامعة بيروت الأميركية في أربعينات وخمسينات القرن العشرين.

88 أبو زايدة، مرجع سابق، ص 26 وقارن مع محسن صالح: التيار الإسلامي، ص439 وانظر أيضًا: حسني أدهم جرار: الشهيد عبدالله عزام: رجل دعوة ومدرسة جهاد، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 1990، ص65. ويوثّق كتاب كامل الشريف (مرجع سابق) مشاركة الإخوان في تلك الأيام.

89 أحمد إسماعيل نوفل: الطريق إلى فلسطين، لام.، لات.، ص 25... وهو عبارة عن دراسة وزعت في مساجد الأردن. وانظر أيضًا بيان نويهض الحوت: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917-1948، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت،1981، ص 501-506.

90 محسن صالح:التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد 1917-1948، مكتبة الفلاح، الكويت 1988

زياد أبو عمرو: أصول الحركات السياسية في قطاع غزة 1948-1967، دار الأسوار، عكا، 1986، ص 67. وأيضًا خالد

الإخوان في غزة بعد حرب فلسطين 1948[91]. وقد ذكر الباحث الإسرائيلي حاييم لفنبرج أن مندوبًا عن الإخوان وصل من مصر إلى غزة (هو سعيد رمضان) بتاريخ 24 ديسمبر/كانون الأول 1945، وألقى خطابًا أمام الحشد الجماهيري في المسجد الكبير وبعد الخطاب جرى توزيع البيان الأول الذي أصدرته الجماعة في غزة موقّعًا باِسم «مجلس الإدارة الموقت لجماعة الإخوان المسلمين بغزة»[92]. ثم انتقل سعيد رمضان إلى خان يونس بتاريخ 7 كانون الثاني/يناير 1946 حيث نظّم شعبة للإخوان وأشرف على انتخاباتها قبل عودته إلى مصر[93]. ويذكر الباحث توماس ماير أن سعيد رمضان افتتح أول فرع للإخوان في القدس في 26 أكتوبر/تشرين الأول 1945؛ وأن عدد الفروع أصبح 25 في عام 1947 تراوحت العضوية فيها من 12 إلى 20 ألف من الأعضاء الناشطين، وأن الفروع كانت تخضع لقيادة الإخوان في القاهرة، وأنه جرى تعيين الحاج محمد أمين الحسيني قائدًا محليًا للإخوان في فلسطين فساعد استخدام اسمه على نشر نفوذهم في البلاد[94].

وبحسب يوسف عميرة (من مؤسسي فرع يافا أواخر 1945 أو بداية 1946) فقد أقيم حفل كبير عند افتتاح الفرع في يافا شارك فيه مصريون؛ وتولّى مكتبه الإداري ظافر الدجاني ومعه 9 أعضاء منهم الحاج محمد أمين الغلاييني وخليل الوفائي والشيخ حسين أحمد حسن المصري (سكرتير الشعبة)[95]. وكان الافتتاح الرسمي لمكتب الإخوان في القدس يوم 6 أيار 1946 في احتفال كبير أيضًا شارك فيه مندوب من مصر هو عبد المعز عبد الستار وقيادات فلسطينية بارزة مثل جمال الحسيني وناصر النشاشيبي والشيخ عبد الحميد السائح[96].

الحروب: حماس الفكر والممارسة السياسية. مرجع سابق، ص 13.

91 أبو زايدة، مرجع سابق، ص 27، ولكن ظافر الشوا يؤكّد أنه لم يكن الرئيس، وأن شعبة غزة تأسست عام 1946 وليس 1945 وضمت قيادتها الأولى: الشيخ عبد الله القيشاوي، الحاج ظافر الشوا وكان سكرتير أو أمين سر الشعبة، عبد الرحمن القيشاوي، شعبان الحلو، الحاج صادق المزيني، أحمد بسيسو، يعقوب الغلاييني، وكان رئيسها الشيخ عمر صوان. أنظر: الحاج ظافر خليل الشوا (1908-2003) مقابلات ووثائق. مركز التأريخ والتوثيق الفلسطيني، غزة 2011، ص 39-40، وانظر الشيخ خليل: مرجع سابق، ص 11 مقابلة خاصة أجراها مع ظافر الشوا.

92 نقلاً عن الشيخ خليل، مرجع سابق، ص 11.

93 المرجع نفسه، ص 12.

94 Thomas Mayer:”The Military Force of Islam: The Society of the Muslim Brethren and the Palestine Question 1945-1948”; in: Elie Kedourie and Sylvia G. Haim (eds.), Zionism and Arabism in Palestine and Israel. (London: Frank Cass 1982), (p.100117-), p.102-104.

95 محسن صالح، التيار الإسلامي... مرجع سابق، ص 442-443.

96 خالد الحروب: حماس، الفكر والممارسة والسياسة. مرجع سابق، ص112.

وفي نهاية عام 1946، أسس الشيخ جليل أبو غصيب من بيسان والشيخ عبد العزيز الخيّاط وزكي المصري وعامر المصري وناظم بكير، من نابلس، فرع بيسان برئاسة الخياط، ثم تولىّ الرئاسة الشيخ محمد فخر الدين من نابلس[97]. وفي حيفا انضم كلّ أعضاء جمعية الاعتصام لتأسيس فرع الإخوان يتقدّمهم رئيس الجمعية عبد الرازق عبد الجليل؛ وقد حضر وفد كبير من مصر (كان بينهم سعيد رمضان) لإقناع جماعة الاعتصام بالموضوع. ولم ينضم للإخوان نائب رئيس الجمعية وهو تقي الدين النبهاني الذي أسس لاحقًا حزب التحرير[98]. وقد تتابع خلال عامي 1946-1947 إنشاء الفروع في قلقيلية واللد ونابلس (برئاسة مشهور ضامن) وطولكرم والمجدل وسلواد والخليل... وفي شمال فلسطين ووسطها وجنوبها، حتى زاد عدد الفروع عن عشرين كما يذكر حسن البنّا[99]. وبحسب المصادر الإخوانية الحديثة، فقد زار البنّا فلسطين في 19-20 آذار 1948 يرافقه عبده قاسم وسعد الدين الوليلي والشيخ محمد الفرغلي، وزار رفح وخان يونس حيث كان له استقبال حاشد وزار شعبة غزة وكتب كلمة في دفتر الزيارة[100].

عند إعلان تأسيس دولة إسرائيل، شكّل الإخوان 3 كتائب للقتال في فلسطين: الأولى بقيادة أحمد عبد العزيز، والثانية بقيادة الشيخ محمد الفرغلي، والثالثة بقيادة محمد عبده. وقد لعبت هذه القوات أدوارًا مهمة في الدفاع عن البلدات الفلسطينية

97 أبو زايدة، مرجع سابق، ص 28، وقد استند إلى مقابلات مع عدد من إخوان فلسطين ومنهم الشيخ أبو غصيب.

98 أبو زايدة، مرجع سابق، ص28. وسيرد لاحقًا شهادات تؤكّد أن النبهاني انضم إلى الإخوان ثم انفصل عنهم. عن النبهاني وحزب التحرير وعلاقتهما بالإخوان انظر سعود المولى: الجماعات الإسلامية والعنف، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي 2012.

99 محسن صالح: التيار الإسلامي، مرجع سابق، ص 444-445.

100 محسن صالح: المرجع نفسه، ص. 443.

قبل العام 2011، لم يذكر أي مصدر أو مرجع إخواني أو غير إخواني هذه الزيارة العظيمة الأهمية والدلالة ويوثّقها، خصوصًا أنها حصلت بحسب الرواية الإخوانية قبل حوالي الشهرين فقط من اندلاع الحرب في فلسطين. غير أننا صرنا نعثر مؤخرًا في المواقع الإلكترونية الإخوانية على صوَر نادرة للإمام البنّا تذكر المواقع بأنها أخذت «على شاطئ غزة وفي منتزهها وفي مينائها»، وبعضها وسط مجموعة من المستقبلين...وهناك صورة تقول عنها المواقع الإخوانية إنها للبنّا وسط شعبة إخوان غزة وتاريخها 19 آذار/مارس 1948. والغريب عدم وجود وثائق سابقًا حول هذه الزيارة التاريخية. لا بل إن كل السيرَ الذاتية الرسمية لحسن البنّا والتي نشرها الإخوان لا تذكر أبدًا هذه الزيارة. ولعل الفضل يعود إلى الحاج ظافر الشوا في الكشف عن هذه الزيارة وتقديم الصور التي صارت تنتشر وهو كان أول من نشرها وتحدث عن الزيارة بتفصيل وذلك في كتاب مذكراته الصادر عن مركز التأريخ والتوثيق الفلسطيني في غزة في العام 2011. يقول الحاج الشوا في مذكراته إنه «خرج وفد من إخوان غزة لاستقبال البنّا عندما جاء إلى العريش في مارس/آذار 1948 ودعاه إلى غزة فأقام عند رشدي الشوا في منزله»... (ص 40 من الكتاب). ثم يورد ظافر الشوا بعض المعلومات عن تلك الزيارة منها أن البنّا «لم يمكث كثيرًا، تقريبًا يومين أو ثلاثة»، وأن الزيارة لم يكن مخططًا لها «فقد أتانا الخبر بأن الأستاذ البنّا موجود في العريش فذهب وفد منا إلى العريش واستقبلناه ودعوناه إلى غزة واستقبلناه في ضيافة رئيس البلدية أبو عصام الشوا ونام عنده... لم يكن هناك تنظيم لاستقبال البنّا... وصلنا الخبر... فأخذنا سيارة وذهبنا إليه... كنت أنا والشيخ هاشم الخزندار... زار البنّا شعبة غزة... لم يعط تعليقات... صمت تام، لم يكن يعطي تصريحات أو كلام، فقط خطاب ألقاه في الجامع الكبير...» (الصفحات 54-59).

وفي صد الهجمات الصهيونية كما في خوض المعارك الكبيرة والحاسمة[101]. وبعد الضغوط البريطانية والمصرية سحب الإخوان مشاركتهم المستقلّة وانضموا إلى معسكر الهاكستب الذي كان بقيادة الجامعة العربية وتشكّلت منه 3 كتائب مشتركة بين الجيش والإخوان والمتطوعين المصريين، قاد الأولى منها الإخواني أحمد عبد العزيز والثانية البكباشي عبد الجواد طبالة من الجيش المصري. وقد لعبت كتيبة عبد العزيز دورًا كبيرًا في الحرب كما تشهد بذلك مذكرات الضباط وشهادات من شارك فيها[102].

وبحسب توماس ماير، فإن حسن البنّا ذكر في آذار/مارس 1948 أن لديه 1500 متطوع داخل فلسطين... وهذا لا ينسجم مع حجم عضويتهم الذي فاق يومها المليون... وينقل ماير من المفكّرة الخاصة لأحمد عبد العزيز أن 804 متطوعًا عملوا تحت إمرته كان منهم 344 من المصريين والباقي من الأقطار العربية[103].

ويقول عارف العارف إن عدد المتطوعين من مصر وسورية والأردن وفلسطين وصل إلى 471 متطوعًا[104].

وقد شارك الإخوان السوريون في الحرب بقوة وشكّلوا كتيبة بقيادة زعيمهم مصطفى السباعي دخلت فلسطين وقاتلت في منطقة القدس والمثلث. كما شارك إخوان فلسطين في كتائب جيش الإنقاذ الفلسطيني خصوصًا تحت قيادة الجهاد المقدس[105](عبد القادر الحسيني وحسن سلامة وإبراهيم أبو دية). كما شارك إخوان مسلمون من تونس وليبيا والسودان والمغرب واليمن في القتال في فلسطين وسقط لهم شهداء وجرحى[106].

ينبغي الانتباه هنا إلى أن التعايش والمشاركة بين عناصر الإخوان من ضباط وجنود مصريين وكذلك المتطوعين من الإخوان، في كل من رفح والعريش، مع المتطوّعين

101 أبو زايدة، مرجع سابق، الصفحات 57-61. وأيضًا أبو رومية، مرجع سابق، ص84 -98. وكامل الشريف، مرجع سابق، ص 60... وانظر أيضًا كتاب عارف العارف: نكبة فلسطين والفردوس المفقود، دار الهدى 1956، ص 402.

102 المراجع السابقة نفسها.

103 ماير، مرجع سابق ص 108 و109.

104 عارف العارف: النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود، 1947 - 1949. صدر في طبعته الأولى في سبعة أجزاء بين عامي 1956 (صدور الجزء الأوّل منه) و1961 (صدور الجزء الأخير)، عن المكتبة العصرية في صيدا وبيروت، انظر الطبعة الثانية الصادرة عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت 2012، في ثلاثة أجزاء، الجزء الثاني، ص 393.

105 حول دور المجاهدين من الإخوان الفلسطينيين في معارك 1948 انظر خصوصًا أبو زايدة: مرجع سابق، الصفحات 63-110.

106 حسني أدهم جرار: نكبة فلسطين، دار الفرقان، عمان الأردن، 1995.. ص76-98.

الفلسطينيين، خصوصًا في غزة، ولّد حالة تفاعلية كان لها أثر لاحق. ففي نهاية عام 1949، قام الفلسطينيون الذين حاربوا مع المصريين ووصلوا إلى منطقة الجليل، بتأسيس فروع للجماعة في الضفة الغربية (جنين وقلقيلية ودورا وعنبتا وصوريف وصورباهر وطوباس وكفربرقا وأريحا، وفي مخيمات عقبة جبر قرب أريحا والعروب في بيت لحم)[107].

بعد ضم الضفة الغربية إلى الأردن، صار إخوان الضفة ضمن جماعة الإخوان في الأردن، «وخلت مسيرتهم من عام 1950 وحتى 1968 من أي جهد عسكري حقيقي»[108]. والصراع مع مصر الناصرية أدى بهم إلى تبنّي موقف التحالف مع النظام الهاشمي بسبب التقاء مصالح الطرفين بعد عام 1955 (وحلف بغداد). وقد دخلوا الانتخابات البرلمانية كلّها في الضفة الغربية حيث تراوح عدد نوابهم بين أعوام 1956 و1988 من 2 إلى 4 نواب. وتراوحت عضويتهم في الضفة الغربية قبل العام 1967 بين 700 و1000 عضو كانوا موزّعين كالتالي: 25 في المئة تجار وملاّكين، 13 في المئة حرفيين، 13 في المئة عمال، 13 في المئة فلاّحين. وقبل العام 1967، لم يحظوا بأي تأييد بين الطلاب ونجاحهم الملحوظ كان بين اللاجئين في المخيمات الرئيسة وكان التنافس شديدًا بينهم وبين حزب التحرير[109].

4- الإخوان والضباط الأحرار[110]

في شهادات لعدد من الضباط الأحرار نقرأ وقائع عن قيام جمال عبد الناصر بعقد البيعة «للنظام الخاص» (الجهاز السري للإخوان) على المصحف والمسدس مع عبد الرحمن السندي (رئيس الجهاز) وبحضور المرشد حسن البنّا، أوائل العام 1946.[111] وبحسب الشهادات المذكورة، فإن الضباط السبعة الذين شكّلوا أول خلية «للنظام الخاص» بين ضباط الجيش المصري هم عبد المنعم عبد الرؤوف، حسين حمودة،

107 Amnon Cohen: Political Parties in the West Bank Under the Jordanian Regime 1949-1967 (Ithaca and London: Cornell University Press 1982), p.145.

108 أبو زايدة، مرجع سابق، ص 115.

109 المرجع نفسه، ص 161-164.

110 لتفصيل أوسع حول العلاقة بين الإخوان والضباط الأحرار انظر كتابي: الإخوان والجيش، دار المشرق، القاهرة، 2016.

111 وردت شهادة كمال الدين حسين في كتاب سامي جوهر «الصامتون يتكلمون»، المكتب المصري الحديث للنشر، القاهرة، 1976، ص. 97-98. وانظر أيضًا مذكّرات الضباط: حسين حمودة: أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمون، الزهراء للاعلام والنشر، القاهرة،1985، وعبد المنعم عبد الرؤوف: أرغمت فاروق على التنازل عن العرش، الزهراء للاعلام والنشر، القاهرة، 1988.

جمال عبد الناصر، كمال الدين حسين، سعد توفيق، صلاح الدين خليفة، وخالد محي الدين. ويؤكّد خالد محي الدين ذلك في مذكراته[112]. كما يذكر عبد اللطيف بغدادي في مذكراته أن الضباط الأحرار كانوا على صلة «بالنظام الخاص» وأن عبد الرحمن السندي حاول دمج التنظيمين وأخذ موافقة حسن البنّا على ذلك إلا أن الضباط الأحرار رفضوا هذا الأمر، إذ خافوا من الذوبان داخل بحر الإخوان[113].

إلا أن هناك روايات أخرى تعيد الاتّصالات الأولى للإخوان بالجيش إلى عام 1940. فالرئيس المصري الراحل أنور السادات يروي[114] أنه كان يقود مجموعة ثورية داخل الجيش تسعى إلى الحصول على دعم علي ماهر وعزيز المصري المعاديان بشدة للإنكليز، وأن تنحية علي ماهر من الحكومة صيف 1940 جعلت مجموعة السادات تركّز على عزيز المصري الذي كان على صلة قوية بحسن البنّا إلى حد أنه كان يسعى إلى توحيد الإخوان ومصر الفتاة. ويقول السادات إنه كان مع صديقه الضابط عبد المنعم عبد الرؤوف على صلة قوية بالإمام البنّا وإنهما إتصلا بعزيز المصري بواسطة البنّا نفسه والتقيا به في عيادة الدكتور إبراهيم حسن أحد قادة الإخوان عام 1940، وأنه جرى الاتفاق في هذا الاجتماع على توحيد العمل بين الإخوان وجماعة مصر الفتاة وضباط الجيش[115]. في حين يذكر حسين حمودة أنه جرى الاتفاق بين الفريق عزيز المصري وأنور السادات على تشكيل تنظيم سري في الجيش يرتبط بالإخوان[116].

أما الرئيس المصري الأول بعد الثورة محمد نجيب فقد ذكر[117] أن محمود لبيب (وهو ضابط تقاعد عام 1936 وبدأ العمل مع حسن البنّا كمستشار خاص له لفرق الجوالة وللشؤون العسكرية كما للإشراف على تجنيد وتدريب المتطوعين لفلسطين) أجرى أول اتّصال بالضباط الأحرار صيف 1944 حين التقى عبد الناصر في حديقة الحيوانات في الجيزة. ويؤكّد محمد نجيب أن الرجل الثاني في اللقاء مع الإخوان بعد عبد الناصر كان رشاد مهنا، ويأتي بعدهما كمال الدين حسين وحسين الشافعي، في حين أن عبد المنعم عبد الرؤوف وحسين حمودة وأبو المكارم عبد الحي، كانوا من ضباط الإخوان داخل الجيش[118]. غير أن حسين حمودة يؤكّد

112 خالد محيي الدين: والآن أتكلم، الجزء الأول، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1992.

113 عبد اللطيف البغدادي: مذكراتي، المكتب المصري الحديث، القاهرة، 1980.

114 أنور السادات: صفحات مجهولة من كتاب الثورة، صدر عن سلسلة كتب للجميع، العدد 84، مطلع العام 1954.

115 الصفحات 33-48 وأيضًا الصفحات 53-56 من كتاب السادات: صفحات مجهولة.

116 حمودة، مرجع سبق ذكره، ص185

117 في كتابه «قدر مصر»، بالانكليزية 1955، ص 32. و انظر أيضًا كتابه: كنت رئيسًا لمصر، المكتب المصري الحديث، القاهرة 1984

118 المرجع نفسه.

أن عبد المنعم عبد الرؤوف هو من أدخل عبد الناصر إلى الجمعية السرية للضباط عام 1944 وأنه ظلّ (أي عبد الرؤوف) المسؤول عن التنظيم السري في الجيش حتى نكبة فلسطين (15 أيار/مايو 1948) ومتعاونًا مع «القادة الروحيين للتنظيم وهم البنّا ولبيب والمصري»[119].

المهم في كل الأحوال أن هؤلاء الضباط كانوا يتحلّقون ويتجمّعون في أطر لم تكن بعيدة عن نشاط وتنظيم الإخوان وخصوصًا قيادة النظام الخاص، وتنظيم محمود لبيب.

إلا أن اللحظة التاريخية الحاسمة بلا شك حرب فلسطين وما تلاها. ويمكن القول إن تنظيم الضباط الأحرار اتّخذ شكله النهائي بقيادة عبد الناصر بدءًا من عام 1949 وبعد اغتيال حسن البنّا ووقوع الإخوان تحت سيف الملاحقة والاضطهاد وحصول فراغ كبير في قيادتهم بسبب عدم التمكّن من انتخاب مرشد يحل محل البنّا حتى آخر عام 1951.

فاصلة مهمة حول نجيب جويفل

نجيب جويفل هو شخصية إخوانية تاريخية لعبت دورًا كبيرًا خلال مراحل أزمات الإخوان ومرحلة الصراع بينهم وبين الضباط الأحرار ثم مرحلة نشوء حركة فتح وصراعها مع الإخوان، وصولاً إلى دوره في العلاقة ما بين الضباط الأحرار وفتح خلال سنوات طويلة. ولد محمد نجيب جويفل في محافظة الشرقية في مصر، وكان يتّسم بشخصية قوية وشجاعة، هذه الشخصية أهّلته أن يلتحق «بالنظام الخاص» لدى الإخوان المسلمين بعدما التحق بالإخوان في وقت مبكر. وكان يملك صفات قيادية في الخطابة والمخاطبة وكسب ود الشباب من حوله، والاندماج السريع بهم، كما كان جريئًا مقدامًا، يتدرّب على الأسلحة والمتفجّرات. شارك نجيب جويفل في عدد من أعمال «النظام الخاص» ضد المستعمر الإنكليزي في مصر مع حسن عبد الغني وقد لاحقتهما الشرطة، ففرا إلى فلسطين حيث انضما إلى قوات الإخوان المسلمين المتطوّعين هناك»[120].

دخل الفوج الثاني من متطوّعي الإخوان إلى فلسطين بقيادة الشيخ محمد فرغلي، وكان من بين أفراده الشهيد يوسف طلعت، وقد انضم إليهم فيما بعد كامل الشريف، وحسن عبد الغني، وحسن دوح، ومحمد سليم، ضمن كتيبة جديدة

119 حمودة، مرجع سابق، ص 186.

120 أنظر عدنان سعد الدين: الإخوان المسلمين في سورية، مذكرات وذكريات من خمسة أجزاء، دار عمار، عمان الأردن، 2006، المجلد الأول، ص 431-432.

من كتائب الإخوان المسلمين. ويذكر محمود الصباغ اشتراك جويفل بالعديد من المعارك وتميّزه بالجسارة والشجاعة خصوصًا في معركة بيرون إسحق الشهيرة[121].

ويذكر كامل الشريف في كتاب «الإخوان المسلمين في حرب فلسطين»: نجيب جويفل على رأس شباب الإخوان ممن أبلوا بلاء حسنًا وأظهروا كثيرًا من الشجاعة والمقدرة[122]. ويتذكّره أيضًا الحاج عبد الحميد الزهرة أحد القيادات العمالية في الرعيل الأول للإخوان، وأمير الكتيبة الثانية أثناء حرب فلسطين، قائلاً عنه إنه تميّز بالشحنات الإيمانية العالية التي يغرسها في المتطوّعين[123].

غير أن الدكتور مصطفى السباعي قائد المجاهدين الإخوان في سورية في حرب عام 1948 له رأي آخر يظهر فيه جويفل مغامرًا نزقًا وجريئًا:

> تعود بي الذاكرة الآن إلى واقعة قد تبدو صغيرة لكنها تعكس نزق الشباب وميلهم الفطري للمغامرة، كما تعكس حالة حرجة لا تحسمها إلا يد الله التي تعزل الموت عن الحياة، كان نجيب جويفل يقود أحد مواقعنا في «خزاعة» شرقي خان يونس في مواجهة مستعمرة «نيويم» وكان ذلك في الفترة التي مارس فيها نجيب هواياته الغريزية في التمرّد والتأليب، وقد ذهبت لزيارة الموقع ذات يوم، فقال لي على مشهد من الجنود إن هناك دوريات إسرائيلية تجوب المنطقة وإنه يعدّ لها كمينًا، واقترح عليّ أن نذهب معًا لمطالعة المكان، وقد أدركت أنه يقصد إحراجي وإظهاري بمظهر الضعف والجبن، فلم أملك سوى الموافقة رغم خطورة المغامرة، فقد كان الوقت عصرًا والساحات مكشوفة وقد نصبح هدفًا سهلاً لدوريات العدو بدل أن نجعلها هدفًا لنا.
>
> وهكذا ركبنا الخيول وعلى كتف كل واحد رشاشه، وتوغلنا بين «الحواكير» التي تعتبر منطقة معادية تخترقها الطرق الممتدة من المستعمرات وحين بدأت الشمس تميل نحو المغيب، كنا نحاول اجتياز ستار كثيف من شجر الصبر «التين الشوكي» حين سمعنا قهقهة الجنود والمجندات اليهوديات وراء

---

121 أنظر محمود الصباغ: حقيقة التنظيم الخاص؛ دار الاعتصام، القاهرة، 1407هـ، ص 179-220-222-246-247.

122 كامل الشريف، مرجع سابق، الصفحات 38-41 و65.

وقد نقلت موسوعة الإخوان على الإنترنت (إخوان ويكي) عدة شهادات في دراسة بعنوان: «محمد نجيب جويفل: اللغز المثير».

http://www.ikhwanwiki.com/index.php?title=%D9%86%D8%AC%D9%8A%D8%A8_%D8%AC%D9%88%D9%8A%D9%81%D9%84.

123 إخوان ويكي: المرجع نفسه.

> الساتر، ولمحنا شبح سيارتهم المصفّحة، كان الموقف حرجًا للغاية فنزلنا على أطراف الأصابع، وقد كتمنا الأنفاس، ويبدو أن خيولنا أحسّت بما نحن فيه فكتمت أنفاسها أيضًا، ولو بدرت منها أي حركة لجلبت علينا النيران من كلّ اتّجاه، لقد بقينا على هذه الحال فترة من الوقت حسبناها زمنًا طويلاً حتى خيّم الظلام، فانسحبنا بهدوء تتبعنا خيولنا الذكية حتى قطعنا مسافة معقولة ثم امتطيناها وتركنا لها العنان... تمت المنازلة الصامتة التي دعاني إليها هذا المغامر الجريء بسلام، لكن بقي منها درس لا ينسى وهو أن التنافس والمزايدة تكون عادة على حساب الأمن والسلامة والمصلحة، ولا بد من تفادي أسبابها إذا أريد للعمل أن يكون محكمًا، وأن يحكمه التخطيط الرصين والمسؤولية وليس مجرد تسجيل النقاط، غير أن هذه الحادثة توضح مفتاح شخصيته.[124]

نجيب جويفل وقضية حامد جودة وقصة الهروب عام 1949

في 6 أيار/مايو 1949، حاول بعض الإخوان من «النظام الخاص» اغتيال رئيس الوزراء إبراهيم عبد الهادي إلا أنهم أخطأوه وأطلقوا الرصاص على حامد جودة رئيس مجلس النواب إذ كانت سيارته تشبه سيارة إبراهيم عبد الهادي؛ غير أن جودة نجا وأصيب حارسه وقبض على بعض الإخوان، وقدّموا للمحاكمة. أحالت النيابة العامة عشرة متهمين في هذه القضية إلى القضاء العسكري أبرزهم نجيب جويفل... وتعرّض هؤلاء للتعذيب الشديد... حكمت المحكمة عليهم بأحكام كبيرة، وكان محامي دفاع نجيب جويفل حسن عشماوي، من أركان «النظام الخاص»، ومن الذين تعاونوا مع عبد الناصر لاحقًا... وبعد صدور الأحكام عمد جويفل إلى الهرب في عملية جريئة يرويها صلاح شادي في مذكراته[125].

جويفل والسندي والصدام مع الإخوان

بعد أن حكم القضاء بعودة الجماعة وإلغاء قرار الحل الذي كان أصدره النقراشي باشا، ثم اختيار المستشار حسن الهضيبي ليكون مرشدًا عامًا للإخوان المسلمين، كان من الأمور التي استقر عليها حلّ «النظام الخاص» وتشكيله على صورة جديدة

---

124 المرجع نفسه.

125 صلاح شادي: صفحات من التاريخ: الإخوان المسلمين وسنوات الحصاد، الصفحات 58-61.

لا تجعل عمله بصورة سرية. لكن قادة النظام اعترضوا على ذلك وناصبوا المستشار ومكتب الإرشاد العداء... وكان لهذا الاعتراض أثره على قادة «النظام الخاص» الذين وقفوا في صف عبد الناصر، مما حدا بالهيئة التأسيسية للاجتماع والنظر في هذا الأمر واستمعوا لقادة «النظام الخاص» أمثال عبد الرحمن السندي ومحمود الصباغ كما استمعوا لبعض الإخوة الذين أيدوا موقف السندي ضد مكتب الإرشاد أمثال صالح عشماوي ومحمد الغزالي وعبد العزيز جلال، غير أن هؤلاء رفضوا قرارات الهيئة التأسيسية مما دفها لإصدار قرار بفصل هؤلاء من الإخوان وقطع الاتصال بهم[126].

ويقول محمود عبد الحليم:

في يوم الأربعاء 25 من شهر ربيع الأول 1373هـ الموافق 2 من ديسمبر 1953م أحال إلينا مكتب الإرشاد العام تقرير اتهام موجه إلى الإخوان الأساتذة صالح عشماوي ومحمد غزالي وأحمد عبد العزيز جلال للفصل في أمرهم، باعتبارهم موضع اختصاص اللجنة لأنهم أعضاء في الهيئة التأسيسية. وفي أول جلسة عقدتها اللجنة في مساء اليوم المذكور، تقدّم الأخ الأستاذ عبد العزيز كامل رئيس اللجنة برغبته إلينا في التنحّي عنها خلال فترة نظر هذه القضية لأنه شاهد فيها، فأقرّت اللجنة رغبته وانتخبت الأخ الأستاذ محمود عبد الحليم رئيسًا لها خلال هذه الفترة.

وبعد أن قرأت قائمة الاتهام وهي تتضمن ستة عشر اتهامًا، رأت استدعاء بعض من وردت أسماؤهم في التقرير... ثم استدعت اللجنة الأخ الأستاذ نجيب جويفل واستمعت إلى شهادته في واقعة معينة ورد ذكر اسمه فيها في شهادة الأستاذ محمد فرغلي. غير أن هؤلاء الإخوة اعترضوا على قرار الفصل ودفع السندي ببعض الإخوة بالذهاب للمستشار الهضيبي في بيته بالمنيل في محاولة لإثنائه ومكتب الإرشاد عن قرار الفصل لكن الأمر تطور وتطاول البعض عليه في محاولة لإجباره على التنحي عن المرشد العام غير أنه رفض، وعنّف بعض الإخوة المشاركين مَن طلب مِن الأستاذ ذلك، وعلى رأسهم الأستاذ عبد الرحمن البنان الذي قال: ما جئنا لنطلب من المرشد العام التنحّي عن منصبه لكن جئنا لنطلب منه أن يعيد التفكير في قرار فصل قادة النظام، وما دام الأمر تطوّر فلا بد أن نرحل.

واستجاب له عدد من الإخوان ورحلوا إلى المركز العام واعتصموا به. غير أن الجهود استطاعت أن تفض هذا الاعتصام وتتضح الأمور أمام كثير من

126 يتحدث صلاح شادي عن دور نجيب جويفل في هذه الأزمة، الصفحات 81-83 من كتاب سنوات الحصاد، مرجع سابق.

الإخوة الذين قدّموا اعتذارهم على سوء فهمهم للموقف، وكان نجيب جويفل ضمن المجموعة التي شاركت في الذهاب للمرشد والاعتصام في المركز العام.

وسار الأمر حتى وقعت محنة يناير عام 1954 بعد حل الجماعة من قبل رجال الثورة واعتقال قادتها حتى مارس من نفس العام. وبعد خروج الإخوان والتي انتهت بتظاهرة عابدين التي أعادت مرة أخرى محمد نجيب رئيسًا لمصر، حدث صدام آخر مع رجال الثورة حينما اعترض الإخوان على اتفاقية الجلاء التي وقعها عبد الناصر مع الإنجليز لما تضمنته لبنود مجحفة بحق مصر، مما أدى إلى الصدام الشديد وذلك أثناء سفر المستشار حسن الهضيبي إلى بلاد الشام. مما دفع بالمستشار الهضيبي للرجوع إلى مصر لإدارة الأزمة التي تتعرّض لها الدعوة، غير أن بعض الإخوة الذين ذهبوا معه رفضوا الرجوع أمثال عبد الحكيم عابدين وسعيد رمضان وسعد الدين الوليلي. وحينما وقع حادث المنشية أواخر شهر أكتوبر عام 1954 وزجّ بالإخوان إلى المعتقلات ثم المحاكمات والتي حكمت على بعضهم بالإعدام غير الأحكام الأخرى لباقي الإخوان. وقد أسقط عبدالناصر الجنسية عن بعض الإخوان كان منهم نجيب جويفل..[127].

يقول الشيخ يوسف القرضاوي في مذكراته:

أواخر سبتمبر (1954) وصلت الأزمة إلى ذروة مرحلة خطرة؛ إذ صدر قرار في 23 من الشهر من مجلس قيادة الثورة بنزع الجنسية عن ستة من المصريين بزعم أنهم أساءوا إلى سمعة بلادهم في الخارج، وأضرّوا بعلاقاتها مع جيرانها العرب، وكانت تهمتهم «خيانة الأمة»! وكان الستة جميعًا في الخارج في ذلك الوقت وهم: سعيد رمضان، وعبد الحكيم عابدين، وسعد الدين الوليلي، ومحمد نجيب جويفل، وكامل إسماعيل الشريف، (وهؤلاء جميعًا من الإخوان المسلمين)، ثم محمود أبو الفتح وهو وفدي بارز وأحد أفراد الأسرة التي تملك الصحيفة الوفدية (المصري)، وقد اعتبر حليفًا للإخوان، بجانب أمور أخرى اتُّهم بها[128].

127 في الجزء الثالث من كتاب الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ تحت عنوان «التقرير التفصيلي للجنة تحقيق العضوية في قضية الأساتذة صالح عشماوي والشيخ محمد الغزالي وأحمد عبد العزيز جلال»، الصفحات 81-86.

128 الموقع الرسمي للشيخ القرضاوي على الإنترنت، المذكرات، الحلقة 36 بعنوان: أول رحلة إلى بلاد الشام. انظر الرابط:

http://www.qaradawi.net/new/Articles-8636

جويفل في سورية ولبنان

بمعزل عن الاتهامات الإخوانية بعمالة جويفل للمخابرات الناصرية فإن مما لا شك فيه أن الرجل تعامل مع النظام المصري الناصري منذ الانقسام داخل الإخوان ووقوف جماعة «النظام الخاص» ضد المرشد حسن الهضيبي. وقد كان لنجيب جويفل تأثير كبير على وضع الإخوان في سورية ولبنان والأردن وفلسطين خلال تواجده في تلك البلاد.

يقول كمال الشريف[129]:

> كانت معرفتي بنجيب جويفل لأول مرة في معسكر النصيرات شمالي دير البلح قبل أن ننتقل إلى معسكر البريج بعد جلاء كتيبة الجيش البريطاني منه عام 1948. كان نجيب واحدًا من مجموعة من طلاب الجامعات الذين هجروا الأهل والدراسة وجاءوا للالتحاق بكتائب الجهاد، ولم أكن أعلم حين تعرّفت به أن زمالتنا سوف تطول وتمتد أكثر من ثلاثين سنة، وأنها ستعبر بنا بلدانًا وحالات مختلفة، وأنها ستصبح فصلاً تمتزج فيه الصداقة مع العداوة، والمثالية مع الواقعية، والإيمان وما يناقضه مع أخلاق الناس.
>
> غريب هذا الإنسان المخلوق، الذي يستطيع أن يجمع في إهابه كلّ الميول والنقائض، ويتحرّك بين الحدين اللذين وضعه الله بينهما حين قال «لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين» وفي يده أن يعلو حتى يخالط الملائكة، أو ينحدر حتى يعايش الشياطين.
>
> كان نجيب جويفل جريئًا شجاعًا وكان يتمتع بصفات قيادية نادرة فهو محدّث بارع، وخطيب مفوّه، وكان لديه قدرة غير عادية على كسب من حوله، ولذلك أصبح الباب مشرعًا أمامه لكي يصعد في مدارج المسؤوليات والقيادات، فإذا اجتمعت تلك المواهب الطبيعية النادرة مع طموح لا حد له أصبح الرجل شحنة هائلة قابلة دائمًا للانفجار، وهكذا كان نجيب جويفل.
>
> يعرف الكاتب الساخر أوسكار وايلد الطموح بأنه الملجأ الأخير للفشل! ولو تركنا السخرية جانبًا نجد الطموح في ناحية يأتي كرد فعل عن الفشل في نواح أخرى، ويكون الطموح أخطر ما يكون إذا كان الإنسان لا يملك الوسائل لتلبية ذلك الطموح، مما يدفع لاستباحة القيم وتنكّب المبادىء، والاندماج نحو الجريمة، كما تغنّى المتنبي في مطلع شبابه:

129 تنسب مواقع الإخوان هذه الكلمة إلى مصطفى السباعي. أنظر: "محمد نجيب جويفل: اللغز المثير".

http://www.ikhwanwiki.com/index.php?title=%D986%%D8%AC%D98%A%D8%A8_%D8%AC%D988%%D98%A%D981%%D984%

> أي محل أرتقي أي عظيم أتقي
>
> وكلّ ما خلق الله وما لم يخلق
>
> محتقر في همتي كشعرة في مفرقي!
>
> وقد حمله هذا الطموح الهائج إلى حتفه كما هو معلوم.
>
> وفي مناخ العمل السري تثور تلك الميول وتنتعش وقد تستعين بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وتخرجها عن سياقها لتجعل منها سندًا وذريعة لأدنى النزعات البشرية، ألم تر كيف برر الخوارج لأنفسهم التمرّد على الخلفاء، وشقّ الصف الإسلامي، وإثارة الرعب بين المسلمين تحت شعار «لا حكم إلا لله".
>
> كان لدى نجيب جويفل قدرة عجيبة على شقّ أي مجموعة متحدة عن طريق «المزايدة» وأخذ مواقف التطرّف، وهذا النوع يروج في الجماعات الإسلامية أكثر من غيرها لأنه ينفق من رصيد عاطفي زاخر يستطيع أن يبرز فيه تراث خالد بن الوليد، وأبو عبيدة، وغيرهم من أبطال الإسلام، بعد أن يضع حولهم ببلاغته هالة مضاعفة، وقد استطاع نجيب أن يشق معسكر البريج لعدة «شلل» حتى اضطررت لاعتقاله في انتظار ترحيله، ولكنه هرب في مرحلة ما وعلمت بعدها أنه ذهب للاشتراك في عملية عنيفة في بلد عربي، ثم ظهر في احتلال المركز العام، وحين حط بنا المقام في المنفى وجدناه ما دخل بلدًا إلا أحدث فيه انشقاقات، إلا أن الختام المفجع قد وقع حين ظهر في بزته العسكرية ضابطًا في المخابرات العسكرية![130]

ويقول الشيخ يوسف القرضاوي:

> بقيت في حمص نحو عشرة أيام مليئة بالحيوية والنشاط في إطار السرية المفروضة على العمل الإسلامي، وكان يقيم في حمص أخونا محمد نجيب جويفل رجل النظام الخاص، هو وصديق رفيقي محمد علي سليم، وكلاهما شرقاوي، ولكنه لم يكن موجودًا بحمص ولا بسورية فترة بقائي بها، فلم يتح لي أن ألقاه.وقد اختلف الإخوة السوريون في دور جويفل في إخوان سورية، وبعضهم يحمّله تبعة ما حدث من انقسام هناك، وليس عندي علم بتفاصيل ذلك، وقد أفضى إلى ما قدم، سامحه الله وجزاه

130 صفحة مذكرات كمال الشريف، الحلقة التاسعة، على الرابط التالي:

http://www.kamelalsharif.com/ui/english/ShowArticle.aspx?ArticleId=193&CatId=9&SubId=7

بنيته. ولقد نزل مصر بعد ذلك وكان من الرجال الذين تعاونوا مع الثورة ومخابراتها.[131]

ويقول عدنان سعد الدين:

> في مطلع الخمسينات من القرن الماضي، وعندما ضيّق أديب الشيشكلي الخناق على الشيخ الدكتور مصطفى السباعي مراقب الجماعة وقائدها، وعلى إخوانه من قادة الجماعة، واضطر إلى مغادرة دمشق إلى لبنان، لم يجد شيخنا من يسدّ فراغه وينوب عنه مثل الأخ عبد الكريم عثمان ليقوم بمهمة المراقب العام وكالة، ولما يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره الميمون. كانت حركة الانشقاق التي قادها ضابط المخابرات الناصرية نجيب جويفل، ومن التفّ حوله من دمشق وحمص وإدلب، قد استفحلت، وصارت تشكّل خطرًا على كيان الجماعة، فرأى المنشقّون في الأخ عبد الكريم عثمان سدًا في طريقهم، وعقبة أمام تطلعاتهم، وإحباطًا لمخططاتهم، فهدّده أحدهم، هشام جندل الرفاعي، بالتصفية إذا لم يوافقهم، ويذعن لهم، أو على الأقل لا يعترض سبيلهم، فإذا بالأخ الوديع ذي الحاشية الرقيقة يتحوّل بلحظة إلى غضنفر، يواجه شططهم بموقف صلب، وعزيمة غير مألوفة ولا متوقعة، متحدّيًا المنشقين أن يفعلوا ما يعن لهم، فإذا بهم يرجعون القهقرى، ويرضون من سوء خلقهم بالإياب والتراجع، وطي صفحة التمرّد الذي قاده ضابط المخابرات الناصرية نجيب جويفل وعصابته التي تبعثرت، وكأنها لم تكن، أمام صلابة الإخوان، وعلى رأسهم عبد الكريم عثمان والإخوة المخلصون في دمشق، وثباتهم وتلاحمهم، والتفافهم حول قيادتهم، وعلى رأسها فضيلة مراقبهم الفذ الشيخ الدكتور مصطفى السباعي طيب الله ثراه، وتلاشت حركة الضلال، وذهبت أدراج الرياح، ولم نعد نعثر لها على أثر...

كان هذا الانشقاق -الثاني- عام 1953 كبيرًا وخطيرًا وكاد أن يطيح بالجماعة ويقضي عليها، إذ شاركت فيه قوى داخلية من داخل الجماعة، كما شاركت فيه قوى خارجية وأجهزة مخابرات دولية وعربية، كان عبد الناصر في مقدمتها وعلى رأسها، وكان أشد تأثيرًا في ذاك الانشقاق عندما استطاع تجنيد عناصر إخوانية سباقة خرجت على الجماعة، وارتبطت بالمخابرات المصرية. كان نجيب جويفل أبرزها وأخطرها، وأشدها فتكًا في التنظيم

---

131 الموقع الرسمي للشيخ القرضاوي على الإنترنت. المذكرات. الحلقة 36 بعنوان: أول رحلة إلى بلاد الشام. انظر الرابط:

http://www.qaradawi.net/new/Articles-8636

> الذي يعرف الكثير من خفاياه وخباياه وأشخاصه ونقاط الضعف فيه، وقد أحرز نجاحًا كبيرًا في مهمته التدميرية عندما استطاع شراء عناصر إخوانية سورية من داخل التنظيم، باعت نفسها بمكاسب ومناصب ومواقع رخيصة، كان من أبرزها عبد المجيد الطرابلسي من حمص، وأنور حمادة من إدلب، وآخرون أقل أهمية في دمشق واللاذقية وحمص وغيرها.
>
> إن الذي ساعد الجماعة في هذه المحنة الكبرى، وخروجها منها معافاة، مبادرة قائدها السباعي الذي دخل سرًا إلى سورية -رغم ملاحقته- ليتصل بشرائح الجماعة في معظم مراكزها، وكشف لهم دناءة بعض المصريين والسوريين الذين باعوا أنفسهم لأعداء الدعوة بثمن بخس، وكذا وعي جمهرة كبيرة من قواعد الإخوان، ولاسيما في مركزي حلب وحماة اللذين ارتابا منذ البداية من حركة نجيب جويفل، وأغلقا في وجهه ومن معه الأبواب، وقطعا عليهم دروب الفتنة والكيد، وألقيا بثقلهما مع القيادة الإخوانية الشرعية بقيادة الشيخ السباعي، فكان في ذلك ترجيح للجماعة، وفشل ذريع لرؤوس الفتنة الذين لاذوا بالفرار والإدبار.[132]

كما أن زهير الشاويش يعزو «تأثير المدّ الناصري على جماعة عباد الرحمن بلبنان إلى تسلّط نجيب جويفل على الجماعة سنة 1954 م، ومن المعروف أن نجيب جويفل كان من الإخوان المسلمين المصريين الذين انتقلوا إلى العيش خارج مصر، وكان يقدّم نفسه على أنه من كوادر الإخوان وهناك اتهامات لنجيب جويفل بأنه أثار الفتنة وسط الإخوان في أكثر من بلد، وبأن له ارتباطات سرّية بمخابرات عبد الناصر وهذا ما أثّر برأي الشاويش على بعض أعضاء الجماعة، وهنا جرى الانشقاق».[133]

وبحسب عدنان سعد الدين، «نقل نجيب جويفل نشاطه المخابراتي التخريبي من سورية بعد أن انفضح أمره لدى الإخوان في جميع المراكز إلى السودان فطرده الإخوان منها، وإلى لبنان فأخفق في مسعاه، وإلى الأردن متزلّفًا للمراقب العام محمد عبد الرحمن خليفة، ثم إلى الجزائر دعمًا لبن بيلا حليف عبد الناصر، وقام

---

132 عدنان سعد الدين؛ من مقالة له بعنوان»عبد الكريم عثمان، نجم سطع وسرعان ما رحل«، على موقع رابطة أدباء الشام. انظر الرابط:

http://www.odabasham.net/%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AC%D9%85/54393-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%83%D8%AA%D9%88%D8%B1-%D8%B9%D8%A8%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B1%D9%8A%D9%85-%D8%B9%D8%AB%D9%85%D8%A7%D9%86

133 الجماعة الإسلامية في لبنان منذ النشأة حتى 1975، إعداد أمل عيتاني، عبد القادر علي، معين مناع، تحرير وإشراف الدكتور محسن صالح.

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، 2010، ص 37.

بتفجير في فندق الصنوبر، فانكشف أمره، وألقت السلطات الجزائرية القبض عليه. وفي الكويت استمال فريقًا بدعوى تحييده في النزاع بين الإخوان وعبد الناصر، غير أن الفريق الموالي للجماعة تغلّب على الفتنة، ونبذ فكر الحياد، فباءت جهود جويفل بالفشل، فانطوت هذه الصفحة السوداء من صفحات المؤامرة. وبعد فشل إعادة الوحدة بانقلاب 1962/3/28 حاول محمد نسيم ونجيب جويفل عمل انقلاب آخر للعودة للوحدة مع نظام عبد الناصر غير أنهم فشلوا».[134]

لم يكن نجيب جويفل هو الشخص السيئ على طول الخط. فبالرغم مما قام به ضد الإخوان في سورية، ومحاولته زعزعة الاستقرار في الصف الإخواني في أكثر من مكان إلا أنه كان خدومًا لإخوانه في بعض الحالات، خصوصًا المصريين. عن ذلك يقول الفريق عبد المنعم عبد الرؤوف أحد ضباط ثورة يوليو المصرية: «أثناء وجودي بتركيا هربًا من عبد الناصر اتصلت بالأخ الأستاذ نجيب جويفل لعله ينهي موضوعي مع السلطات المصرية وجاءني الرد يقول: أرجو أن تكون مطمئنًا إني أبذل قصارى جهدي لحل موضوعك، ولا أترك فرصة تمر دون الاستفادة منها، وقد قطعت في هذا الطريق مرحلة لا بأس بها وأرجو أن يصلك قريبًا ما يريحك. أكتب إلي بكل ما يلزمك فإنه يسعدني ذلك. ختامًا لك خالص تحياتي وأطيب تمنياتي والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، تحريرًا في 1960/4/15»... وفي خلال هذه المدة صرف لي المعاش التقاعدي عن طريق السفارة المصرية، وذلك بمساعدة الأخ نجيب جويفل إذ وصلتني رسالة بتاريخ (1962/12/27 يقول فيها: أنا يا أخي لا أدّخر جهدًا في إنهاء موضوعكم وقد تقدّمت لهم باقتراح صرف المعاش وجواز السفر وقد علمت أن المعاش صرف وعندي موعد معهم السبت بخصوص جواز السفر. فأرجو ألا تقلق ولا تتحرّك من عندك حتى يصلك مني ما يفيد»[135].

ويقول الأستاذ عبد الرحمن البنان في مذكّراته:

> قررتُ الهروب من مصر غير أن وزارة الداخلية رفضت استخراج جواز سفر لي لكوني من الإخوان. غير أني تقابلت بالصدفة مع شخص عزيز، قابلني في حرب فلسطين هو الأخ نجيب جويفل، وكان يمتاز بشجاعة وإقدام غير عاديين، ولقد علمت أنه لم يعتقل مثلنا؛ لأنه كان له صلة شخصية بجمال عبد الناصر، ولقد سمعت أنه يعمل معهم في المخابرات، ورحّب بي

134 الإخوان المسلمون في سوريا: ما قبل التأسيس وحتى عام 1954 مذكّرات وذكريات؛ دار عمار للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 2006، المجلد الأول، ص 437.

135 في كتابه أرغمت فاروق على التنازل عن العرش. نقلاً عن ويكيبيديا الإخوان المسلمين: محمد نجيب جويفل اللغز المثير. انظر الرابط:

http://www.ikhwanwiki.com/index.php?title=%D9%86%D8%AC%D9%8A%D8%A8_%D8%AC%D9%88%D9%8A%D9%81%D9%84

نجيب جويفل، فهي زمالة الميدان، وكان -في الحقيقة- يعتبرني تلميذًا له، فقد خرجت معه عدة دوريات في فلسطين، وسألني نجيب باهتمام شديد عن أخباري، فقلت له: باختصار شديد، عندي رغبة في السفر بعد هذه المعاناة الطويلة، فسألني عن أي بلد أريد السفر إليها؟ فقلت له: الكويت؛ حيث يعمل أخي، فقال لي بثقة شديدة: اعتبر نفسك في الكويت، يا عبد الرحمن، جهّز نفسك، واستخرج جواز سفر، وقابلني بعد أسبوع، ومعك جواز السفر، قلت له: لقد ذهبت إلى وزارة الداخلية ورفضوا، قال لي: لا عليك، اعتمد على الله، وكان يتكلّم بثقة شديدة، وكنت أعلم عن نجيب جويفل أنه رجل صادق، ولكني رغم ذلك أعطيته كلّ البيانات الخاصة بي في ورقة، وانصرفت غير مصدق ما حدث، هل هذا حلم آخر؟!

في اليوم التالي ذهبت إلى المجمع في «التحرير»، وأخذت معي كلّ الأوراق المطلوبة من شهادة ميلاد وبطاقة وصور، ولكنهم أخبروني أنه لا بدّ من شهادة بموافقة جهة العمل، أو استقالة، وفي جهة العمل رفضوا الموافقة على سفري، فأقدمت على تقديم استقالتي، وهي مغامرة غير محسوبة، اعتمادًا على كلمة نجيب جويفل لي، فماذا إذا لم يستطع نجيب إحضار التصريح لي بالموافقة على سفري، سأجد نفسي من غير عمل، ولا مورد، ولكني توكلت على الله، وقدّمت استقالتي، وأعطوني ورقة بخلو الطرف، وقدّمتها للجوازات في آخر يوم قبل موعدي مع نجيب جويفل، وقابلني بتجهّم في وجهه، فأحسست أنه فشل في مهمته، وفي وعده، وأنني خسرت عملي أيضًا، ولكنه عاد، وابتسم مطمئنًا لي، وقال لي: لقد أحببت أن أختبر أعصابك، يا عبد الرحمن، مبروك، تستطيع الآن أن تسافر، وتقدّم هذه الورقة في المطار، ووجدتها مختومة بختم النسر، ومكتوب فيها: «يصرح لحاملها فلان بالخروج والسفر إلى دولة الكويت»، شكرته كثيرًا، وعدت إلى المنزل[136].

وحينما منع الشيخ يوسف القرضاوي من السفر قابل صلاح نصر من أجل الخروج من مصر إلى قطر قال له صلاح نصر: «إنّ همزة الوصل بيننا هو واحد منكم تعرفونه ويعرفكم، هو الأستاذ محمد نجيب جويفل، وسيرتّب معكم طريقة الاتصال بكم، وسأصدر الأوامر برفع الحظر عن سفركم، ويُمكنكم أن تستعدّوا للعودة إلى قطر متى شئتم"[137].

136 نقلاً عن ويكيبيديا الإخوان المسلمين: محمد نجيب جويفل اللغز المثير. المرجع نفسه.

137 كما ورد في حديث الدكتور يوسف القرضاوي في النبأ العدد 134 الأربعاء 8 صفر 1432 هـ الموافق 12 يناير من عام 2011.

نجيب جويفل وحركة فتح

يقول الدكتور محمود جامع:

> في أحد الأيام. أيام كان أنور السادات نائبًا لرئيس الجمهورية ويقطن في فيلا بشارع الهرم، وكنت أجلس معه. وإذا بعبد الناصر يدخل فجأة وبصحبته الأخ نجيب جويفل الإخواني المعروف والذي كان عبد الحكيم عامر قد عرّفه بعبد الناصر فاحتضنه عبد الناصر وجعله ضابط اتصال مع منظّمة فتح وياسر عرفات. وجمعتنا غرفة واحدة نحن الأربعة حتى خرجت أنا وهو من الغرفة وتركنا عبد الناصر والسادات على انفراد وجلسنا نحن سويًا. وبعد ذلك اكتشف عبد الناصر مؤامرة لنسف المنصة التي كان يشاهد منها استعراض القوات المسلحة يوم عيد الثورة أمام فندق هيلتون، وأن مدبر المؤامرة هو نجيب جويفل واتهم معه الضابط عبد القادر عيد مدير مكتب عبد الحكيم عامر وآخرين وقُبض عليهم وحوكموا، وحُكم عليهم بالأشغال الشاقة. ولكن نجيب جويفل هرب واختفى بسرعة البرق وظهر في لبنان، وتعقّبته أجهزة عبد الناصر وحاولوا خطفه في بيروت ووضعه في صندوق وشحنه إلى مصر. ولكنه اكتشف هذه الخديعة وفشلت الخطة وعادوا إلى مصر دون تنفيذ مهمتهم[138].

ويبدو أن نجيب جويفل «ظهر بعدما أمضى سنوات في الأردن وسورية والكويت باعتباره أحد الإخوان الفارين من عبد الناصر، ضابطًا برتبة عميد ثم لواء يعمل بصفة رسمية دبلوماسية منسقًا مع الحركات الفلسطينية في الأردن ثم في بيروت، وكان قد غادر عمّان في أزمة عام 1970 على طائرة الرئيس السوداني الأسبق جعفر النميري، عندما حضر إلى عمّان في محاولة للتوسط بين الحكومة الأردنية والمنظمات الفدائية الفلسطينية، ثم عاد بعد ذلك لمصر واستقر بها حتى توفاه الله في 3/ 6/ 1987 م».[139]

إذن جاء نجيب جويفل الأردن خلال أحداث أيلول 1970 «وقد خلع القناع الإخواني، وارتدى زيًا آخر، واتخذ من اللويبدة مكتبًا له للارتباط، قريبًا من مكاتب رصد «فتح» ومدارس الأقصى، وتمتّع بالحصانة الدبلوماسية، باعتباره وزيرًا مفوضًا بالسفارة المصرية، وكان له دور كبير في تمكين الرئيس عرفات خلال أحداث أيلول /1970 من الوصول إلى مؤتمر القمة في القاهرة متنكّرًا بعباءة وبعمامة سودانيتين»[140].

---

138 في كتابه وعرفت السادات، نقلاً عن ويكيبيديا الإخوان المسلمين: محمد نجيب جويفل اللغز المثير، مرجع سابق.

139 إبراهيم غرايبة: من مقالة له في جريدة العرب العدد 7714 الموافق الأحد 26 يوليو 2009 م، 4 شعبان 1430 هـ.

140 من مقالة للدكتور موسى الكيلاني بعنوان «نجيب جويفل» في جريدة الراي الأردنية بتاريخ 13-12-2011.

وقد أكد هذا الكلام شهادة ابن نجيب جويفل الذي قال: «أنا كنت موجودًا في أحداث أيلول الأسود في الأردن كنا ساكنين في منزل كان مستأجرًا من السيد محمد رسول الكيلاني، الذي كان وزير الداخلية ومدير المخابرات وكان المنزل يخص جهاز المخابرات وكان عبارة عن فيللا دورين الدور الأرضي كان المكتب والدور الفوقاني كان السكن. في أحداث أيلول الأسود بدأت المذبحة وفورًا بعدها حصل حظر تجوال... البيت الذي كان فيه ياسر عرفات وأبو جهاد وحسن سلامة والمجموعة التي كانت موجودة كلّها. وجاؤوا أخذوهم النميري والصباح والقليبي وحسين الشافعي الله يرحمه وجاؤوا أخذوهم من البيت عندنا. نمرة واحد ياسر عرفات. لما خرج ياسر عرفات من البيت من عندنا. في الفترة التي قضاها عندنا كان في المكتب بالطابق الأعلى لأن أجهزة اللاسلكي كانت موجودة على السطح وكان يتصل بالقيادة المصرية من هذا المنزل، ده نمرة واحد. نمرة اثنين، جاء الفريق صادق مع المجموعة وأخذوا ياسر عرفات من البيت مع القيادات التي كانت موجودة: أبو جهاد وحسن سلامة وغازي الحسيني وأخذوهم من المنزل من عندنا ونزلوا بمصفحات وكان عرفات لابس دشداشة ولم يكن يعلم أي أحد من الأردنيين بوجود ياسر عرفات ولا المجموعة التي جاءت تأخذهم من هذا المنزل نهائيًا وكانت مفاجأة لهم لما حضر مؤتمر القمة...»[141]

5- دور الإخوان بين الطلبة الفلسطينيين في جامعات مصر

في أوراق فتحي البلعاوي[142] المحفوظة لدى المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (الدوحة، قطر)[143] (وهي أوراق كان أعدّها البلعاوي من أجل محاضرة ألقاها في

---

141 وردت شهادته في اتصال هاتفي مباشر خلال حلقة من برنامج بلا حدود (بتاريخ 2008/11/10) مخصصة لردود الفعل على شهادة الفريق الركن نذير رشيد مدير المخابرات ووزير الداخلية الأردني الأسبق. انظر نص المقابلة وكلام عاصم جويفل على الرابط التالي:

http://www.aljazeera.net/programs/withoutbounds/200810/11//%D8%AA%D8%B3%D8%A7%D8%A4%D984%%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D984%%D985%%D8%B4%D8%A7%D987%%D8%AF%D98%A%D986-%%D8%AD%D988%%D984-%%D8%B4%D987%%D8%A7%D8%AF%D8%A9-%D986%%D8%B0%D98%A%D8%B1-%D8%B1%D8%B4%D98%A%D8%AF#L5

142 محمد فتحي البلعاوي الملقب أبو الوطنية، ولد في قرية بلعا بالقرب من مدينة طولكرم في عام 1926 ومن هنا نسبه البلعاوي. إلتحق في عام 1945 بكلّية اللغة العربية في الأزهر الشريف والتحق حينها بجماعة الإخوان المسلمين. إعتقلته السلطات المصرية في عام 1953 وأبعدته إلى قطاع غزة حيث عمل مدرّسًا وأسس هناك نقابة المعلمين الفلسطينيين. إعتقل في غزة في عام 1955 بسبب قيادته للتظاهرات ضد التوطين والإسكان ثم عاد إلى القاهرة وأنهى دراسته ليسافر للعمل في قطر مدرّسًا وموجّهًا تربويًا فمديرًا لدائرة المناهج في وزارة التعليم القطرية. هو من الرعيل الأول المؤسس لحركة فتح وقد عاد إلى فلسطين بعد اتفاق أوسلو ليعمل وكيلاً مساعدًا لوزارة التربية والتعليم الفلسطينية. توفي في مدينة غزة عام 1996.

143 أنظر دراسة معين الطاهر عن هذه الأوراق، والمنشورة في مجلة أسطور (دورية نصف سنوية تعنى بالدراسات

الدوحة خلال عمله فيها نهاية السبعينات من القرن العشرين وتناولت وضع الطلاّب الفلسطينيين في القاهرة بين السنوات 1945-1955)، نعثر على أفضل تأريخ لوضع الطلاّب الفلسطينيين في مصر ولدور الإخوان في تنظيمهم وتعبئتهم خلال تلك السنوات.

يقسّم بلعاوي الطلاّب الدارسين في الجامعات المصرية إلى قسمين: أبناء الأثرياء وكانوا في الجامعة الأميركية وجامعة الملك فؤاد الأول، وأبناء الفقراء وكانوا من ضمن الطلاّب الشوام (من فلسطين والأردن وسورية ولبنان) الدارسين في جامعة الأزهر والمقيمين في رواق الشام. وبحسب البلعاوي، فإن الطلاّب من الفئة الأولى (وكان عددهم نحو خمسة وعشرين طالبًا) اجتمعوا في عام 1946 في فندق شبرد من أجل تشكيل وفد للقاء الحاج محمد أمين الحسيني العائد من منفاه إلى القاهرة. أما طلاّب الفئة الثانية، فاجتمعوا لأول مرة بعد النكبة وألّفوا لجنة منهم حملت اسم: «اتحاد الطلبة الفلسطينيين الأزهريين»، «ويبدو من السياق أن جلّ اهتمام هذه اللجنة كان السعي لتأمين وسائل مساعدة للطلاّب الفقراء أصلاً»[144]... ويروي البلعاوي عن تلك الفترة أن اجتماعًا عقد في المركز العام للإخوان المسلمين وقف المتحدّثون فيه يحثّون الشباب على الذهاب إلى معسكرات التدريب في قطنة بالقرب من دمشق ليزجّوا في جبهات القتال تحت قيادة البطل الشهيد أحمد عبد العزيز أو الشاب المجاهد الأستاذ كامل الشريف...[145]

ويروي البلعاوي قصة تشكيل رابطة أو اتّحاد للطلاّب الفلسطينيين في الجامعات المصرية (تشرين الأول/أكتوبر 1950) وكيف افتعل الأزهريون خلافًا واشتباكًا مع طلاّب الجامعة الأميركية في اجتماع انعقد في كنيسة دار السلام في غاردن سيتي قبل الانتقال إلى مفاوضات في رواق الشام الأزهري انتهت إلى إجراء انتخابات للرابطة. ويذكر بلعاوي أن رئيس الرابطة كان سلمان أبو ستة وأن فتحي البلعاوي اختير سكرتيرًا للرابطة، في حين سقط كلّ من ياسر عرفات (كلية الهندسة) ومعين بسيسو(حزب شيوعي). في حين تذكر مصادر أخرى أن الرئيس كان الشيوعي صلاح الناظر[146].

ويذكر البلعاوي أن «اتحاد طلاّب الأزهر» كان يترأسه الفلسطيني سليم شراب من خان يونس، و«اتحاد طلاّب البعوث الإسلامية» كان يرأسه السوري محمد توفيق

التاريخية)، عدد 5، كانون الثاني/يناير 2017، الصفحات271-288.

144 من أوراق البلعاوي، انظر معين الطاهر، مرجع سابق، ص 273.

145 المرجع نفسه، ص 274-273.

146 عبد القادر ياسين: الطلاّب والعمل الفدائي، جريدة السفير اللبنانية، ملحق فلسطين الأسبوعي، عدد 15 حزيران/يونيو 2013. ولعل عبد القادر ياسين يخلط بين رابطة خاصة أنشأها الشيوعيون في القاهرة وبين الرابطة الموحّدة التي صارت هي الممثّلة لطلاّب فلسطين في مصر.

الكندي وكان نائبه صبغة الله مجددي (رئيس أفغانستان 1992 ورئيس مجلس النواب الأفغاني 2003) وأمين سره فتحي البلعاوي نفسه[147].

بعد انتخاب الهيئة الإدارية للرابطة برئاسة سلمان أبو ستة[148] أصدرت مجلة باسم «صوت فلسطين». وقد حافظت الرابطة على تقليد إجراء انتخابات سنوية. ففاز بالرئاسة في السنة التالية (1951) الدكتور موسى أبو غوش واستمر البلعاوي سكرتيرًا لها. وكان بإمكان الإخوان اكتساح كلّ المقاعد، ولكن البلعاوي أصرّ على إدخال طالب بعثي وآخر مسيحي وتطعيم الرابطة بعناصر مستقلّة كان يمثلها ياسر عرفات، الذي ألّف قائمة مستقلّة في انتخابات عام 1952، بينما ألّف البلعاوي قائمة فازت بكامل أعضائها. وأصبح عبد الفتاح عيسى حمود (أحد مؤسّسي فتح لاحقًا) رئيسًا للرابطة ثم جاء ياسر عرفات رئيسًا في العام التالي (1953) واستمر في موقعه حتى تخرّجه من الجامعة في عام1956.[149] وبالتالي فإن ياسر عرفات كان الرئيس الرابع للرابطة بعد نجاحه على قائمة الإخوان في الهيئة الإدارية الرابعة.

حرص البلعاوي على الاحتفاظ بموقع سكرتير الرابطة، حتى العام 1954، حين جرى ترحيله إلى قطاع غزة، ليحلّ محله في أمانة سر الرابطة صلاح خلف. دُعيت الرابطة إلى حضور مؤتمر«اتّحاد الطلاّب العالمي»، في براغ، في 1956/10/29، كعضو مراقب. وتألّف وفد الرابطة من ياسر عرفات، وصلاح خلف، وزهير العلمي[150].

أسس البلعاوي نشرة باسم نداء فلسطين صدر العدد الأول منها في تشرين الثاني/نوفمبر 1952، باسم «لفيف من الشباب الفلسطيني بمصر»، وفي العدد الأول من النشرة إحصائيات تقول إن عدد طلاّب فلسطين في مصر حوالى 4953 طالبًا وفي لبنان 365 وفي سورية 456 وفي العراق 135 وفي إنكلترا 182 وفي أميركا 115 وفي فرنسا 39 وفي باكستان طالبان فقط[151]. وفي هذا العدد الأول مناشدة من حكومة عموم

---

147 معين الطاهر، المرجع نفسه، ص 274-275.

148 ولد سلمان أبو ستة في بئر السبع في فلسطين عام 1937. حصل على البكالوريوس في الهندسة المدنية من جامعة القاهرة عام 1959، وعلى الدكتوراه في الهندسة المدنية من جامعة لندن عام 1964، زميل لجمعية المهندسين الإنشائيين البريطانية وجمعية أونتاريو للمهندسين في كندا والجمعية الأميركية للمهندسين المدنيين، وعضو سابق في معهد التحكيم البريطاني واللجنة الأميركية لمواصفات منشآت الطاقة والمجلس التنفيذي للمنشآت الفضائية، ألّفَ أكثر من ثلاثين بحثًا علميًا وكتابًا في الهندسة وحصل على أكثر من جائزة من جمعية المهندسين البريطانية، كما عمل بروفيسورًا في جامعة ويستر أونتاريو في كندا. كان عضوًا مستقلاً في المجلس الوطني الفلسطيني من عام 1974 وحتى توقيع اتفاقية أسلو عام 1993، عضو هيئة التعاون الفلسطينية في جنيف ورئيس لجنة اللاجئين والأونروا فيها، ألّف أكثر من ثمانين بحثًا ومقالاً وأصدر أربعة كتب عن اللاجئين بالعربية والإنكليزية وصمّم ورسم خريطة تضم كلّ قرى ومدن فلسطين، وُزِع منها ثلاثة أرباع المليون نسخة باللغتين العربية والإنكليزية.

149 معين الطاهر، المرجع نفسه، ص 275-277.

150 عبد القادر ياسين، ملحق فلسطين الأسبوعي، مرجع سابق.

151 نشرة نداء فلسطين، العدد الأول، ص 26. (نسخة محفوظة لدى المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر).

فلسطين إلى الحكومة المصرية للسماح للطلّاب الفلسطينيين الذين أخرجوا من مصر بتهمة الانتماء إلى الحزب القومي السوري بالعودة لتقديم امتحاناتهم[152]. ومن أخبار الرابطة حفلة سمر كبرى قدّم فيها فريق التمثيل في الرابطة رواية «إسلام عمر» أخرجها الطالب صلاح خلف، ويذكر الخبر إلقاء صلاح خلف لكلمتين قبل تقديم التمثيلية وفي ختام الحفل.

6- جمعية التوحيد في غزة

عندما صدر قرار حل الجماعة في مصر (8 كانون الأول/ديسمبر 1948) ثم اغتيل محمود فهمي النقراشي باشا (28 كانون الأول/ديسمبر 1948) ومن بعده حسن البنّا (12 شباط/فبراير 1949)، بادر أحد أبرز وجوه الإخوان في فلسطين وهو الحاج ظافر الشوا إلى تأسيس جمعية جديدة أطلق عليها اسم «جمعية التوحيد الإسلامية»، بحسب ما تقوله مصادر الإخوان[153]. ولكن ظافر الشوا نفسه يجعل تأسيس الجمعية سابقًا على قرار الحل وذلك في شهادته التي لم تكتمل، ولعلها نُشرت مجتزأة، بحسب ما يمكن ملاحظته من الأسئلة والأجوبة التي وردت في الكتاب الصادر عن مركز التأريخ والتوثيق الفلسطيني بغزة، لأن المقاطع المنقولة من شهادته غير واضحة والتناقض ظاهر بين ما يسأله الشاب الحمساوي الإخواني وما يجيب به الشوا. وهذه عينة من الأسئلة والأجوبة[154]:

س: عندما انتهت حرب 1948 وعاد الإخوان إلى مصر واعتقل بعضهم، وتم اغتيال البنّا، ثم حل الجماعة[155]، أنتم تأثّرتم بحلّ الجماعة، وأعتقد في ذلك الوقت أسستم جمعية التوحيد؟ حدّثنا عن ظروف تأسيسها، وما هي الأسباب التي أدت لتأسيسها؟ (لاحظ التوجيه في السؤال).

ج: أسست جمعية التوحيد وكانت جماعة الإخوان المسلمين موجودة من قبل (يعني قبل قرار الحلّ)، هنا بدأ التفكير في جهاد إسلامي، ولكن هذا غير ممكن لأن الإدارة المصرية كان عندها شيء اسمه الأمن العام، حتى لا تحدث أي حركة هنا (يقصد غزة)، والمخابرات متيقظة، كل شيء كان راضيًا بالوضع الحالي وهذا

152 المرجع نفسه، وانظر الطاهر، ص 278-279.

153 بحسب تلك المصادر، فإن الشوا أسس جمعية التوحيد الإسلامية بعد قرار الحل. أنظر: الشيخ خليل، مرجع سابق، ص 18-19.

154 - التعليقات بين مزدوجين هي من وضع المؤلّف سعود المولى.

155 واضح هنا أن هناك ارتباكًا وخلطًا بين مرحلتين. ولعل الشوا كان يقصد حلّ الجماعة زمن مجلس قيادة الثورة الناصرية عام 1954، علمًا أن جمعية التوحيد تأسست عام 1949.

خطأ (هل يقصد رضوخ فرع الإخوان في غزة للمخابرات؟) المسألة كانت خطأ من البداية (أي مسألة وأي بداية؟ لم يسأله المستجوِّب) وكلّ التشكيلات التي كانت موجودة كانت شكلية، (هل يقصد تشكيلات الإخوان؟ هذا ما أرجّحه) ماذا فعلنا؟ لو عندنا قوة حقيقية لفعلنا، ولكن كلّ التشكيلات الموجودة كانت شكلية وليست حقيقية...هل كنا منظّمين؟ لا يا أخي... كلّ الذي عملته الدول العربية والمنظّمات (هل يقصد الإخوان أيضًا؟) لعب في لعب... عندما جاء قرار بحلّ الإخوان جاء أحد الضباط... فقال بأن هناك قرارًا بحل الإخوان، فأخبرته بأننا مسلمون وأننا سنبقي على جمعية التوحيد... ووافق على ذلك»[156].

من كلام الشوا السابق يمكننا الاستنتاج أن وجود جمعية التوحيد سابق على قرار الحل وأن الشوا كان عنده تحفظات ومرارة وألم من أداء الإخوان وأنه كان على خلاف مع سلوك الجماعة أو عدد من أفرادها أو قادتها. يزيد من صحة استنتاجنا هذا ردّ فعل الشوا في مكان آخر حين سأله المستجوِّب إن كان «تحدّث معه أحد من الإخوان بأن يغلق جمعية التوحيد وينشط الجميع باسم الإخوان المسلمين؟» فيجيبه الشوا «لا يهمني إن تحدّث أحد أم لم يتحدث، ما يهمني دائمًا البحث بين الحق والباطل، والحق لو كانت جماعته قليلة فهو أقوى لأن الله معه»[157]. وفي مكان آخر يذكر الشوا أنه كان اتفق مع الشيخ عمر صوان (رئيس جماعة الإخوان) على تأسيس جمعية التوحيد «فأخبر الجماعة بذلك، ولكنه لم يقنعهم، ولكني أصررت أن أنشئ جمعية التوحيد، لأن الأهم هو السير في الدعوة الإسلامية، ولا بد أن تسير وأنت محمي الظهر، وإلا لن تستطيع التقدم»[158].

وحين سأله المستجوِّب: «عندما عادت شعب الإخوان بعد الثورة (1952) للعمل... جاءك من يقول لا داعي الآن لجمعية التوحيد ماذا كان موقفك؟» رد الشوا بعصبية «جمعية التوحيد تبقى والإخوان المسلمون كذلك، رفضوا ذلك، ونحن رفضنا»... وجوابًا على سؤال «من كان يحاوره ويعرض عليه هذه المواقف من الإخوان» ردّ الشوا بأنه «بالنسبة للإخوان كان هناك تغذية خارجية من جهة الحزب العربي (رئيسه جمال الحسيني) لأنهم... يريدون منا السير تحت جناحهم»[159].... وبحسب الشوا فإن جماعة الحزب العربي «دسّوا أنفسهم في الإخوان حتى تصبح لهم شعبية»[160]. وعن العلاقة بين الإخوان والتوحيد بعد العام 1952، يقول الشوا

156 ص 65 من كتاب مذكرات الحاج ظافر الشوا التي صدرت بعنوان: «الحاج ظافر خليل الشوا (1908-2003) مقابلات ووثائق»، مركز التأريخ والتوثيق الفلسطيني، غزة 2011.

157 المرجع نفسه، ص 66.

158 المرجع نفسه، ص 67-68.

159 المرجع نفسه، ص 69-68.

160 المرجع نفسه، ص 72.

«انفصمت العلاقة»[161]. ومن هنا يصبح من الشرعي أن نتساءل إن كان ظافر الشوا متأثّرًا بحركة شباب محمد في مصر وانتقاداتهم لأداء الإخوان[162]، أو تأثّر بنجيب جويفل والمقاتلين معه من الإخوان في فلسطين، أو أنه كان متأثّرًا بحزازات فلسطينية داخلية منها موقفه السلبي من المفتي الحاج محمد أمين الحسيني والحزب العربي، أو بالأمور السابقة كلّها؟

في كلامه عن العلاقة بين التوحيد والإخوان، يستعيد الشوا حادثة ذهابه هو وعمر صوان إلى مؤتمر للإخوان المسلمين في القدس قبل عام 1948: «قبل المؤتمر بعثوا لنا برسائل يسألوننا ما رأيكم أن نريد أن نعمل قانونًا نوحّد الجماعات الإسلامية في فلسطين، فقلت للشيخ عمر هذه لعبة يريدون أن يضمونا لمفتي المجلس الإسلامي وينفصلوا عن إخوان مصر... وذهبنا إلى هناك فإذا بهم يقولون بأنهم أقاموا قانون توحيد الجماعات الإسلامية في القدس، وتكون مركزها القدس، فقلت توقّفوا... فقال المفتي: أنت يا شيخ خرّبت الإخوان»[163].

ولعل أهم ما ورد في شهادة ظافر الشوا ذكرياته عن الفتحاويين الأوائل ممن كانوا في لجنة الطلبة بالإخوان المسلمين ثم في جمعية التوحيد، فهو يذكر: كمال عدوان

161 المرجع نفسه، ص 71.

162 لا توجد عن هذه الجماعة أي مصادر مكتوبة، كما لا توجد مصادر شفوية. أسس هذه الجماعة مجموعة من قادة وشباب الإخوان المسلمين الذين انشقوا عن الجماعة عام 1939 وحددوا خلافهم مع الإخوان في عدة نقاط أبرزها عدم أخذ قيادة الإخوان بمبدأ الشورى في اتخاذ القرار، وذلك بالمخالفة لتعاليم السياسة الشرعية الإسلامية، وكذلك عمل جماعة الإخوان المسلمين تحت لواء الحاكمين بغير ما أنزل الله على حد تعبير المجموعة المنشقة. ويقصدون به رضا جماعة الإخوان بالعمل السياسي في إطار القانون الوضعي السائد والذي يحكم العمل الحزبي والنقابي. طرحت» جماعة شباب محمد» في مسألتي «الحكم بما أنزل الله» و «وسيلة تغيير الواقع» أطروحات تشبه ما جرى طرحه بعد ذلك بأكثر خمس وعشرين سنة من قبل تنظيم الجهاد ما دعا أحد أبرز منظري تنظيم الجهاد (د. أسامة عبد الله حميد) إلى اعتبار «جماعة شباب محمد» المرحلة الأولى من تاريخ التيار الجهادي في مصر.

كانت «جماعة شباب محمد» تؤمن أنه لا سبيل إلى نهضة الأمة الإسلامية والخلاص من مشكلاتها إلا بإقامة الخلافة الإسلامية والعودة إلى الإسلام الصافي كما كان عليه النبي وأصحابه. وهي في ذلك مثل سائر الجماعات الإسلامية السابقة واللاحقة لكنها زادت عليهم شيئًا جديدًا وهو أنها حددت أنه لا سبيل إلى تنفيذ ذلك سوى بالتشدّد والتعصّب للإسلام بمعنى عدم المهادنة أو اللين وكذلك استخدام الجهاد المسلح. وقد أعلنت «جماعة شباب محمد» ذلك في أدبياتها وعلى رأسها مجلة النذير التي آلت لها ملكيتها من الإخوان المسلمين بعدما انشق صاحب امتيازها مع من انشق وشارك في تكوين «جماعة شباب محمد".

وقد بلغت «جماعة شباب محمد» مبلغًا لا بأس به من الانتشار والقوة أيام حرب فلسطين عام 1948، إذ أرسلت في إحدى المرات ما يعادل نحو 20% من كتائب المتطوعين الذاهبين إلى فلسطين بينما أرسل الإخوان المسلمون نحو 70% من هذه الكتائب. وبمرور السنوات، وتصاعد دور الإخوان، تقلّص وجود «جماعة شباب محمد» حتى لم يعد منها شيء في نهاية السبعينات من القرن العشرين سوى بعض الكتيبات والمنشورات التي كانت تصدرها من حين لآخر بإشراف محمد عطية خميس رئيس الجماعة حينئذ. وبوفاة الأخير أوائل الثمانينات، انتهى أي ذكر للجماعة في الشارع السياسي والإسلامي بمصر. راجع كتابنا «الجماعات الإسلامية والعنف»، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي 2012.

163 الحاج ظافر الشوا: المرجع السابق، ص 72-71.

(خطب في جمعية التوحيد وكان في لجنة الطلبة)، يوسف عميرة (كان من الأعضاء الأوائل في الإخوان وبقي مع عمر صوان)، فوزي جبر (من لجنة الطلبة الإخوانية في غزة ثم في الكويت)، سليم الزعنون (أبو الأديب وكان سكرتير لجنة الطلبة في جمعية التوحيد هو وأخوه رياض، وكان سليم أكثر واحد يلازم جمعية التوحيد)، سليمان الشرفا (في التوحيد)، صلاح خلف (ألقى في جمعية التوحيد أحاديث عدة مرات)، زهير العلمي (كان في لجنة الطلبة)، عوني القيشاوي (كان في إدارة التوحيد)، الحاج صادق المزيني (كان عضوًا في التوحيد)[164]. هذا ناهيك عن الشاعر (الإخواني ثم الفتحاوي) هارون هاشم رشيد.

وتعتبر جمعية التوحيد مركزًا تخرّج منه معظم الرياضيين الفلسطينيين الذين مثّلوا فلسطين في الدورات العربية والآسيوية والدولية، وفي معظم الألعاب الرياضية.

وكان من أبرز رياضيي جمعية التوحيد:

في تنس الطاولة: حيدر سيسالم، عدنان حلاوة، زكي الدن، محمد الدلو، محمد عودة، إبراهيم الزرد، أحمد مفرج.

في الملاكمة: إبراهيم كحيل، يعقوب سماره، خميس سماره، جودت جوده.

في رفع الأثقال: سعيد أبو خليل، سعيد أبو شهلا، رزق رزق، صبحي حميدة.

وعن دور النوادي الرياضية وتجربة جمعية التوحيد في نشوء حركة حماس، يتحدّث الأستاذ محمد حسن شمعة، رفيق الشيخ أحمد ياسين، فيقول:

> رأى الشيخ أحمد ياسين أن الشباب تجذبهم النوادي والرياضة، ورأى أن المشرفين عليها معظمهم يساريون، فأراد أن يجذبهم للمسجد عن طريق شراء وسائل رياضية كبديل عن النوادي. وأول مكان جرى افتتاحه كنادٍ رياضي كان في الطابق الأرضي من مبنى الجمعية الإسلامية سنة 1973، وهذا كان انطلاق للعمل المؤسسي في دعوة الشيخ ياسين. أراد أن يكون العمل معتمدًا على قانون أساسي ولائحة داخلية، فذهب يومها إلى الحاج ظافر الشوا، الذي أسس في الأربعينات جمعية التوحيد التابعة للإخوان المسلمين[165]... وكان عنده قانون أساسي، فكتب له قانونًا أساسيًا للجمعية

164 المرجع السابق، ص 74-73.

165 رأينا أن الجمعية لم تكن تابعة للإخوان، بل مختلفة عنهم.

عرضه على بعض المحامين وشكّل هيئته التأسيسية من الشباب. وكان ينتقي أصحاب الخبرة للعمل، وبعد ذلك، اتّسعت هذه الجمعية لتصبح الآن عشرات الفروع»...[166]

كما شكّلت جمعية التوحيد لجنة للطلبة كانت تضم كل من سليم الزعنون، سكرتيرًا، كمال عدوان، صلاح خلف، خليل الوزير، مصباح صقر، نبيل الشوا، زهير العلمي، سفيان العلمي، عوني القيشاوي، أحمد مفرج، جمال النونو. كما تكوّنت لجنة اجتماعية ضمّت الحاج فؤاد شراب و منيب أبو غزالة. أما اللجنة الثقافية فكان يمثلها هارون هاشم رشيد. كانت الجمعية تضم مكتبة إسلامية ثقافية تحوي صحفًا ومجلات، وغرفة لمطالعة الكتب، وكانت النشاطات تتمثّل بمجلة الحائط[167].

وجاء في كتاب "دراسات منهجية في القضية الفلسطينية" الصادر عن جمعية التوحيد أنها «تحمّلت عبء نشر الدعوة الإسلامية في ظل تيار إلحادي علماني تبشيري جارف»، كما أن هذه الجمعية «لعبت دورًا رئيسيًا في إحباط مشروع إسكان اللاجئين في سيناء في الخمسينات. وكان ظافر الشوا منسّقًا عامًا لمقاتلي الإخوان القادمين من مصر والذين أبلوا بلاءً حسنًا في قتال [اليهودي] لولا خيانة الأنظمة العربية التي وقّعت على الموافقة لقيام دولة إسرائيل عقب هزيمة الدولة العثمانية».[168]

استمر نشاط جمعية التوحيد حتى عام 1958 حيث أقفلت بقرار من الإدارة المصرية. وكان الشيخ الشوا قد توجّه إلى الكويت منذ عام 1955 حيث عمل في الجمعيات الإسلامية والدعوة الإسلامية، وترك جمعية التوحيد تحت رئاسة أحمد فاضل الملاح.

---

166 بحسب معلومات الإخوان المسلمين على موقعهم (إخوان ويكي):

http://www.ikhwanwiki.com/index.php?title=%D8%B8%D8%A7%D981%%D8%B1_%D8%A7%D984%%D8%B4%D988%%D8%A7

167 المرجع نفسه.

168 لم نعثر على هذا الكتاب الذي نعتقد أنه شكّل مادة تثقيفية رئيسية لمؤسسي حركة فتح وبالأخص خليل الوزير وكمال عدوان وصلاح خلف. كما شكّل أيضًا نافذة مهمة للشيخ أحمد ياسين.

7- تقي الدين النبهاني وحزب التحرير

قام حزب التحرير بفضل جهود مشتركة من ثلاث شخصيات فلسطينية نابهة جمعتها وحدة الثقافة والميول والابتلاء، هم الشيخ تقي الدين النبهاني والشيخ داوود حمدان والأستاذ نمر المصري. وقد عايش هؤلاء الثلاثة الأحداث الجسام التي تعرّضت لها المنطقة وقوى التغيير التي تحكّمت فيها، فلمسوا آثار الإخوان المسلمين التي كانت بارزة في فلسطين خلال هذه الفترة وألمّوا بنقط القوة والضعف فيها. وشاهدوا تعثّر الحزب القومي الذي أسسه أنطون سعادة للعمل على تحقيق «الدولة القومية» في إطار البيئة الجغرافية (سورية الكبرى) ومحاولته إيجاد مكان «للمحمدية» -كما أطلق على الإسلام- في دولته هذه... ثم شاهدوا ميشيل عفلق وإخوانه وهم يكوّنون على أنقاض الحزب القومي ومن أشلائه حزب البعث، من أمشاج عربية واشتراكية وإسلامية لتحقيق الوحدة العربية. واكتشف الثلاثة ما في هذه التكوينات من ضعف أو تلفيق. ويبدو أنهم كانوا قريبين أيضًا من تجربة الحاج محمد أمين الحسيني بقدر قربهم من بدايات تجارب الأحزاب والحركات السياسية القومية الحديثة يومذاك[169].

درس النبهاني في الأزهر وفي كلية دار العلوم القاهرية بين عامي 1928 و1932 وهي الأعوام التي شهدت بروز حسن البنّا والإخوان المسلمين. ثم صار نائبًا لرئيس جمعية الاعتصام الإسلامي في حيفا الشيخ محمد نمر الخطيب «وهما رفضا معًا الانضمام إلى الإخوان حين زارهم وفد بقيادة سعيد رمضان (صهر البنّا) في 10/26/ 1945»[170]. والغريب أننا لا نملك أية معلومات عن عمل النبهاني وأفكاره في القاهرة أيام الإخوان (هل كان منهم أم صديقًا مقرّبًا أم مخالفًا لهم؟) ثم في القدس قبل هجرته القسرية إلى دمشق بعد النكبة، ولا عن سر نفوره من الإخوان (عدم انتسابه إليهم أو تركه لهم) باستثناء ما يقوله أحد أوائل الإخوان الفلسطينيين عبد العزيز الخياط[171] الذي يروي أن البنّا انتدبه للكلام في تأبين أحد الزعماء في الرملة (1946) فالتقى النبهاني الذي «أثنى على البنّا، وقد عرفه في مصر، إلا أنه أخذ عليه ضبابية فكرة إعادة الإسلام إلى الحكم». وقد أخذ الخياط على النبهاني يومها أن «حديثه كان ضبابيًا إذ كان يدعو إلى العروبة أكثر من دعوته إلى الإسلام»[172].

---

169 حديث مع أحد كوادر حزب التحرير في فلسطين، بيروت، 20 ايلول 2015

170 أنظر محسن محمد صالح: التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد 1917-1948، مكتبة الفلاح، الكويت 1988، ص444. والكاتب من الإخوان وكلامه هذا يتناقض مع كلام عدنان سعد الدين الذي اعتبر النبهاني عضوًا سابقًا في الإخوان كما سنرى لاحقًا.

171 من أوائل المنضمين لاحقًا إلى حزب النبهاني، ثم ترك العمل السياسي وصار وزيرًا للأوقاف في 5 حكومات أردنية 1973-1989.

172 أنظر:عبد العزيز الخيّاط، مقابلة أجراها فيصل الشبول، مجلة الوسط، لندن، العدد 180، 1995/7/10، ص 30-33.

ونقلت بيان نويهض الحوت عن مصادر فلسطينية أن النبهاني انتمى في تلك المرحلة (1945-1948) إلى «كتلة القوميين العرب» وهي تجمّع محلي نشأ في حيفا في حزيران/يونيو 1947[173]. وإثر النكبة الكبرى هاجر النبهاني إلى دمشق حيث التقى رفيقيه حمدان والمصري وأخذوا معًا يتدارسون أسباب النكبة. ووضع الشيخ تقي الدين وقتئذ ثلاثة كتب امتنع الحزب لاحقًا عن إعادة طبعها وهي: «نظام المجتمع» (1949) و«إنقاذ فلسطين» (كانون الثاني/ يناير 1950) و«رسالة العرب» (آب/أغسطس 1950). وقد ذهب النبهاني يومها إلى أن النكبة كانت نتيجة قرن من التخطيط الإسرائيلي والتدهور العربي، وأنه لا بد لمجابهة ذلك من إقامة أمة ذات مبدأ يبلور الغاية الواحدة. وقد وجد هو ورفاقه أن مبدأ الأمة الواحدة هو «الإسلام»، فالمجتمع العربي هو «أمة إسلامية حياة ودستورًا حتى لغير المسلمين من العرب» وبهذا أصبح المطلوب توظيف الإسلام للقيام بهذه المهمة التاريخية، بل وتجاوزها إلى دور عالمي مؤثّر في حياة العالم بأسره. ولعل النبهاني كان هنا متأثّرًا بكتابات عفلق.

عاد النبهاني إلى القدس إثر استدعائه من طرف محافظها أنور الخطيب وتعيّن قاضيًا شرعيًا ثم أصبح قاضيًا في محكمة التمييز. وفي القدس اتصل مجددًا بأنصار الحسيني كما بأنصار حزبي البعث والقومي السوري. ودخل في تلك المرحلة في مغامرات انقلابية لا ندري مدى صحة وقائعها، إذ يذكر بعض المصادر أنه تعاون مع الكولونيل عبد الله التل الآمر العسكري لمنطقة القدس في محاولة القيام بانقلاب عسكري ضد الملك عبد الله الهاشمي، وأن النبهاني اتصل لهذه الغاية (هو وعبد الله الريماوي الأردني وأحد مؤسسي البعث) بالرئيس السوري حسني الزعيم لطلب الدعم السوري والمصري في الانقلاب ضد الملك المتهم بالتآمر على فلسطين وبالاستعداد لضم الضفة الغربية إلى مملكته. وقد وعدهم حسني الزعيم بالدعم. وبعد فشل المحاولة الانقلابية وضم الضفة، قام أنصار المفتي الحسيني باغتيال الملك عبد الله.

ومن هذه الحادثة المسلّحة وغيرها، تبلورت لدى النبهاني مفاهيمه عن الحل المطلوب، فاستقال من القضاء الشرعي وانتقل إلى التعليم (في الكلّية الإسلامية في عمّان وفي المدرسة الإبراهيمية في القدس) بغية التفرّغ أكثر للعمل السياسي. وقد ضمّ إلى الحلقة الضيقة الأولى للحزب عبد القديم زلوم والأخوين رجب وأسعد بيّوض التميمي (وهما من الخليل والثاني ساهم في تأسيس حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين). ويقول بعض الباحثين بأن الشيخين داوود حمدان ونمر المصري كان لهما الدور الأبرز في بلورة الخيار الإسلامي للنبهاني وإبعاده عن المؤثّرات القومية، إذ إنهما كانا يحملان خطابًا إسلاميًا ثوريًا بعد النكبة كما يظهر في المقدّمات التي وضعوها لكتب النبهاني الحزبية الأولى (وهي: الدولة الإسلامية، نظام الإسلام-

173 أنظر بيان نويهض الحوت: القيادات السياسية والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917-1948، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت،1981، ص901.

النظام الاجتماعي في الإسلام، وقد حذف الحزب لاحقًا هذه المقدّمات من طبعات هذه الكتب بعد انفصال حمدان والمصري عن النبهاني عام 1956).[174]

في تلك المرحلة التأسيسية، يبدو أن النبهاني تأثر بسيد قطب وبكتاب العدالة الاجتماعية في الإسلام خصوصًا. فهو دُعي إلى إلقاء محاضرات عن دور الإخوان في الضفة الغربية (وكانت تحت الحكم الأردني) أشهرها محاضرة نظام المال في الإسلام التي يقول بعض قادة الإخوان إنها تكاد تكون منقولة بالحرف عن سيد قطب[175].

ولفهمي جدعان رأي آخر يقول بأن سيد قطب هو الذي تأثّر بكتابات النبهاني وليس العكس نظرًا لحداثة انتقال قطب إلى الصف الإسلامي في تلك الأيام[176]. وهو أمر يحتاج إلى نقاش نظرًا إلى كون كتابات قطب كانت تطورت إسلاميًا وفنيًا منذ صدور كتابه العدالة الاجتماعية في الإسلام عام 1949 أي قبل سنوات من صدور أول كتاب إسلامي للنبهاني. غير أنه يمكن المجادلة والقول بأن الأفكار الحركية حول الطليعة والحزب والحركة والمفاصلة وكذلك أفكار التنظيم والتعبئة لسيد قطب كانت لاحقة على كتابات النبهاني الحزبية وخصوصًا: نظام الإسلام، مفاهيم حزب التحرير، نقطة الانطلاق، التكتّل الحزبي، الدولة الإسلامية، نظام الحكم في الإسلام، النظام الاقتصادي في الإسلام، النظام الاجتماعي في الإسلام، أسس النهضة، الشخصية الإسلامية (وكلّها صدرت ما بين 1952 و1953). وهذه نقطة خطيرة تحتاج إلى تحقيق وبحث في كتابات النبهاني ومقارنتها ببدايات سيد قطب السياسية والفكرية.

ألقى النبهاني محاضرة شهيرة في دار الإخوان في القدس كانت القشة التي قصمت ظهر البعير في علاقته بالإخوان، إذ طرح فيها نقطة الافتراق بينه وبين الإخوان القائمة بحسب رأيه في أن «الأمم تنهض بالأفكار وليس بالأخلاق»[177]. وقد أعاد النبهاني تسجيل موقفه من دعوة الإخوان في كتاب خصصه للأحزاب وسماه «التكتل الحزبي» قال فيه بفشل الجمعيات والهيئات الإسلامية التي قامت «تعمل لنهضة الأمة على أساس الأخلاق بالوعظ والإرشاد والمحاضرات والنشرات، على اعتبار أن الخُلُق هو أساس النهضة»... فالأحاديث الكثيرة حول أخلاق الرسول «هي وصف لشخص الرسول وليس للمجتمع»، و«مما يتعلّق بصفات الفرد لا بالجماعة»،

174 عبد العزيز الخيّاط، مرجع سابق، ص33. وانظر أيضًا بشير موسى نافع، الإسلاميون، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2010، ص65.

175 أنظر: أحمد البغدادي، حزب التحرير: دراسة في مفهوم الدولة الإسلامية، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الكويت، 1994، ص10. وأيضًا، صادق أمين، الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية، عمّان، لا ن، 1976، ص90-93، والمشهور أن صادق أمين هو الشهيد عبد الله عزّام الذي كان من أشد خصوم حزب التحرير تشهيرًا بهم.

176 أنظر فهمي جدعان: أسس التقدّم عند مفكّري الإسلام في العالم العربي الحديث، دار الشروق، عمان، ط 3، 1988، ص 387.

177 صادق أمين، مرجع سابق، ص93.

وكذلك «خطأ الشاعر أحمد شوقي في قوله:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت   فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

مع أن الأمم لا تكون بالأخلاق، وإنما تكون بالعقائد التي تعتنقها وبالأفكار التي تحملها وبالأنظمة التي تطبقها»[178].

أواخر عام 1952 أرسل مؤسسو الحزب (الثلاثي النبهاني، حمدان، المصري، وقد انضم إليهم منير شقير، عادل النابلسي وغانم عبده) إخطارًا إلى الحكومة الأردنية «بتأسيسهم حزبًا سياسيًا وبيّن اسمه ومركز إدارته وعنوانه ومقاصده والمفوضين بالتوقيع عنه، وأرفقه بالنظام الأساسي. وفي 1953/3/22، ردت الحكومة بأن الحزب غير قانوني ومنعت القائمين عليه من أي عمل وبررت ذلك بأن الحزب «يحصر الروابط بين أفراد المملكة برابطة الدين مما يدعو للتفريق بين أبناء الوطن الواحد ويخالف حكم قانون الجمعيات، ويلحق بالوطن أفدح الأضرار. وفي 1953/6/1 رد الحزب بأنه يعتبر نفسه شخصية معنوية، قامت بالفعل ولا تزال قائمة قانونًا، بغض النظر عن عدم إقرار الحكومة بمشروعية الحزب. وتعرّض الحزب لمضايقات الحكومة، وسجن أعضاؤه البارزون أكثر من مرة، ولكنهم أثبتوا شجاعة وتصميمًا، واكتسبوا تأييد قطاعات عديدة، واستطاعوا أن يكسبوا لأحد قادتهم كرسي النيابة عن طولكرم في الضفة الغربية (هو الشيخ أحمد الداعور وقد نجح مرتين 1954 و1956). ومن أبرز قادة الحزب في تلك المرحلة عبد القديم زلوم (ترأس الحزب بعد النبهاني)، وخالد الحسن (أحد قادة حركة فتح المؤسسين لاحقًا)، وأسعد بيوض التميمي (أحد قادة ومؤسسي الجهاد الفلسطيني لاحقًا).

دعوة حزب التحرير

كانت الفكرة التي في ذهن المؤسسين للحزب هي كيف يمكن إنهاض الأمة لكي تجابه التحديات -والتحدي الإسرائيلي أحدها- وتنتصر عليها. وقد انتهى المؤسّسون إلى أن ذلك لا يمكن أن يحدث إلا بروح جديدة ترفع الأمة فوق حاضرها التعس ومشاكلها وأوضاعها، وتفجّر فيها قوة الإيمان. ومن دون ذلك لن تستطيع الانتصار على أعداء أشد قوة وأكثر عددًا، أو اختزال سنوات التخلّف أو مجاوزة العقبات والعراقيل. واستبعد المؤسسون كلّ أفكار الإصلاح الجزئية (إصلاح الاقتصاد، إصلاح التعليم، ...إلخ.)، لأن المجتمع كلّ واحد ولن يمكن النهضة بجانب منه على حدة. وانتهى المؤسسون أيضًا إلى أن هذه الروح لن تكون سوى -الإسلام فهو «مبدأ الأمة». ولكن هذا يتطلّب توظيف الإسلام كروح انتهاضية، روح تغيير وتطوير، روح اكتساح،

178 تقي الدين النبهاني، التكتّل الحزبي، منشورات حزب التحرير، الطبعة الأولى 1953، ص18-19.

كتلك التي تملّكت المسلمين أيام الخلافة الراشدة وجعلتهم يكتسحون العالم القديم.

وأصدر الحزب العديد من الكتب، والنشرات والكتيبات شرح فيها فكرة الحزب وعرض أسباب تأخّر المسلمين كما يراها. ويشير الحزب إلى المحاولات والحركات التي أريد بها إنهاض المسلمين وإخفاقها، ويعيد سبب الإخفاق إلى:

1- عدم فهم الفكرة الإسلامية من قبل القائمين على إنهاض المسلمين فهمًا دقيقًا لتأثّرهم بعوامل التغشية، وأنهم يدعون إلى الإسلام بشكل عام مفتوح، من دون تحديد للأفكار والأحكام التي يريدون إنهاض المسلمين، ومعالجة مشاكلهم بها، وتطبيقها، لعدم وضوح هذه الأفكار والأحكام في أذهانهم، جعلوا الواقع مصدرًا لتفكيرهم، يستمدون منه تفكيرهم، وحاولوا أن يؤولوا الإسلام ويفسروه بما لا تحتمله نصوصه حتى يتفق مع الواقع القائم، مع أنه مناقض للإسلام، ولم يجعلوا الواقع موضع تفكيرهم، ليغيّروه حسب الإسلام وأحكامه. لذلك نادوا بالحريات والديمقراطيات، وبالنظام الرأسمالي والاشتراكي، واعتبروه من الإسلام، مع أنها تتناقض مع الإسلام تناقضًا كلّيًا.

2- عدم وضوح طريقة الإسلام لديهم في تنفيذ فكرة الإسلام وأحكامه وضوحًا تامًا، فحملوا الفكرة الإسلامية بوسائل مرتجلة، وبشكل يكتنفه الغموض وصاروا يرون أن دعوة الإسلام تكون ببناء المساجد وإصدار المؤلّفات، أو بإقامة الجمعيات الخيرية والتعاونية، أو بالتربية الخلقية وإصلاح الأفراد، غافلين عن فساد المجتمع، وسيطرة أفكار الكفر وأحكامه وأنظمته عليه، ظانين أن إصلاح المجتمع يكون بإصلاح أفراده، مع أن إصلاح المجتمع إنما يكون بإصلاح أفكاره ومشاعره وأنظمته وإصلاحها سيؤدي إلى إصلاح أفراده، فالمجتمع ليس أفرادًا فقط، وإنما هو أفراد وعلاقات، أي أفراد وأفكار ومشاعر وأنظمة، كما عمل رسول الله لتغيير المجتمع الجاهلي إلى مجتمع إسلامي، إذ أخذ يعمل على تغيير العقائد الموجودة بأفكار العقيدة الإسلامية، وعلى تغيير الأفكار والمفاهيم والعادات الجاهلية بأفكار الإسلام ومفاهيمه وأحكامه، ثمّ تغيير مشاعر الناس من الارتباط بعقائد الجاهلية وأفكارها وعاداتها، إلى الارتباط بالعقيدة الإسلامية، وأفكار الإسلام وأحكامه. وواسطة العقد في أهداف الحزب هي الخلافة وإعادة الخلافة هي الهم الأعظم وهو يرى أنه ما إن تعود الخلافة حتى يصلح كلّ شيء.

من هنا نرى أن منهج الحزب للتغيير يقوم على النهضة الفكرية حيث يبدأ المشروع بنخبة صفوة مختارة تؤسس وتبلور الفكرة وتبني الكتلة الحزبية (التكتّل الحزبي فرض على المسلمين بحسب النبهاني) والاهتداء إلى المبدأ بحسب النبهاني يتم من قبل «شخص فائق الفكر والإحساس فيتفاعل معه حتى يتبلور فيه ويصبح

واضحًا لديه وحينئذ توجد واقعيًا الخلية الأولى». و«يكون تفكير هذه الحلقة الأولى- القيادة- عادة عميقًا وطريقتها في النهضة جذريًا أي تبدأ من الجذور، فترتفع هذه الحلقة عن الواقع السيء الذي تعيش عليه الأمة وتحلّق في الأجواء العليا»..وفكر الحلقة الحزبية الأولى (القيادة) يستند إلى قاعدة ثابتة وهي أن الفكر يتصل بالعمل وأن الفكر والعمل لا بد أن يكونا من أجل غاية معينة يهدفان إليها»[179]... وتتفاعل الطليعة أو القيادة أو الكتلة، مع الأمة عن طريق المنشورات والمطبوعات وأدوات الاتّصال والتعبئة الجماهيرية وذلك لإيجاد حالة مناصرة للحزب الذي ما إن يتيقن بوجودها حتى يبدأ العمل لاستلام الحكم في بلد مناسب يسميه الحزب «نقطة الارتكاز». غير أن الانقلابات العسكرية العربية في سورية ومصر سبقت النبهاني كما سبقه التطور الجماهيري لحركة الإخوان المسلمين في مصر والمشرق العربي، فانتقل إلى نظرية «طلب النصرة» كأداة أساسية للوصول إلى الحكم اعتمادًا على القوة الأكثر قدرة وجاهزية في الدولة العربية الحديثة: الجيش. فأخذ حزب التحرير يسعى إلى تجنيد مجموعات من الضباط للقيام بانقلاب عسكري يوصل الحزب إلى الحكم ثم يقوم الحزب بتطبيق التصوّر الإسلامي دفعة واحدة وليس بالتدريج وذلك من خلال إعلان «دولة الخلافة» والعمل على مد سلطة نقطة الارتكاز إلى مناطق أخرى من العالم. وقد كتب النبهاني دستورًا جاهزًا لدولة الخلافة هذه وهو كان يظن أنها قادمة سريعًا... وحين ظن الحزب أنه أنهى مرحلة البناء الحزبي وانتقل إلى مرحلة العمل الجماهيري والتفاعل مع الأمة كانت الناصرية والقومية العربية تكتسح الشارع العربي جماهيريًا. فانتقل الحزب إلى الهجوم على الأنظمة وتقويض شرعيتها فطوّر خطابًا مؤامراتيًا صار مشهورًا عنه في ما بعد ويستثير الابتسامات والسخرية وهو خطاب الدولة الأولى الحاكمة في العالم وهي بريطانيا... فالسوفيات بريطانيون وكذلك الأميركان، وناصر والملك حسين كما عرفات والبعث كلهم عملاء للإنكليز... إلخ وكلّ ما يحصل في الكون يدور حول فكرة الدولة الأولى هذه[180].

---

179 التكتل الحزبي، مرجع سابق، ص29-32.

180 بشير نافع، مرجع سابق.

النبهاني والإخوان

على الرغم من نفي التحريريين والعديد من الإخوان المسلمين انتماء النبهاني للإخوان قبل تأسيسه لحزبه، فإن عدنان سعد الدين يؤكد انتساب الشيخ تقي الدين للإخوان أثناء دراسته في القاهرة قبل انتقاله للتحرير. وبحسب سعد الدين الذي يعيد نجاح النبهاني في استقطاب أعداد «من الإخوان وسلخهم عن الجماعة إلى معرفته الواسعة في داخل جماعة الإخوان المسلمين مذ كان عضوًا فيها»... وكان النبهاني يقول لأنصاره إن الحركة التي لم تنجح في تحقيق أهدافها بعد 23 سنة ميؤوس منها قياسًا على فترة العهد النبوي، وبالتالي فإن الإخوان شجرة لم تثمر يجب اقتلاعها[181]. وقد أسقط النبهاني كلمة الإسلامي من اسم الحزب ليصبح «حزب التحرير» فقط، وكان يهدف إلى استقطاب الناس حول قضايا ومسائل وليس حول إيديولوجيا[182]. المهم هنا أن نسجّل أن حزب التحرير عمل على اختراق جماعات الإخوان خصوصًا في بلاد الشام (سورية ولبنان وفلسطين والأردن) حيث كان يغرف معظم عناصره الأوائل.

وبحسب شهادة عدنان سعد الدين أيضًا، فإن الدكتور عبد الكريم عثمان[183] أخبره بأن خالد الحسن قد «جمعه سرًا بالشيخ تقي الدين النبهاني الذي كان في زيارة إلى دمشق، ليستمع إليه، أملاً في سلخه عن الجماعة وضمه للحزب، لكنه قابل هذه المحاولة برفض شديد، وانتهى اللقاء دون أن يحقق خالد الحسن مبتغاه»[184]. كما يذكر سعد الدين حادثة أخرى حدّثه فيها أحد الإخوان بأن الشيخ عبد العزيز الخيّاط جاء إلى الأسرة الإخوانية التي كان يشرف على توجيهها «يبشرهم بقيام حزب التحرير ويعرفهم بشخص رئيسه النبهاني فمنا من استجاب ومنا من ابتعد عن العمل التنظيمي، وكنت واحدًا منهم»[185].

---

181 عدنان سعد الدين: مرجع سابق، ص 440-441.

182 مذكرات عدنان سعد الدين، مرجع سابق، ص 432.

183 من إخوان سورية، درس علم الاجتماع في مصر، وحمل منها شهادتها بتفوق وامتياز، واقترب من البنّا كثيرًا، ولازمه منذ عام 1947 حتى اغتياله عام 1949، أثناء إقامته في القاهرة للدراسة، ولما عاد إلى سورية بذل نشاطًا ملموسًا في نشر الدعوة والإشراف على معسكرات الفتوّة، عمل مدرّسا للفلسفة في مدينتَي حلب ودير الزور، ونشط أيضًا في مدينة حماه، وقبل ذلك أقام فترة في دمشق وكان نائب مدير المعهد العربي الإسلامي فيها، كما كان نائب المراقب العام بعد نفي الشيخ السباعي إلى لبنان من قبل السلطات العسكرية إبان عهد الشيشكلي، وقد تصدّى للمنشقين ووقف مع المرشد السباعي.

184 عدنان سعد الدين، مرجع سابق، ص444.

185 المرجع نفسه، ص 441.

علي وخالد الحسن

من المفيد هنا التوقّف عند تجربة إخوانية أخرى كان لها شأن لاحق في تشكيل حركة فتح هي تجربة الأخوين علي وخالد الحسن في التنظيم السوري للإخوان. وعلى الرغم من ندرة المعلومات حول تلك المرحلة فقد أمكن استخلاص بعض الإشارات المتفرّقة من مذكّرات إخواني قديم هو المراقب العام السابق للإخوان في سورية الأستاذ عدنان سعد الدين[186]، ومن أحاديث عدة امتدت على جلسات ولسنوات، كنت أجريها عرضًا مع المرحوم خالد الحسن في بلاد الشتات[187].

المعروف أنه بعد اشتداد الصراع بين جمال عبد الناصر والإخوان المسلمين انتقل نشاط الجماعة من القاهرة إلى دمشق، فأضحت العاصمة السورية مقرًا للقيادات الإخوانية التي أسقط عنها جمال عبد الناصر الجنسية من أمثال عبد الحكيم عابدين وسعيد رمضان وعز الدين إبراهيم وكامل إسماعيل الشريف ونجيب جويفل وسعد الدين الوليلي وعبد العزيز العلي، وغيرهم... وكانت قيادات الإخوان المسلمين في البلاد العربية قد شكّلت مكتبًا باسم المكتب التنفيذي للبلاد العربية ضم ممثلي الإخوان في ستة أقطار هي: مصر وسورية ولبنان والأردن والسودان والعراق، أسندت رئاسته للأستاذ عصام العطار مراقب الإخوان في سورية لعدة دورات.

وبحسب عدنان سعد الدين، فقد «وضعت حكومة عبد الناصر خططًا ترمي إلى شنّ هجوم معاكس بدأته على الإخوان في سورية، وقد نجحت في اختراق التنظيم بالعمق، والعمل الدؤوب على هدم حصون الجماعة من داخلها»... ذلك «أن عبد الناصر الذي خبر الإخوان، وكان واحدًا من تنظيمهم العسكري الذي انضم إليه في عام 1942 على يد الصاغ محمود لبيب وكيل الجماعة، اقتنع بأن الإخوان لا يمكن ضربهم إلا بأمثالهم ممن يحمل صفتهم والانتساب إليهم سابقًا أو ظاهرًا، فانتدب لذلك مجموعة تضطلع بهذه المهمة، كان رأسها أو على رأسها نجيب جويفل الإخواني المصري القديم»[188].

---

186 صدرت في خمسة أجزاء عن دار عمار، عمّان الأردن، انظر: المجلّد الأول: مرحلة ما قبل التأسيس وحتى 1954، الطبعة الأولى، 2006. والكتاب نشر بعض أجزائه وليس كلّها موقع الموسوعة التاريخية الرسمية لجماعة الإخوان المسلمين: «ويكيبيديا الإخوان المسلمون".

187 ربطتني علاقة حميمة وعائلية بالمرحوم خالد الحسن (أبو السعيد 1928- 1994) وقد أجريتُ معه عدة أحاديث ما بين عامي 1983-1984 في تونس كما في فرنسا 1984-1986 وأخيرًا في تونس والمغرب خلال أعوام 1990-1992. وأبو السعيد قائد فذ ومناضل كبير من مواليد حيفا لعائلة وطنية مناضلة، أرسله أهله لدراسة الاقتصاد في لندن عام 1947، إلا أنه هجّر مع عائلته إثر النكبة عام 1948 إلى لبنان فسورية حيث تعرّف على الإخوان المسلمين وانتمى إليهم ثم انتمى لحزب التحرير قبل أن يتركه ليشارك في تأسيس حركة فتح... تبوأ أبو السعيد منصب رئيس الدائرة السياسية لمنظّمة التحرير الفلسطينية ما بين (1968-1974) وعمل مفوضًا للتعبئة والتنظيم ما بين (1971-1974)، وتسلّم رئاسة لجنة العلاقات الخارجية في المجلس الوطني الفلسطيني خاصة منذ العام 1968، واعتبر عضوًا في اللجنة المركزية لحركة فتح منذ انطلاقتها ورسميًا منذ العام 1967، وتسلّم منذ الثمانينات مهمة الإعلام في حركة فتح...

188 عدنان سعد الدين، مرجع مذكور سابقًا، ص 432-433.

ولا يوجد لدينا معلومات تفصيلية عن هذه العملية المؤامراتية سوى ما كتبه عدنان سعد الدين نفسه. وما يمكننا استخلاصه منه ومن شهادات أخرى أمكن جمعها أن عبد الناصر جذب إلى صفه رئيس «الجهاز الخاص» في الإخوان (عبد الرحمن السندي) وآخرين معه كان نجيب جويفل أحدهم ما جعله يقف في موقع صدامي وعدائي من قيادة الجماعة وخصوصًا بعد إصدار عفو عنه، ثمّ خروجه من السجن في قضايا حدثت في عهد الملكية في مصر. وعندما تمرّد لفيف من أعضاء «النظام الخاص» على المرشد حسن الهضيبي، وحاصروا منزله في حي روضة الفرج لإكراهه على الاستقالة، كان نجيب جويفل واحدًا منهم، لكنهم فشلوا في ذلك برغم وجود «دعم واضح من الأجهزة الأمنية، ومن جمال عبد الناصر خصيصًا»[189].

بعد ذلك انتقل جويفل إلى لبنان، والتقى الشيخ مصطفى السباعي مؤسس الإخوان في سورية ولبنان، واستطاع أن يأخذ منه الموافقة على تشكيل مجموعات سرية في سورية إبان الحكم العسكري (أديب الشيشكلي) الذي حلّ الأحزاب، وحظر نشاطها، واعتقل قادتها، ثم نفاهم إلى لبنان. فتحرّك جويفل (بحسب سعد الدين دائمًا) في جميع مراكز الإخوان في سورية مع مجموعة تحمّست لمشروعه، «واستجاب له بعض المراكز في دمشق وحمص وإدلب، وتحفّظت حياله مراكز أخرى مثل حوران واللاذقية ودير الزور، ورفضت مشروعه مراكز طالبته بالتفويض المكتوب من المراقب العام، كالذي فعله مركز حلب ومركز حماه، فلم يسمحا له بأي تحرّك أو اتصال بأي عضو في الجماعة، فشكّل جويفل إدارات في المراكز التي نجح في اختراقها وهي إدلب وكان على رأسها أنور حمادة[190]، وفي حمص، وكان على رأسها عبد المجيد الطرابلسي[191]، وفي دمشق كان أبو الخير عرقسوسي في الإدارة التي شكلها جويفل، وظهر فيهم أيضًا «عبد الفتاح غندور كمراقب عام للمنشقين»، وكان من أبرز قياداتهم التي التفت حول مراقب الانشقاق (عبد الفتاح غندور): علي الحسن (شقيق خالد الحسن وهاني الحسن وبلال الحسن أعضاء قيادة فتح)»[192].

وقد كثّف المنشقون أنشطتهم، فأقاموا المعسكرات، ودرّبوا الشباب على السلاح، وذهب قادتهم «بترتيب من نجيب جويفل الذي أطلق على نفسه اسم عبد العزيز سالم أبو عصام برحلة إلى مصر في دورة عسكرية مخابراتية، تدرّبوا فيها على الأسلحة الرشاشة والقنابل اليدوية، وعلى أساليب الشفرة والتجسس». وعندما استفحل الأمر، وامتدت اتصالاتهم إلى لبنان والأردن والكويت، «شرعوا بمحاولة السيطرة

---

189 المرجع نفسه، ص 433-434.

190 الذي انضم فيما بعد إلى البعثيين، وصار واحدًا من وزرائهم.

191 الذي انتسب فيما بعد إلى الناصريين، ثم إلى البعثيين، وتوفي وهو وزيرًا للأوقاف عام 1996 أيام الرئيس حافظ الأسد.

192 سعد الدين، مرجع سابق، ص 434-435.

على المراكز الموالية لهم، وعلى المكاتب واللجان والوحدات التنظيمية، وكانت جرأتهم فائقة في مركز إدلب، فقد احتلوا مقر الجماعة، وأجروا انتخابات في غرفها، وعندما واجههم رئيس المركز الشيخ نافع شامية بالإجراءات المناسبة، لاذوا بالفرار، ثم أعادوا الكرة مرة أخرى، وملأوا الصفوف الأمامية في الاجتماع الاسبوعي، فاستنجد إخوان إدلب بمركز حلب، فمدهم بثمانين أخًا، فقاموا بحماية المركز، وإسكات كلّ من تسوّل له نفسه الفتنة، فبهت المنشقّون، ويئسوا وتلاشوا، ثم انتقلوا بنشاطهم إلى المناطق والقرى، فلقوا من أبناء الجماعة صدودًا ورفضًا، لم يبق لهم أثر...

«عندئذ التحق قادتهم بالأحزاب العلمانية من ناصرية وبعثية وغيرها، وعاد المنخدعون إلى صفوف الجماعة بعد كشف المؤامرة ومعرفتهم بتفصيلاتها، وابتعد فريق منهم عن الجميع، واستغرقتهم شؤون الحياة... وقد نقل نجيب جويفل نشاطه المخابراتي التخريبي من سورية إلى السودان... وإلى لبنان... وإلى الأردن.. ثم إلى الجزائر دعمًا لبن بلة حليف عبد الناصر... وفي الكويت استمال فريقًا بدعوى تحييده في النزاع بين الإخوان وعبد الناصر، غير أن الفريق الموالي للجماعة تغلّب على الفتنة، ونبذ فكر الحياد.»[193]

من هذه المعلومات يتبين لنا كيف أن قياديي الإخوان في تلك المرحلة كانوا يستطيعون الانتماء إلى تيار ناصري أو بعثي بعد انشقاقهم عن الجماعة الأم، وينشقّون عن الجماعة ويحاربونها على أساس قضايا فكرية أو تنظيمية... ما يعني أن الإسلامية عندهم كانت نوعًا من الهوية الوطنية في زمن الاستعمار، ومن التنظيم السياسي لتحقيق أهداف نخبة وطنية متديّنة بالطبيعة، ولكن غير مؤدلجة سلفيًا أو عقائديًا، كما ستصير الحال عليه لاحقًا بعد مرحلة الهضيبي وفي عزّ الصراع مع القومية والشيوعية منتصف الخمسينات. وهذا الأمر يمكن فهمه تحديدًا فيما يخص الفلسطينيين الذين كانوا يعتبرون أي تنظيم وسيلة لبلوغ هدف الحشد والتعبئة والنضال لأجل استرداد الأرض السليبة.

كما ويتبينّ أيضًا أن علي الحسن كان عضوًا أساسيًا في قيادة المنشقّين عن المرشد العام الهضيبي أي من جماعة «التنظيم الخاص» وأنه عاون جويفل في مسعاه للسيطرة على منظمات الإخوان في سورية ولبنان.

من جهة أخرى، اختار المراقب العام مصطفى السباعي الشاب خالد الحسن ليكون سكرتيرًا له، وليدرّسه اللغة الإنكليزية[194]... «غير أن الإخوان الكبار رأوا في خالد الحسن (الذي لم ينشأ في صفوف الجماعة، ولم يترعرع في أجوائها، ولم يتلقّ أي توجيه من مناهجها) نمطًا من الحياة لم يألفه شباب الجماعة، من قيامه بنزهات

193 عدنان سعد الدين: المرجع نفسه، ص 435-436.

194 خالد الحسن، مرجع سابق.

في شوارع دمشقية، تبدو فيها مظاهر الحياة الغربية في اللباس والتبرّج وغير ذلك، فعبرّوا عن تحفّظهم على ذلك حيال شخص ليس منا محسوب على المراقب العام، يشغل منصبًا خطيرًا جدًا كسكرتير لقائد الجماعة، ويرافقه في رحلاته، أو يطوف على المراكز مندوبًا عنه»[195].

ولم يقتصر دور خالد الحسن على مجرد التدريس والترجمة وأعمال السكريتاريا، فهو كان يقوم بجولات على المراكز في سورية، وكان يسجّل الملحوظات والمعلومات والإحصاءات والمقترحات من أبناء كلّ مركز، لا سيما من أعضاء الإدارات بصفته أمين سر المراقب العام، «وكان بهذه الصفة يحصل على ما يريد، وصادف أن أحد أعضاء الإدارة في مدينة حماة سجّل انتقادات شديدة، وشنّ هجومًا حادًا على بعض قيادات المركز في التقائه بخالد الحسن الذي أصغى إلى انتقاداته ومآخذه على سير العمل. وبعد فترة طويلة أقدّرها بحوالي عامين حضر إلى حماة شقيقه علي الحسن أحد رموز الانشقاق على الجماعة وعلى الشيخ السباعي، وإذا به يسأل عن الأخ المعارض، يطلب إليه اللقاء به، في مسعى لتشكيل مجموعة متمرّدة على قيادة المركز، مؤيّدة لحركة نجيب جويفل وعلي الحسن والطرابلسي وحمادة، ومناوئة للسباعي». وبحسب سعد الدين أيضًا، كان نشاط خالد الحسن وجولاته وجمعه للمعلومات باسم المراقب العام من مراكز الجماعة «إحدى حلقات المخطط لنسف حصون الجماعة من داخلها، ولاسيما أنه كان يشغل أخطر المواقع كأمين سر لقائد الجماعة وزعميها»[196].

195 سعد الدين: مرجع سابق، ص 437-438.

196 المرجع السابق، ص 439-440.

8- نكبة فلسطين وجماعة عباد الرحمن اللبنانية

في العام 1948 وإثر نكبة فلسطين عاد محمد عمر الداعوق[197] البيروتي من حيفا وكان قد عرف هناك وصاحب قيادات إخوانية بارزة، وكان شديد التأثّر بما حدث في فلسطين ويعتقد بقوة بأن سبب النكبة هو ابتعاد المسلمين عن دينهم وتقليدهم للغرب، فابتدأ يطوف المساجد داعيًا إلى التكتل الإسلامي. وخلال بضع سنوات، صار عدد أعضاء جماعة عباد الرحمن يفوق العشرة آلاف شاب. وفي طرابلس نشأ فرع الجماعة من قلب جمعية إسلامية عريقة هناك هي جمعية مكارم الأخلاق، وصارت الجماعة تنافس أكبر تنظيم سني لبناني يومذاك وهو حزب النجّادة... لا بل إن الداعوق وقّع عام 1951 مع بيار الجميل زعيم حزب الكتائب المسيحية على وثيقة تنص على تعاون الطرفَين في نشر القيم والمبادئ الأخلاقية ورد الاعتداءات الخارجية عن لبنان[198].

وفي العام 1953 زار المرشد العام للإخوان الشيخ حسن الهضيبي لبنان بمناسبة انعقاد المكتب التنفيذي للإخوان في مصيف بحمدون. وقد حضر اللقاء إضافة إلى الهضيبي كل من مصطفى السباعي عن سورية وعمر الداعوق عن لبنان ومحمد محمود الصواف عن العراق ومحمد عبد الرحمن خليفة عن الأردن، وغيرهم. وكان ذلك إشارة واضحة إلى ارتباط عباد الرحمن بالتنظيم الدولي للإخوان برغم النفي الشديد والمتكرر. وكان مصطفى السباعي مراقبًا عامًا للإخوان في سورية ولبنان معًا منذ العام 1946 وحتى وفاته عام 1964. وفي 16 كانون الثاني/يناير 1952 لجأ السباعي إلى بيروت بعد أسابيع على الانقلاب الثاني لأديب الشيشكلي وقراره حل جميع الأحزاب السياسية في سورية[199].

197 محمد عمر الداعوق، ولد في بيروت سنة 1910، وتخرّج كمساعد مهندس ميكانيك. في أواخر الثلاثينات، سافر الداعوق إلى فلسطين، حيث عمل عند آل القطان، وتزوج إحدى بناتهم. وفي فلسطين، تعرف على الشيخ سعدي ياسين، السوري الأصل المقيم بعدها في بيروت، وتأثّر بكلامه ووعظه، والتزم بتعاليم الإسلام، وخرج بعد النكبة مع الذين خرجوا من فلسطين. وعندما عاد إلى لبنان توظّف في معامل قصارجيان في مجال اختصاصه؛ واستطاع أن يكسب ثقة أصحاب العمل حيث طوّر الآلات؛ وكان يعد كبير المهندسين لديهم. أسس جماعة عباد الرحمن في بيروت في عام 1948. في عام 1952 حصلت الجماعة على رخصة رسمية وامتد نشاطها إلى صيدا وطرابلس ومالت إلى خوض العمل الإسلامي العام في طرابلس، بينما بقيت الجماعة الأم في بيروت حركة كشفية دينية تربوية تمارس نشاطًا محدودًا برئاسته. في فترة الستينات، ومع تزايد إقبال الشباب وتعاظم المسؤوليات ترك العمل وتفرغ للدعوة. وفي هذه المرحلة تضاعف نشاطه في العديد من المجالات سواء الخطابة في المساجد، أو التحدث في المنتديات وعبر الإذاعات، أو الكتابة للنشرات أو القيام بالرحلات الرياضية والمخيمات الكشفية. وبدعوة من حكومتها، انتقل إلى إمارة الشارقة في أوائل السبعينات ليهتم بالوعظ والإرشاد فزارها بداية بصورة متقطعة بعدما شعر أن اخوانه الشباب قد تمرسوا بالدعوة وقيادة الجماعة، حط رحاله في الخليج العربي، وأكمل دعوته من هناك محدثًا يوميًا عبر إذاعة الشارقة ثم مدرسًا وموجهًا دينيًا عبر دروس تبثها وسائل الإعلام المختلفة ومنها التلفزيون. إلى أن استقر نهائيا فيها عام 1975 وانقطعت صلته بلبنان وكانت آخر زيارة له في عام 1979. توفاه الله في عام 2006،

198 المعلومات عن جماعة عباد الرحمن وبدايات العمل الحركي الإسلامي مستقاة من مقابلتين مع المرحوم فتحي يكن: الأولى نشرتها جريدة الديار اللبنانية بتاريخ 11/5/ 1998 والثانية نشرتها جريدة المستقبل اللبنانية بتاريخ 2000/12/4. ومن مقابلات شخصية أجريتها مع عدد من كوادر الجماعة في بيروت، أيلول/سبتمبر 2013.

199 المرجع نفسه، وكان العقيد أديب الشيشكلي قد قام بانقلابه الأول في 19 كانون الأول/ديسمبر 1949، ثم

مجيء السباعي إلى بيروت كان بداية الأزمة والصراع داخل جماعة عباد الرحمن التي كانت تعتبر نفسها مستقلة عن الإخوان ولا تخضع لرئاسة المرشد العام السوري. ويبدو أن جناح الجماعة في طرابلس اقترب أكثر من المنحى السياسي للإخوان وممثلهم الكبير السباعي، وابتعد رويدًا رويدًا عن المنحى الدعوي الاجتماعي التربوي الاخلاقي لعباد الرحمن.

في عام 1956 تأسس أول مركز لجماعة عباد الرحمن في طرابلس، وكانت الجماعة في بيروت تنشر فكرها وتوسع نطاق عضويتها دون أن تعتمد مسارًا سياسيًا محددًا، في حين كان مركز طرابلس يصدر مواقف سياسية من الصراع الداخلي اللبناني خلال فترة حكم الرئيس كميل شمعون ومن القضايا الإقليمية كالموقف من الوحدة العربية ومشروع إيزنهاور وحلف بغداد والصراع العربي الإسرائيلي، وأصدر نشرات غير رسمية كمجلة «الفجر» عام 1957 و«الثائر» عام 1958. وفي تلك المرحلة اتسع الاتّصال والتعاون بين السباعي ومجموعة طرابلس[200]. وعندما اندلعت أحداث 1958 وما صاحبها من فرز وطني وطائفي كان لجماعة عباد الرحمن بطرابلس موقع سياسي وعسكري واضح، فأنشأت معسكرًا للتدريب وأقامت محطة إذاعة «صوت لبنان الحر» كانت هي الوحيدة في الشمال حتى الشهور الأخيرة للأزمة. بينما اكتفت الجماعة في بيروت بدور اجتماعي إغاثي، مما أدى أوائل الستينات إلى أن يستقل العمل الإسلامي في الشمال عن عباد الرحمن، وأن يبدأ تشكيل جماعة جديدة. وتجدر الإشارة هنا إلى أن مركز طرابلس أصدر أول مجلة إسلامية أسبوعية «المجتمع» في 1959/1/5 استمرت في الصدور حتى صيف 1965.[201]

وقد ولدت الجماعة الإسلامية التي تنتمي إلى مدرسة الإخوان المسلمين في طرابلس عام 1964، على يد فتحي يكن وفيصل المولوي ومحمد علي الضناوي وعبدالله بابتي (وكلّهم من طرابلس). ويمكن أن نقول بأن قرار فتحي يكن الانشقاق عن جماعة عباد الرحمن وتشكيل الجماعة الإسلامية جرى بتأثير كبير من فكر سيد قطب الذي اعتبره يكن مرجعه الأول وهو عمل في بدايات التنظيم على تعميم وتبسيط فكر قطب من خلال كتابات اشتهرت في كلّ الجماعات الإسلامية[202].

انفرد بالسلطة في الانقلاب الثاني في 2 كانون الأول/ديسمبر 1951 وفيه أصدر قرارات حلّ البرلمان والأحزاب وتعطيل الصحف.

200 المرجع نفسه.

201 المرجع نفسه.

202 ومن أبرز تلك الكتابات: مشكلات الدعوة والداعية، كيف ندعو إلى الإسلام؟ المناهج التغييرية الإسلامية خلال القرن العشرين، الإسلام فكرة وحركة وانقلاب، الشباب والتغيير، المتساقطون على طريق الدعوة، أبجديات التصوّر الحركي للعمل الإسلامي، نحو حركة إسلامية عالمية واحدة...

وقد كان للمد الناصري أثر شديد السلبية على جماعة عباد الرحمن؛ فبداية، جعلت محاولة الاغتيال التي تعرّض لها جمال عبد الناصر الشارع السني الذي كان مبهورًا به، في حال عداوة شديدة مع مظاهر العمل الدعوي الإسلامي مهما كانت بساطتها. أما بالنسبة إلى جماعة مثل جماعة عباد الرحمن، فقد جرى الربط بينها وبين حركة الإخوان المسلمين وتخوينها وتجريمها، على أساس أن المنتمين لهذا التيار هم الذين حاولوا اغتيال عبد الناصر. ويكاد يكون هناك إجماع بين كلّ قيادات الجماعة على أن محمد عمر الداعوق اضطر لمسايرة التيار الناصري والسفارة المصرية، التي كان لها تأثير كبير في الساحة اللبنانية في ذلك الوقت، وخاصة فيما يتعلّق بالعمل الإسلامي، من أجل أن يخفف من الضغط الذي تعرّضت له الجماعة.

كما يذكرون العلاقة الوطيدة التي ربطت بين الداعوق ورئيس البعثة الأزهرية في ذلك الوقت الشيخ فهيم أبو عبيه. فكان سبب الخلاف الرئيس، بحسب قادة الجماعة الإسلامية، مسايرة عباد الرحمن، خاصة في بيروت، للمدّ الناصري في لبنان، والانكفاء باتّجاه عمل إسلامي أخلاقي ديني محصور في هذا النطاق، بينما كان توجّه عباد الرحمن في طرابلس يميل إلى الغوص في الصراع الفكري الذي كان محتدمًا في لبنان والمنطقة العربية بين الاتّجاه الإسلامي وبين الاتّجاهات القومية والاشتراكية، فضلاً عن الدخول في الصراع السياسي، باعتبار أن الإسلام، في مفهومهم، شامل لكلّ جوانب الحياة.

كان هذا خلافًا واضحًا وعلنيًا بين فتحي يكن ومحمد عمر الداعوق، وهذا ما تسبّب ببدء اهتزاز العلاقة بين الطرفين. وعلى الرغم من نفي توفيق حوري، ومحمد صالح عيتاني، تؤكّد معظم قيادات الجماعة الإسلامية، أن محمد عمر الداعوق اضطر في فترة من الفترات إلى تعليق صورة لجمال عبد الناصر في مكتبه، وتحتها عبارة بطل القومية العربية، فكان هذا سببًا آخر في اهتزاز العلاقة بين الطرفين. هذه المسألة تجعلنا نطرح سؤالاً حول دور محتمل لنجيب جويفل في هذا الأمر خصوصًا وأن جويفل والداعوق التقيا في فلسطين وكان الداعوق معجبًا بنضال وشراسة جويفل في الحرب الفلسطينية. وكان الشيخ زهير الشاويش أول من فسّر تأثير المدّ الناصري على جماعة عباد الرحمن بـ«تسلّط نجيب جويفل على الجماعة سنة 1954، ووجّهت اتهامات لجويفل بأنه أثار الفتنة وسط الإخوان في أكثر من بلد، وبأن له ارتباطات سرّية بمخابرات عبد الناصر وهذا ما أثّر برأي الشاويش على بعض أعضاء الجماعة»[203]. ويبدو أن فرع بيروت تأثّر بانشقاق نجيب جويفل في البلاد الشامية، وفرع طرابلس ارتبط أكثر بمصطفى السباعي، وهنا جرى الانشقاق. والحال أنه

203 أحاديث خاصة مع المرحوم الشيخ زهير الشاويش. أنظر كتابنا: السلفية والسلفيون في لبنان، دار سائر المشرق، بيروت، 2016.

كان لقادة جماعة عباد الرحمن البيروتية وكوادرها الدور الأكبر والإسهام التاريخي في احتضان قادة حركة فتح الأوائل الخارجين أيضًا من الإخوان المسلمين. ويكفي التذكير بأن الخلية الأولى المؤسّسة لحركة فتح أنشأت منبرًا إعلاميًا في لبنان باسم «فلسطيننا-نداء الحياة»، وصدرت هذه المجلّة في تشرين الأول/أكتوبر 1959 بإشراف كلّ من الحاج توفيق حوري والسيد هاني فاخوري، وكان توفيق حوري معلّمًا في مدارس المقاصد وينتمي إلى جماعة عباد الرحمن. وظلّت المجلّة تصدر حتى سنة 1964، وكان أبو جهاد يشرف عليها، ويكتب مع ياسر عرفات معظم مقالاتها. وعملت «فلسطيننا» على ترسيخ الاتّصال بين أعضاء حركة «فتح»، فكانت مثل صندوق البريد لهم ويظهر من مقالاتها التي كتب عرفات كثيرًا منها تشديدها على تحرير فلسطين بالكفاح المسلّح، وعلى الاستقلال التنظيمي عن الأحزاب العربية، وعلى عدم التدخّل في شؤون الدول العربية.

لعلّه سيكون من المفيد لهذا البحث لو أمكن الحصول على مذكّرات وذكريات الحاج توفيق الحوري والسادة الأعضاء المؤسّسين لتنظيم «الحركة اللبنانية المساندة لفتح»[204].

من ذكريات هاني فاخوري عن عباد الرحمن ومجلة فلسطيننا[205]

> (...) جذبنا أبو عمر (محمد عمر الداعوق) بدماثة خلقه وورعه، فقد كان يحمل صفات الداعية الناجح، أكثر منه القائد العسكري المنتظر. كان رجلاً منفتحًا على العلاقات الاجتماعية والآداب والفنون بشكل جذّاب وملفت. كان يتقن العزف على العود ويتمتّع بصوت طربي جذّاب، حين كان يقرأ القرآن أو يغني أغاني محمد عبد الوهاب الكلاسيكية، بهذه الصفات كان الأخ أبو عمر، ابن البيئة البيروتية المنفتحة على العصر وغير المنغلقة في دهاليز الماضي...

> (...) وكان من نشاطاتنا المستمرة (في جماعة عباد الرحمن)، إقامة المخيمات في محافظات لبنان، وإعداد الشباب والكشافة على حياة القفار، وتسلّق الجبال والأشجار، وعبور السواتر والأنهار، وربط العقد والحبال، ورسم الخطط الحربية للغزوات، استعدادًا لليوم الموعود في العودة إلى فلسطين. وكنا دائمي عقد المؤتمرات لمناقشة النشاطات والأفكار وتبادل الآراء، وقد

204 وهم إلى جانب توفيق الحوري السادة: هاني فاخوري ورفيق البلعة ومحيي الدين الآغا وسليم شاتيلا.

205 الشكر للصديق صقر أبو فخر الذي سمح لي باستخدام هذه المادة غير المنشورة بعد، وهي من مذكرات هاني فاخوري التي سجلها وحررها السيد محمد صالح أبو الحمايل فله أيضًا جزيل الشكر على عمله.

ضمّ أحد مؤتمراتنا 380 قياديًا. كانت روحية الجماعة (عباد الرحمن) تربوية تدعو إلى الأخلاق الحميدة وتنأى بنفسها عن السياسة الداخلية، متمثّلة بالآية الكريمة التي اقتبست اسمها منها «وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا»، برغم أن الدافع لتأسيسها سياسي، يتمثّل بالقضية الفلسطينية...

(...) كان من شأن الإغراق في الفقه والمبالغة في اتّباع خطوات الرسول والصحابة، من دون أخذ الدروس والعبر من الأحداث التي وقعت، أن يُبعد الجماعة عن الهدف الذي أنشئت من أجله، وهو إعداد الشباب للقتال. تحوّل الجماعة إلى مجرد جمعية دعوية فقهية، أفقدها المهمة التي قامت من أجل إنجازها، فبدأنا كشباب نطرح هواجسنا ونطالب بتصحيح المسار. وكانت تعقد المؤتمرات بحضور كثيف وبصورة متواترة، حتى بدأت الانسحابات والانشقاقات، التي كان أبرزها انشقاق فتحي يكن وإبراهيم المصري، وتشكيلهم للجماعة الإسلامية التي شكّلت جناحًا سياسيًا للإخوان المسلمين في لبنان. ولكن كما يبدو، فإن النهجَين نهج الإخوان المسلمين والذي سار في ركابه النهج المتسرّع للمنشقين، والنهج الذي بقي متمسكًا بالنشاط الدعوي، لم يستطيعا أن يقدّما شيئًا للقضية...

(...) وسرعان ما تتالت الأحداث من إزاحة محمد نجيب إلى محاولة اغتيال عبد الناصر على أيدي جماعة الإخوان المسلمين التي أصبحت جماهيريًا غير موضع ثقة لدى الجماهير، حيث ظهرت، شأنها شأن الأنظمة العربية، كأنها على هامش القضية، فتقبّلت الجماهير الاتهام بسهولة، تلك المحاولة التي رأى فيها الناس محاولة لشق الصف وتعطيل المسيرة. ثم بدأ «العملاق الأسمر» يأخذ بثأرنا، حين قاد مفاوضات ناجحة تكللت بجلاء الإنكليز عن مصر، اعترض عليها «الإخوان المسلون» واعتبروها تفريطًا بالحقوق الوطنية، كما اعترض عليها جماعة النظام البائد وقوى اليسار. لقد كانت لهذه الضربة العملية، آثار معنوية بالغة في صفوف الشباب...

ذات يوم من الأيام، اتّصل بي زميلي في عباد الرحمن الأخ توفيق الحوري وكان يومها قد أصبح نائبًا لرئيس الجماعة، وأخبرني أن أشخاصًا، لم يفصح عن هويتهم بأكثر من أنهم قادمون من الكويت، يسألون عني ويريدون لقائي. فحددنا موعدًا للّقاء، في أحد أيام شهر تشرين الثاني/ نوفمبر من العام 1959. ذهبت إلى الموعد، وحين دخلت غرفة الاجتماع، أخذ يقدّمني الحاج توفيق إلى الثلاثة الآخرين، ثم يقدّمهم إليّ على النحو التالي: ياسر عرفات، صلاح خلف، خليل الوزير. تصافحنا ثم جلسنا،

وأخذ الأخ ياسر يشرح سبب طلب التعارف ويتحدّث عن تاريخي النضالي وتعلّقي بالقضية الفلسطينية، كما لم ألحظه أنا بذاتي، فقد كانت تلك هي حال أبناء جيلي التي لم يتميّز أحدنا فيها عن الآخر؛ وأنبأني أنهم بصدد تشكيل نواة تنظيمية للشعب الفلسطيني، وأنهم يرغبون في التعاون مع إخوة عرب يشهد لهم تاريخهم بخدمة القضية الفلسطينية كأحد أبنائها. وكانت جذوة النضال ما زالت كامنة تحت رماد الوظيفة، فأعاد هذا الزائر المفاجىء بحديثه ونبرته الصادقة إشعالها...

وأوضح الإخوة، أنهم في بداية سعيهم لتشكيل هذه النواة يرغبون بإيجاد منبر إعلامي يطرح أفكارهم للشعب الفلسطيني وللشعوب في البلاد العربية، وأنهم يجدون في بيروت لما تتمتّع به المدينة من حرية صحافة وانفتاح ونهوض قومي داعم للشعب الفلسطيني وللقضية الفلسطينية، المكان المناسب لتأسيس هذا المنبر، بإصدار مجلة دورية، وإن كانت محدودة الإمكانيات المادية والتقنية والتحريرية. كانت للإخوة الرغبة ولكن لم تكن لديهم الإمكانات، فإصدار جريدة أو مجلة بحاجة إلى ترخيص، أو شراء امتياز مجلة معروض للبيع، وهذا أمر مكلف، لم يكن بالإمكان توفيره، إضافة إلى الصحفي حامل الشهادة المرخّص له ليكون الامتياز باسمه. وبعد عدة اجتماعات للبحث في هذا الأمر، اقترحت أن تصدر النشرة عن جماعة عباد الرحمن وهي صاحبة حق بهذا. وكان هناك امتياز مجلّة لدى الجماعة تسمى «نداء الحياة» فوضعها الأخ توفيق بتصرّفنا، فصدرت المجلّة تحت اسم «فلسطيننا- نداء الحياة»، وكان الأخ توفيق الحوري، بفضل موقعه في جماعة عباد الرحمن، رئيس تحريرها، وكنت محرّرها الوحيد طوال أربع سنوات صدر خلالها أربعون عددًا حَوَت 1280 صفحة.

وكانت مواضيعها تتلخّص في الإعداد لبدء الكفاح المسلّح، كما خطط له القادة الذين كانوا في عمر البراعم، يملكون الإيمان بقضيتهم، وبعض الخبرة من تاريخ الفشل المتراكم للأنظمة العربية، ومؤسسات المجتمع المدني. كان تحديد الهدف والمثابرة للوصول إليه هو أهم ما ميّز عمل هؤلاء الشبان الذين لم يغيبوا لحظة عن متابعة ما أصبح إيمانًا راسخًا في عقولهم وقلوبهم، وصرت أتعرّف تباعًا على الإخوة المؤسّسين، أبو يوسف النجار (محمد يوسف النجار)، أبو اللطف (فاروق القدومي)، هاني وخالد الحسن، محمود عباس، أبو الأديب (سليم الزعنون)، كمال عدوان، كمال ناصر، أبو علي إياد، أبو الهول (هايل عبد الحميد)، وآخرين...

... كان أبو عمّار وأبو جهاد المسؤولَين عن سياسة النشرة ذات الاثنتين والثلاثين صفحة. كان أبو جهاد يمر على بيروت مرتين أو ثلاث مرات في الشهر حاملاً معه المقالات من المساهمين في الشتات الفلسطيني. وكان أبو عمار يمرّ مرة واحدة في الشهر، يحمل إليّ بعض المقالات أيضًا ونناقش بعض المواضيع. كان لحركة فتح زاوية خاصة باسمها وكذلك عمود مستقل، وكنا لا نتهيّب من عرض الأفكار والآراء لبعض الكتّاب الذين يخالفون النشرة في طرحها... وقد استطاعت هذه النشرة أن تصل بأفكارها إلى الشعب الفلسطيني، الذي ظهر أنه على قناعة تامة بكل ما تطرحه، فهيّأته لانطلاقة الرصاصة الأولى فجر العام 1965...

وعن أحد أوائل الفتحاويين في لبنان، أحمد الأطرش، يقول هاني فاخوري:

هو واحد من مجموعة من الشبان الفلسطينين في مخيم عين الحلوة في صيدا لم يكن يتجاوز عددهم الثلاثين شخصًا، انضموا إثر النكبة إلى جماعة عباد الرحمن وكنتُ ضابط الاتصال بينهم وبين الجماعة والمسؤول عن إعدادهم وتدريبهم. والحقيقة أننا قضينا فترة عمليات التدريب بخبرات متبادلة، وكنا نبالغ في تحمّل المشقات، فقد كنا نسير أكثر من أربعين كلم في يوم التدريب، ونحن نحمل الأثقال. فقد كنا ندرك أننا بحاجة للتعوّد على قطع المسافات الطويلة، لأننا وضعنا في الحسبان أننا سوف نعود إلى فلسطين عن طريق البر متسللين، وهذا ما يجب أن نعوّد أنفسنا عليه. وكنا نقيم المخيمات للتدريب على الهجوم والدفاع والمصارعة التي أخبرنا أمين الجماعة أبو عمر أن الرسول (ص) كان يشجّعها، ولم يكن ينقصنا غير السلاح الذي لم نستطع تدبرّه. لكن هؤلاء الشبان كانوا على توق وأمل للذهاب إلى فلسطين والاستشهاد فوق ترابها. وعندما خرجت من الجماعة بسبب الخلافات التي حدثت، انقطعت علاقتي بهذه المجموعة الطليعية للشعب الفلسطيني في مخيم عين الحلوة، وكذلك انقطعت الصلة بينهم وبين الجماعة...

9- غزة في خمسينات القرن العشرين

لماذا كانت غزة المكان الطبيعي لولادة الحراك السياسي بين لاجئيها منتصف خمسينات القرن العشرين؟

كان اللاجئون إلى البلدان المجاورة في معظمهم من الفلاحين الذين فقدوا الأرض

وبالتالي فقدوا معها المكانة الاجتماعية فعاشوا في عزلة بين طوائف وجماعات أقلوية (شيعة وموارنة في لبنان، دروز وعلويين في سورية، بدو في الأردن). في حين أن لاجئي غزة كانوا في معظمهم من المدن الفلسطينية الساحلية، خصوصًا من حيفا ويافا واللدّ والرملة. في مخيمات سوريّة ولبنان والأردن جرت إعادة تشكيل روابط القرية والعشيرة والحمولة: التجمّع بحسب أماكن الانتماء السابقة على اللجوء في أحياء تستعيد القرى والحمولات، تعيين مخاتير (كما كان يفعل الانتداب البريطاني في فلسطين)، انتشار الزبائنية الخدماتية والعلاقات مع السلطات المحلية لتأمين البقاء والاستمرارية للوجاهات القديمة من مخاتير وزعماء وشيوخ عشيرة وحمولة.

لهذه الأسباب، استمرت زعامة الشيخ محمد أمين الحسيني بين لاجئي مخيمات لبنان وسورية والأردن خصوصًا لجهة قدرته على التوظيف في وكالة الغوث (الأونروا) وحصوله على خدمات من السلطات المضيفة. وقد افتتحت الهيئة العربية العليا مكاتب لها في كلّ المخيمات. ومن جهة أخرى، استمرت بقايا المقاومة القديمة (جيش الإنقاذ وكتائب الجهاد المقدس) في القيام بعمليات تسلّل وعمليات فدائية بعضها كان يحصل تحت اسم «الهيئة العربية العليا» والحاج محمد أمين الحسيني (خصوصًا من الضفة الغربية وبهدف إحراج الملك عبد الله ثم الملك حسين) وبعضها تحت إشراف المخابرات العسكرية السورية من لبنان. ولم يحاول الحاج أمين الحسيني ولا بقايا جيش الانقاذ وكتائب الجهاد إقامة منظّمات سياسية حديثة[206].

وقد أحصى بني موريس عمليات التسلّل، فتبينّ أن الإسرائيليين قتلوا ما يتراوح بين 2700 و5000 متسلّل فلسطيني بين عامي 1948 و1956 معظمهم كانوا من العزل الذين حاولوا زيارة بيوتهم وأملاكهم. وخلال عام 1952، كان هناك 16 ألف حالة تسلّل و7000 حالة عام 1953 و4531 حالة عام 1955.[207]

ويبدو أن التسلل الفردي انتهى بعد العام 1952 وحلّت محله العمليات المنظّمة من المخابرات العسكرية، المصرية والسورية، التي أشرفت على سلسلة عمليات عسكرية نفّذها رجال من بقايا تنظيمات الحاج محمد أمين الحسيني والمقاومة القديمة. وخضع توقيت العمليات ونوعيتها لسياسات الدول المضيفة (مصر وسورية). وعلى سبيل المثال، فقد شنّت إسرائيل 200 غارة انتقامية في الأشهر الخمسة الأولى من عام 1953 أشهرها غارة 15 أكتوبر/تشرين الأول 1953 على قرية قبية. بعدها منع الجيش الأردني التسلّل وتشدّد في قمعه خلال عامي 1954-1955

206 يزيد صايغ، الكفاح المسلح والبحث عن الدولة: الحركة الوطنية الفلسطينية، 1949-1993، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت 2002، ص 101.

207 Benny Morris: Israel’s Border Wars 1949-1956 (Oxford:19993)، p. 28-49-50-124-130-137-138-166-167.

حين أعلن الملك حسين عن عزمه دخول حلف بغداد ليتصاعد التسلّل بعد شهر أيلول/سبتمبر 1955 بدعم مصري-سوري واضح[208].

وعلى الحدود المصرية، عمد نظام ثورة يوليو 1952 في بداياته إلى تخفيف حدة العداء والتوتر على الحدود ووقف الحملات الدعائية ضد إسرائيل (أملاً بكسب تعاطف الغرب وأميركا). إلا أنه عاد عن ذلك أواخر عام 1952 بعد تصاعد الاعتداءات والغارات الانتقامية الإسرائيلية[209]. وكانت اتفاقية الهدنة المصرية-الإسرائيلية تمنع نشر وحدات عسكرية نظامية مصرية إلا أنه مع تصاعد الاعتداءات الإسرائيلية، وتصاعد الاستياء والغضب الفلسطيني (والشعبي المصري)، ناهيك عن تصاعد الخلافات بين جناحين في الضباط الأحرار نفسهم (محمد نجيب وجمال عبد الناصر) قرّر الضباط تشكيل قوة عسكرية فلسطينية. وكان صدر في كانون الأول/ديسمبر 1952 قرار بإنشاء قوة شرطة الحدود الفلسطينية بقيادة عضو مجلس قيادة الثورة الإخواني عبد المنعم عبد الروؤف الذي تمكن من تدريب عشرات المتطوعين الفلسطينيين حتى اندلاع الصراع بين ناصر ونجيب في آذار/مارس 1954. ويبدو أن غارات إسرائيل على غزة في آذار 1954 تزامنت مع تصاعد التوتر الداخلي في مصر وأنه حصل في تلك الفترة اتفاق بين جمال عبد الناصر وموشيه شاريت (رئيس الحكومة الإسرائيلية يومذاك) لتخفيف التوتر على الحدود[210].

نذكر هنا أن عبد المنعم عبد الرؤوف تعرض هو والكتيبة التي كان يقودها إلى حصار من النظام الناصري بسبب انتمائه للإخوان وذلك أثناء الحملة النظامية ضد التنظيم في عام 1954 وقد أعتقل ولكنه تمكن من الفرار وأعاد بناء التنظيم السري، أي النظام الخاص، بعد أن صدر عليه حكم بالإعدام بتهمة التآمر والقيام بانقلاب بمساعدة الكتيبة 11. هرب إلى الضفة الغربية حيث ساعده الإخوان على الاختباء[211].

بعد حرب فلسطين 1948، كان قطاع غزة يضم ثماني شُعب للإخوان المسلمين هي: المكتب الإداري والرمال والشجاعية، في مدينة غزة؛ ثم النصيرات والبريج ودير البلح وخان يونس ورفح. أما في الضفة الغربية، فلم يكن هناك نشاط خاص، وإنما كان النشاط من خلال الهيئات الإسلامية الموجودة منذ زمن العلاقة بالمفتي الحسيني وبعز الدين القسام.. وكانت شُعب قطاع غزة تتبع المكتب الإداري بطبيعة الحال. والمناهج الدراسية والتربوية كانت نفس تلك المتّبعة في مصر. وقد استقبل قطاع غزة في الخمسينات الشيخ محمد الغزالي والشيخ محمد الأباصيري والشيخ

208 صايغ ص 118.

209 Michael Oren: Secret Egypt-Israel Peace Initiatives Prior to the Suez Campaign", Middle Eastern Studies, 26:3 (July 1990)351-370)), p. 353.

210 Ibid, p. 360.

211 عبد العظيم رمضان: الإخوان المسلمون والتنظيم السري، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1993، ص 225.

محمود عيد، كمبعوثين من الأزهر وهم كانوا في الوقت نفسه من الإخوان. وكان هناك صلة قوية بين إخوان غزة وإخوان العريش المصرية (القريبة جدًا جغرافيًا) خصوصًا لوجود الأستاذ كامل الشريف في العريش (قائد كتائب الإخوان في حرب فلسطين 1948). وكانت أنشطة الإخوان تشمل المحاضرات العامة في الشُعب وخطب المساجد واجتماعات الأسر والكتائب والمعسكرات الكشفية التربوية والدعوة عن طريق الاتصالات الفردية الشخصية. كذلك ضمّت الحركة أقسامًا للطلاب والعمال وكان القسم الطالبي أنشطها[212].

حتى قرار حظر الجماعة في مصر، بلغ عدد الأعضاء عام 1954 في غزة أكثر من ألف عضو في 11 شُعبة تنظيمية معظمهم من طلاّب المدارس في مخيمات اللاجئين في مدارس الأونروا ومن الجامعات المصرية[213].

هذا في حين بلغ عدد أعضاء الحزب الشيوعي الفلسطيني في غزة، وفي أوج قوته عام 1959: 220 عضوًا[214]. والمعلوم أن الحزب الشيوعي حُظّر في غزة عام 1949، ثم حُظّر الإخوان عام 1954.

وقد تشكّلت قيادة المركز الإداري للإخوان في غزة بمعظمها من الموظفين: الشيخ عمر صوان، زكي السوسي، كمال ثابت، حسن النخال، زهدي أبو شعبان، وعلي هاشم رشيد[215].

وكان هناك أيضًا نشاط سري يعنى بالتدريب على استعمال السلاح وعلى جمع مختلف أنواع الأسلحة الخفيفة وتخبئتها. ويبدو أن التنظيم السري المسلّح للإخوان المصريين (النظام الخاص) كان له قواعد قوية بين إخوان غزة والعريش بسبب الصلة بالضباط والعسكر والسلاح منذ حرب فلسطين. وكان كامل الشريف يوجّه التنظيم السري من العريش وكان صلة الوصل بينه وبينهم محمد أبو سيدو. وقد تولّى مسؤولية التنظيم وإيصال الأوامر إلى أفراده في القطاع الذي كان مقسومًا إلى ثلاثة أقسام (الشمال والوسط والجنوب). وكان أبو جهاد خليل الوزير مسؤولاً في منطقة غزة (شمال القطاع)، و(خ.أ) في خان يونس (المنطقة الوسطى)[216]، ومحمد

212 عبد الله أبو عزة: مع الحركة الإسلامية في البلاد العربية، دار القلم، الكويت، 1986، ط 1، ص14-16.

213 زياد أبو عمرو: أصول الحركات السياسية في قطاع غزة، 1967-1948، مؤسسة الأسوار، عكا، 1987، ص 73-72.

214 Amnon Cohen, idem, p.163.208-206-204-

وأيضًا زياد أبو عمرو: أصول الحركات السياسية، مرجع سابق، ص 52 و116.

215 أبو عمرو: أصول الحركات السياسية، مرجع سابق، ص 71-72.

216 لم أستطع العثور على اسم هذا الإخواني وقد تكتم عليه مصدر المعلومة: عبدالله أبو عزة، مرجع سابق، ص 17، لكن الباحث الأخ بلال شلش أبلغني لاحقًا بأن هذا الإخواني المجهول كان سليمان الحمد أحد قيادات تنظيم

يوسف النجار في رفح (جنوب القطاع). وقد نفذ هذا التنظيم عددًا من العمليات الفدائية، خصوصًا التعاون مع البدو عن طريق عبد الله أبو مريحيل ومحمد حسن الأفرنجي. وقد استفاد الإخوان من وجود ضباط مصريين إسلاميين في الجيش المصري قاموا بتدريبهم سرًا من أمثال عبد المنعم عبد الرؤوف[217].

كان التشكيل في هذه المرحلة (1954) «مكوّنًا من مجموعة من الشباب الذين اعتمدوا على إمكاناتهم الخاصة. وكانت قيادة التشكيل تضم معي (أبو جهاد) الأخ حمد العايدي والأخ محمد الإفرنجي. وكان الأخ محمد الإفرنجي مدرّسًا في وكالة الغوث، والأخ حمد العايدي موظّفًا في الوكالة عينها. وكنتُ طالبًا وأقوم بتعليم بعض الدروس الخصوصية فنجمع ما نحصل عليه من نقود بالإضافة إلى بعض التبرّعات وكذلك ما يرسله الأصدقاء الذين يعملون في الخارج. كنا نجمع هذه المبالغ ونشتري بها المعدات. فاشترينا متفجّرات من صيادي السمك، وكنا نقع أحيانًا على صفقات جيدة. ففي إحدى المرات اشترينا من منطقة خان يونس نصف طن من المتفجّرات كانت مكونة من ألغام قديمة وغيرها بستين جنيهًا، وقد ساعدنا هذا على القيام بسلسلة من العمليات»[218].

وقد ظهر في محيط طلاب الإخوان تكتلان التفّ أحدهما حول سليم أديب الزعنون بينما التفّ الآخر حول حسن عبد الحميد صالح. مجموعة الشباب التي تجمّعت حول سليم الزعنون أطلقت على نفسها اسم كتيبة الحق وقد انضموا جميعهم فيما بعد إلى حركة فتح[219]، في حين استمر صالح في تنظيم الإخوان ورفض تكتل فتح باعتباره خروجًا على النظام الخاص.

الإخوان في غزة ثم الكويت، الذي يظهر من مقابلة تلفزيونية أجراها معه عزّام التميمي على قناة الحوار الفضائية أنه كان على اطّلاع على رسالة أبو جهاد، وكان من المساهمين في فتح لحظة التأسيس، وساهم في نصوصها الأولى وعلى رأسها نشرتها فلسطيننا-نداء الحياة، وقد تحدّث في المقابلة بتفصيل عن حوارات التأسيس ولحظة «التمايز» بين فتح والإخوان.

217 أبو عزة، مرجع سابق، ص 18-19.

218 «البدايات»، مجلة دراسات فلسطينية، مركز الدراسات الفلسطينية، بيروت؛ العدد (104)؛ خريف 2015.

معظم ما يرد على لسان الشهيد أبو جهاد يعود إلى لقاءات خاصة كنت أجريتُها معه في الفترة من تموز/يوليو إلى تشرين الثاني/نوفمبر من العام 1984 بين تونس والأردن خلال تحضير، ثم انعقاد الدورة السابعة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني. وقد راجعتُ أيضًا كتابه الشهير «البدايات» الصادر عن حركة فتح عام 1986 والذي سحبت نسخه من السوق واختفى. وبحسب الأخت انتصار الوزير (أم جهاد)، فقد عمد المؤلّف إلى إتلاف نسخ كراسه، قبل أن يتم توزيعها، ولم يحتفظ سوى بنسخ قليلة جدًا. وعند سؤالها عن سبب سحب الكتاب تحدّثت عن حرص الأخ أبو جهاد على عدم إغضاب أحد من المؤسسين. من الواضح أن رواية أبو جهاد تقدّم افتراضها أن البدايات كانت في غزة، وضمن مجموعة صغيرة باشرت العمليات الفدائية سنة 1954، أي قبل لقاء خليل الوزير بياسر عرفات في سنة 1955. وقد حدّثتنا الأخت انتصار الوزير أن أبو جهاد كتب مقدّمة جديدة لكراسه من أجل تلافي ثغراته، لكن هذه المقدمة ضاعت بعد انقلاب حركة حماس في غزة (حزيران/يونيو 2007)، والعبث الذي جرى بمقتنيات منزل أبو جهاد. أعادت مجلة دراسات فلسطينية (مرجع سابق) نشر الكتاب بعد الحصول على نسخة كانت مع أم جهاد.

219 أبو جهاد، حديث خاص مع الكاتب، و انظر أبو عزة، مرجع سابق، ص 19.

وبحسب أبو جهاد، فقد كان هو عضوًا في كتيبة الحق ثم أنشأ تنظيمًا موازيًا لتنظيم الإخوان مستفيدًا من تجربته في الكتيبة وبدأ بتأليف خلايا سرّية، ونفّذ مع رفاقه عددًا من العمليات العسكرية المحدودة بين أواخر عام 1954 والنصف الأول من عام 1955 من خلال كتيبة الحق[220].

وحين قامت ثورة يوليو، كان الانطباع العام لدى إخوان غزة أن حركة الجيش هي من صنع الإخوان أو ما يقرب من ذلك... لذا انضم «الكثيرون من علية القوم ومن كبار الموظفين إلى الإخوان في غزة لكي ينالوا الحظوة لدى السلطة... وقد أصبح معظم رؤساء الشُعب وأعضاء إدارتها من هذا الصنف إذ إن فتح الشُعب تزامن مع بداية عهد الثورة»[221]. ولكن مع الصدام بين الضباط والإخوان وصدور قرار حلّ الإخوان في مصر (1954/1/14) وما تلاه من اعتقالات، انفضّ أكثر هؤلاء عن التنظيم.

ولا توجد معلومات عن انعكاسات الانقسام الذي حصل بين إخوان مصر في العام 1954 على الوضع الإخواني في غزة، خصوصًا وأن أحد أطراف هذا الانقسام وهو الشيخ محمد الغزالي كان مبعوثًا أزهريًا في القطاع وأن ابن الطرف الآخر كان أيضًا في غزة (مأمون حسن الهضيبي).

ولكن من شهادة عبد الله أبو عزة نعلم أنه لم يبق من القياديين الإخوان في غزة غير بضعة أفراد «لا يتجاوز عددهم عدد أصابع اليد الواحدة... ويرافقهم مأمون الهضيبي.. وقد انحل الهيكل التنظيمي الرسمي والعلني وهرب الكثيرون»، إلى حد أن أبو عزة يعترف بأنه أصيب نتيجة لذلك «بانهيار جسدي ونفسي»[222]. وفي الفترة من 1954 (تاريخ حل الإخوان) و1956 (العدوان الثلاثي واحتلال القطاع) كان «وضع الإخوان في غاية الضعف. فقد انفضّ رؤساء وأعضاء إدارات الشُعب وذوو الأسماء والوزن العلمي أو الاجتماعي، ولم يبق إلا أعداد قليلة من الشباب الصغار»[223].

لم أستطع الحصول من أبو جهاد على معلومات وافية حول الموضوع لأنني في فترة اللقاءات به كنتُ مشغولاً بمعرفة تفاصيل انطلاق فتح والكفاح المسلّح ولم أكن أعير انتباهًا لموضوع الإخوان المسلمين (لم تكن قد تشكلت حركة حماس بعد)... كما أن أبو جهاد لم يذكر أي شيء عن مرحلته الإخوانية في كتابه «البدايات»، وذكر الشيء القليل في مقابلته الشهيرة مع جريدة السفير التي نشرت بعد اغتياله. وكل قادة فتح لم يذكروا في أحاديثهم ومذكراتهم ورواياتهم عن تلك المرحلة أي

---

220 وردت في مقابلة مع أبو جهاد أجرتها سلوى العمد ونشرتها جريدة السفير بتاريخ 25 نيسان/إبريل 1988.

221 أبو عزة، مرجع سابق، ص 20.

222 المرجع نفسه، ص 21 و23.

223 أبو عزة؛ مرجع سابق، ص 41.

إشارة إلى سابق انتمائهم للإخوان وكيفية خروجهم من الجماعة[224]. وباعتقادي فإن الشيخ محمد الغزالي ورفاقه المبعوثين الخارجين على سلطة المرشد الهضيبي، كان لهم بلا شك تأثير في إخوان غزة، ولكن التأثير الأساسي جاء من مجريات هذا الصراع نفسه وآثاره السياسية والمعنوية من حيث انكشاف غرق الإخوان في حسابات «دنيوية» بعيدة كل البعد عن العناوين الكبرى، ومن حيث انفراط عقد التنظيم وانهيار قياداته، ناهيك عن اكتشاف عدم أولوية فلسطين في برنامجهم... فكان اعتزال الكثيرين قرفًا، في حين أنه لم يكن بإمكان عدد من الفلسطينيين المقاتلين أن يعتزلوا في وجه عدو محتل مستوطن ومجرم: فقرروا التقدم إلى الأمام.

هكذا تطوّر بين إخوان غزة المضعضعين عملٌ شبه عسكري قام بعمليات ضد العدو في الأراضي المحتلّة مثل زرع الألغام ونسف بعض المنشئات وتخريب خطوط المياه والكهرباء. ولا ننسى أن جماعة «النظام الخاص» العسكريين كانوا ضد قيادة الهضيبي لإخوان مصر وهم كانوا صلة الوصل مع مجاهدي فلسطين. وفي تلك الفترة، قامت مصر بإدخال قوات من الحرس الوطني المصري إلى قطاع غزة وبتنظيم عمليات فدائية بواسطة فلسطينيين وبإشراف مدير مخابرات القطاع مصطفى حافظ (اغتاله الإسرائيليون لاحقًا بواسطة طرد بريدي ملغوم). وقد قام إخوان غزة (بقيادة خليل الوزير) بعدة عمليات وأدى ذلك إلى اعتقال الوزير وتعذيبه في إدارة المباحث في السرايا (مقر الحكم والإدارة في غزة) وكان ما يزال طالبًا في نهاية المرحلة الثانوية[225].

وبحسب أبو جهاد[226] فإن الدافع لهذه العمليات لم يكن توريط السلطات المصرية في حرب مع إسرائيل يتمناها الفلسطينيون، ولا كان الانتقام من الضباط الانقلابيين بسبب حملتهم على الإخوان، وإنما كان هناك «هدف كبير وخطير» يتمثّل بإفشال «المشروع الأميركي-المصري لتوطين اللاجئين في سيناء». وقد روى أبو جهاد كيف تعاقدت حكومة عبد الناصر مع وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين (الأونروا)، «ومن خلفها كانت تقف أميركا»، على توطين اللاجئين وإسكانهم في شمال غرب سيناء[227]. وبغض النظر عن الاتّهامات الإخوانية للنظام الناصري بأنه كان «يعقد آمالاً كبيرة على الأميركيين في بداية عهده وحتى العام 1955، وأنه

224 في كتاب محمد حمزه «أبو جهاد، أسرار بداياته وأسباب اغتياله»، (صدر عن المركز المصري العربي، القاهرة 1988،) يقول الكاتب إنه مما «لم يذكره أبو جهاد أن بداية تجربته ارتبطت بحركة الإخوان المسلمين في غزة، شأنه في ذلك شأن الأغلبية من أبناء جيله التي تفتح وعيها على الدور الذي لعبه المتطوعون من الإخوان المسلمين في الجبهة الجنوبية» (ص 157). وقد حاول محمد حمزه الإيحاء بأن هذا الانتماء كان شكليًا وثانويًا.

225 أحاديث خاصة مع أبو جهاد، مرجع سابق، وقارن مع ما ورد في كتاب محمد حمزه، مرجع سابق، ص 160-157.

226 محمد حمزه، المرجع نفسه، ص 158-159.

227 محمد حمزه، المرجع نفسه، ص 160.

لذلك كان ميّالاً إلى تصفية الجزء المصري من قضية اللاجئين (أي تكدسهم في غزة)»[228]، يبدو فعلاً أن شيئًا ما كان قيد الترتيب بدليل قيام تظاهرات في القطاع ومسارعة الإدارة المصرية إلى إصدار بيانَين الأول في 28 أيار/مايو 1953 والثاني في 9 أيلول/سبتمبر 1953.[229] كما أن نائب الحاكم العام للقطاع خاطب الأهالي ليؤكّد بأن الأونروا «تقدّمت بمشروع لإسكان وتشغيل اللاجئين في شبه جزيرة سيناء وغزة»... وأن بيان 5/28 كان يعني الإعلان الرسمي عن «إرجاء البحث في هذا الموضوع». ثم يقول «إن موضوع إسكان اللاجئين هو محل إعادة نظر السلطات المختصة في الوقت الحاضر ولن تتخذ فيه أية إجراءات أو خطوات إلا بما يحقق أماني الفلسطينيين ومصالحهم، ولذلك نلفت النظر إلى أن الحديث حول هذا المشروع قد أصبح غير ذي موضوع»[230].

وبحسب أبو جهاد، فقد تصاعدت العمليات العسكرية الفدائية انطلاقًا من قطاع غزة بحيث صارت تقلق دولة اسرائيل الحديثة الولادة[231]. ويكشف تصريح أدلى به بن غوريون رئيس الوزراء الإسرائيلي في الكنيست في آذار/مارس 1956 بأن عدد الإصابات الإسرائيلية بسبب الحوادث الحدودية سنة 1951 بلغ 137 إصابة، وفي سنة 1952 بلغ 147 إصابة، وسنة 1953 بلغ 162 إصابة، وسنة 1954 بلغ 180 إصابة، وسنة 1955 بلغ 258 إصابة[232]. أما حسين أبو النمل فينقل إحصائية تذكر أن عدد قتلى الإسرائيليين منذ توقيع وقف إطلاق النار في آذار/مارس 1949 وحتى حرب اجتياح القطاع وسيناء في آخر أكتوبر 1956 قد بلغ 1176 قتيلاً[233].

ومن العمليات المهمة التي أثارت دويًا كبيرًا عملية الباص في 17 آذار/مارس 1954 حين هاجمت مجموعة فدائية باصًا إسرائيليًا على طريق إيلات-بئر السبع، قرب معاليه أكربيم ما أدى إلى مقتل 11 إسرائيليًا وجرح 3 آخرين[234]. وقد عدَّها رئيس

228 أبو جهاد، أحاديث خاصة، مرجع سابق.

229 عن مشاريع التوطين في تلك الفترة 1952-1955، انظر دراسة حسين أبو النمل: «قطاع غزة 1948-1967، تطورات اقتصادية وسياسية واجتماعية وعسكرية» وقد صدرت عن مركز الأبحاث التابع لمنظّمة التحرير الفلسطينية، بيروت نيسان 1979، الصفحات 82-88.

230 حسين أبو النمل؛ المرجع السابق، ص84-85.

231 لقاءات خاصة مع أبو جهاد، مرجع سبق ذكره. وانظر أيضًا «البدايات»، مجلة الدراسات الفلسطينية، مرجع سابق، ص 60-61.

232 من وثائق وزارة الخارجية البريطانية كما نقلها حسين أبو النمل. انظر:

Dispatch, British Embassy (Tel Aviv) to Lloyd, 10 Mar. 1956, F.O.121773/371.

233 حسين أبو النمل، مرجع سابق، ص 66.

234 تحدّث عنها أبو جهاد كثيرًا باعتبارها نقطة تحول في تاريخ علاقته بالإخوان في غزة ومصر، وهي سبقت التحوّل الكبير في العمل الفلسطيني الذي حصل برأي أبو جهاد عام 1955، أحاديث خاصة، مرجع سابق.

الوزراء الإسرائيلي عملية عسكرية مدبّرة بعناية، وأشارت التحقيقات إلى أن مركز المجموعة الفدائية هو القسيمة جنوب شرقي العريش في سيناء، وأشير إلى احتمال أن يكون الإخوان المسلمون وراءها، كما وضعت احتمالات أخرى كأن تكون من تدبير جماعة المفتي الحاج أمين[235].

وكانت العمليات الفدائية تُقابل بردود فعل متغطرسة من الكيان الإسرائيلي، فيقوم بارتكاب المذابح وقصف المدنيين. وهذا ما حصل بعد عملية خزان زوهر في 25 شباط/فبراير 1955، والتي اعتبرها أبو جهاد «من أبرز عملياتنا» وهي نتيجة لنجاح «عمليات الاستطلاع التي كانت تقوم بها مجموعاتنا في الأراضي المحتلّة»[236]. وقد ردّ العدو على العملية باعتداء غادر على مجموعة من الجيش المصري في 28 شباط/فبراير 1955 وقتلت 39 شهيدًا وجرحت 32 آخرين. أحدثت مذبحة غزة، التي قامت بها القوات الصهيونية انتفاضة عارمة في القطاع في الأول من آذار/مارس 1955 تطالب الحكومة المصرية بإعطاء الحرية للعمل الفدائي الفلسطيني، وتوفير السلاح[237]. ووافقت الحكومة المصرية تحت هذا الضغط، ووضعت العمل الفدائي تحت إشراف الضابط المصري مصطفى حافظ. وقد تدفّق الآلاف للتطوّع، غير أنه جرى انتقاء العناصر ذات الخبرات القتالية والمعرفة بالأرض، وزاد عدد الفدائيين العاملين عن ألف. وقاموا بعمليات يومية خاطفة، وأحيانًا بعمليات كبيرة واسعة. وقد نشط هذا العمل بدءًا من شهر سبتمبر 1955 وحتى أكتوبر 1956. وكان من أبرز العمليات: العملية التي شارك فيها أكثر من 300 فدائي توغلوا حتى عمق 47 كلم ووصلوا إلى مسافة 15 كلم إلى الجنوب من تل أبيب. وقد قسّموا أنفسهم إلى مفارز متعدّدة، قامت بالكثير من العمليات، وأثارت الرعب في الكيان الإسرائيلي، وقد تواصلت عملياتهم أسبوعًا كاملاً 6-13 نيسان/ أبريل 1956.

أدى تصاعد العمليات الفدائية والاعتداءات الصهيونية إلى قرار مصري بزيادة عديد القوات الموجودة في غزة وبإنشاء كتيبتَين فلسطينيتَين 32 و43 ودمجهما مع الكتيبة 11 في لواء 86 حرس الحدود الفلسطيني وتأليف اللواء 87 من 3 كتائب (الكتائب: 44 و45 و46) حتى بلغ مجموع القوات الفلسطينية بحلول العام 1956 حوالى 4000 جندي بينهم 5 ضباط فلسطينيين فقط[238].

---

235 F.O. 371/111077, 111098-111100.

نقلاً عن حسين أبو النمل، مرجع سابق.

236 البدايات، مجلة الدراسات الفلسطينية، مرجع سابق، ص 61.

237 الموسوعة الفلسطينية، هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق، الطبعة الأولى 1984، ج 3، ص 397.

238 اللواء حسن البدري: حرب العدوان الثلاثي على مصر خريف 1956، هيئة البحوث العسكرية، وزارة الدفاع، القاهرة، 1989، ص 204-205.

Benni Morris: Israel's Border Wars, 1949-1956: Arab Infiltration, Israeli Retaliation and the

وبحسب وثيقة صادرة في تموز/يوليو 1954 عن مسؤول الاستخبارات العسكرية المصرية في قطاع غزة مصطفى حافظ، فإن الغرض الأساسي من هذه القوات العسكرية كان «منع التسلّل وحراسة خط الهدنة»، وأن «تكليف جنود فلسطينيين بهذا الواجب لن يساعد على ذلك لأنهم يشجّعون التسلّل ويقومون بالعمليات المتكررة... وبالتالي فهي فكرة فاشلة وسيكون وجود هذه القوات سببًا في زيادة حال التوتر بيننا وبين اليهود»[239].

شاركت القوات الفلسطينية في التصدّي لعدوان 1956 على غزة وسيناء ومصر. ولكن، منذ تشكيل حرس الحدود الفلسطيني، ساعدوا المتسلّلين على نصب كمائن وشنّ هجمات وزرع ألغام على الدوريات المتسلّلة والمعسكرات وذلك منذ ربيع 1955[240]. وكان هناك يومها قرار مصري رسمي بالرد على الاعتداءات وتوتير الحدود[241].

وبحسب أبو جهاد، فإن هذه المرحلة تميّزت بكسب عناصر من كتيبة الفدائيين التابعة للقيادة المصرية والتزوّد منهم بالسلاح والذخيرة. وعلى الرغم من اعتقاله، فقد استأنف نشاطه ونفّذ هجمات جديدة ساهمت في رفع درجة الوعي الذاتي لدى الفلسطينيين[242].

خلال تلك الفترة، وسّعت السلطات المصرية برنامج تدريب الطلاب المصريين ليشمل الفلسطينيين في غزة. وقد زار وفد من طلاب فلسطين في مصر غزة وكان مناسبة لأول لقاء بين ياسر عرفات وخليل الوزير. ثم عاد عرفات إلى غزة مدرّبًا عسكريًا فتجدّد اللقاء بينهما. وحين التحق خليل الوزير بجامعة القاهرة في تشرين

Countdown to the Suez War (Oxford: clarendon Press, 1993), pp.148-165.

Shimshoni Jonathan: Israel and Conventional Deterrence: Border Warfare from 1953 to 1970 (Ithaca, New York and London, Cornell University Press 1988), p.80-84.

Avi Shlaim: 'Egypt and the Fedayeen, 1953-1956', Middle East International, 84, June 1978, p. 23-25.

يونس الكتري: «حلقة مفقودة من كفاح الشعب الفلسطيني الكتيبة 141». دار المستقبل العربي، القاهرة 1987، ص 22 إلى 40.

حسين أبو النمل: حرب الفدائيين في قطاع غزة، مجلة شؤون فلسطينية، بيروت، العدد 62 (كانون الثاني/يناير 1977)، ص 170-199.

239 وردت الوثيقة في كتاب إيهود يعاري: مصر والفدائيون 1953-1956، (بالعبرية)، مركز الدراسات العربية والأفروآسيوية، جيفات هافيفا، 1975. نقلاً عن يزيد صايغ، مرجع سابق، ص 978.

240 Shimshoni. Ibid, p. 82.

241 كتري، مرجع سابق، ص 27-29. وآفي شلايم Shlaim، مرجع سابق، ص 24.

242 أنظر البدايات ص 17، محمد حمزه ص165، كمال عدوان: فتح الميلاد والمسيرة، شؤون فلسطينية عدد 17، ص 57.

الأول/أكتوبر 1956 تحوّلت العلاقة إلى صداقة (قبل وقت قصير من العدوان الثلاثي على مصر وغزة)[243].

وشكّل المصريون في الضفة الغربية قوات فدائية (بإسم خالد بن الوليد) بقيادة مجاهد مخضرم هو صبحي ياسين وبالتنسيق مع الملحق العسكري المصري في عمّان بالأردن العقيد صلاح مصطفى. وقامت هذه القوات بتنفيذ 95 عملية انطلاقًا من الضفة. وقد اغتيل صلاح مصطفى في 14 تشرين الأول/أكتوبر 1956[244].

توقّف العمل الفدائي عن طريق قطاع غزة، إثر الاحتلال الإسرائيلي للقطاع وسيناء (آخر أكتوبر 1956-6 مارس 1957)، ثم أصدرت السلطات المصرية أوامر بتجميد العمليات الفدائية بعد انسحاب الإسرائيليين من غزة في آذار/مارس 1957، ما أدى إلى نشوء نقاش يدعو إلى استقلال العمل الفلسطيني[245].

مقاطع من رواية محمد حسن الإفرنجي[246]

البدايات كانت في أوائل العام 1954، جمعتنا فكرة أنه لا بد أن نعمل شيئًا من أجل بلدنا عندما بدأت فكرة توطين اللاجئين في سيناء، فكانت التظاهرات الطلابية ضد الوكالة وضد الإدارة المصرية عارمة. شكّلنا مجموعة عمل ثلاثية (خليل الوزير وحمد العايدي ومحمد حسن الإفرنجي) مختلفة في التفكير متوجّهة لعمل شيء عملي في ذلك الحين، وكانت الحالة المادية سيئة جدًا لكلّ الفلسطينيين. فبدأت مجموعات محددة تتسلّل إلى ما وراء الحدود من أجل الاستيلاء على موتور أو جلب بقرة أو ما شابه ذلك والعودة به للقطاع لبيعه والاستفادة من ثمنه وبعضهم كان يتاجر ما بين غزة والخليل. فالتقينا ببعض هؤلاء الشباب وقلنا لهم بدل أن تسرق بقرة قد تهرب منك، ما عليك إلا أن تأخذ هذا اللغم وتزرعه على طريق السيارات الإسرائيلية بطريقة محكمة بحيث يصيب أي آلية أو سيارة ويوقع

243 مقابلة السفير، وأحاديث خاصة.

244 صبحي ياسين: حرب العصابات في فلسطين»، دار الكتاب العربي، القاهرة 1967، ص 180-184. أنظر أيضًا شمشون Shimshoni، ص 43 و119، وبني موريس Benni Morris ص 281 و403. الموسوعة الفلسطينية، ج3، ص 393-396، وأبو النمل، مرجع سابق، ص 101-123.

245 البدايات، ص 21-22.

246 هو رفيق سلاح أبو جهاد وشريكه في الإرهاصات الأولى للعمل العسكري، وإرهاصات حركة فتح في قطاع غزة ومن القادة المارسين بأنفسهم لدورهم في الكفاح المسلح في الأسبوع الأول لعام 1954. الأوراق القليلة التي كتبها محمد الإفرنجي بخط يده نشر صورة عنها شقيقه عبد الله (عضو اللجنة المركزية لحركة فتح 2009/1989)، الذي اشتهر في أغسطس/آب 1967 عندما ترك مقاعد الدراسة في ألمانيا وهو القائد الفتحوي الشاب هناك، والتحق بالعاصفة قائدًا للدورية المعروفة باسم دورية ألمانيا.

بها إصابات. وكان يساعدنا في تعليم الشباب كيفية زرع الألغام أحد الإخوة المصريين ويدعى عبد الغفار حتى نضمن سلامة الشباب ما أمكن.

تمّ تقسيم القطاع إلى جنوب ووسط وشمال ليصل إلى المستعمرات بأقصر طريق ممكن. ففي الجنوب بدءًا من جنوب المغازي وحتى رفح، وكان مسؤوله الأخ مصطفى السميري ومن يجنّدهم من الشباب. أما الوسط فكان فيه الأخ محمود العروقي وأحمد أبو خبيزة وسليمان الزميلي ومن يجنّدون من الشباب. وكانت هذه المنطقة ممتدة حتى غزة وبيارتنا الحالية مركز تدريب وتخزين للمواد المستخدمة في العمليات. أما المنطقة الشمالية، فكان مركزها معسكر جباليا وفيها الأخ شحدة غيث وموسى سليم عبيد من عرب سواركة الشمال ووادي الحِسي قبل الاحتلال...

اليهود كانوا في ذلك الحين يُغِيرون على القطاع بشكل شبه دائم، فتارة غارة على مستشفى البريج، وتارة يضربون غزة بالمورتر والهاون ويوقعون خسائر كبيرة في صفوف المدنيين الفلسطينيين في الشوارع والمستشفيات، ما ألهب شعور المواطنين. ولم يكن هناك رد من الجيش المصري مما زاد من غضب الناس في الشارع، إذ إن الضحايا كثر ولا مُدافع عن الأهالي، ولا بد من الرد على الإسرائيليين بعد كل عملية في أقرب موقع مقابل ما أمكن. لا بد من توفير بعض الأسلحة التي لم يكن متاحًا منها في ذلك الحين إلا «الاستنجن» الخفيفة عيار 9 ملم. فبدأنا بجمعها من هنا وهناك، وحصلتُ في البداية على قطعتين بحالة جيدة، وحتى نوفر ثمنها، ذهبت إلى المرحوم عبد الله أبو ستة في بيته في خان يونس وأطلعته لأول مرة على الموضوع وتعاهدنا على العمل بسرية مطلقة. ووفّر لنا المبلغ المطلوب ففرحنا فرحًا كبيرًا، خليل وأنا، عندما شرحتُ لخليل ما دار بيني وبين الشيخ عبد الله. عندها قال لي خليل استمر أنت مع الشيخ عبد الله أما أنا فأستمر مع العم الشيخ حسن، ويعني بذلك والدي الذي كان يحبه كثيرًا، وقد نصحنا كثيرًا بالسرية وعدم الظهور والبعد عن رفاق السوء. من المصادفات أن عبد الله أبو ستة وحسن الإفرنجي كانا رفيقَي سلاح في ثورة 1936 فاستبشرنا خيرًا وسرنا على درب الكفاح الطويل...

حمد العايدي كان يقوم بتسليم الألغام للشباب في منطقة البوليس الحربي وتُزرع على الطرق الترابية بين المستعمرات حتى تكون زراعتها سهلة وتنفجر في سيارات الجيب أو الجنزرات أو الجرارات الزراعية وكان أقربها نيرون إسحاق شرق غزة ثم المُشَبّه جنوبًا شرق بيارتنا وعندما ينفجر اللغم كانت الإذاعة الإسرائيلية فورًا تذيع الخبر ونعرف عدد الإصابات بالجانب

الإسرائيلي. وعندما تعود المجموعة تقدّم لنا تقريرًا عن العملية ويحتفظ أبو جهاد بهذه التقارير بمعرفته، ليرسلها إلى بعض الصحف...

من أسماء المجموعات الأولى يذكر الإفرنجي: شحدة غيث، وموسى أبو عبيد، ويوسف مبارك، ومبارك مبارك، وسليمان الزميلي، ونصر الله عبد العظيم، وأحمد أبو خبيزة، وسالم أبو مطرود، وإبراهيم الإفرنجي، ومصطفى السميري، وخليل إبراهيم الصانع، وسعد الزميلي، وشحدة الزميلي، ومحمد غنيم... وحين سُجن خليل الوزير لفترة قصيرة في مباحث أمن الدولة في غزة، تحرّك الشباب هاشم الخزندار وهاشم عطا الشوا ولإطلاق سراح خليل الوزير.

10- الشيخ هاشم الخزندار[247]

لعب الشيخ هاشم الخزندار دورًا بارزًا في الحياة السياسية لقطاع غزة في الخمسينات محرّضًا سياسيًا وزعيمًا جماهيريًا. يقول أبو جهاد عن الشيخ الخزندار: «كان الشيخ هاشم سبّاقًا لاحتضان جيل الشباب الوطني من دون أن يحاول فرض وصايته الأبوية عليهم وقدّم من ماله دعمًا ملموسًا لهم وخاصة للمجموعات الفدائية السرية التي كان يقودها خليل الوزير... وعندما نشب الخلاف في عام 1954 بين خليل الوزير ومجموعات الشباب من جهة، وبين قيادة حركة الإخوان في غزة من جهة أخرى، لم يتردد الشيخ هاشم في الوقوف بحزم إلى جانب صف الشباب والتزم معهم بالشعار الذي رفعوه: فلسطين أولاً... وترجم الشيخ هاشم موقفه هذا بصورة عملية عندما قرر أن يسلم السلاح الذي كان يخبئه في معمل البلاط خاصته في غزة لخليل الوزير ومجموعته كما سلّمهم ثمانية عشر جنيهًا... مسهمًا في شراء السلاح والمتفجرات التي نفّذت فيها مجموعات خليل الوزير أولى عملياتها الفدائية ما بين عامي 1954 و1955»[248].

ولد الشيخ هاشم نعمان عبد اللطيف الخزندار الطويل في مدينة غزة عام 1915، وكان جده الشيخ عبد اللطيف أحد علماء فلسطين المشهورين ومفتيًا وإمامًا للمسجد الأقصى لمدة قاربت 15 عامًا، وبعد وفاته قام الشيخ نعمان -والد هاشم- مقام الجد. خلال الحرب العالمية الأولى، نزح الشيخ هاشم مع والده إلى بلدة نابلس، حيث توفيت والدته وهو في عمر السادسة. تمتّع الشيخ هاشم بحدة الذكاء وسرعة البديهة وطلاقة اللسان، وشرع في حفظ القرآن الكريم في سن

247 مقتطفات متفرّقة من كتاب محسن هاشم الخزندار: فلسطين في عيون الإمام الشيخ هاشم الخزندار؛ صفحات منسية من تاريخ نضال الشعب الفلسطيني 1914-1979؛ لا مكان ولا تاريخ نشر. ومحسن هو ابن الشيخ هاشم.

248 بحسب ما نقل ذلك محمد حمزه، مرجع سابق، ص 159-160.

الحادية عشرة واستطاع أن يختمه وهو في عمر الرابعة عشرة. بدأ الشيخ هاشم حياته العملية إمامًا للشافعية في المسجد الكبير في غزة -بجانب عمله كمأذون شرعي- إضافة إلى ممارسته للعمل التجاري.

إنتقل إلى الأزهر الشريف عام 1934 وألبسه الشيخ سعيد العلمي أول عمامة بعد تخرّجه منه. كان الشيخ هاشم أثناء تلقيه العلم في جامعة الأزهر شخصية وطنية وشعبية ويستقبل كلّ مسافر من غزة إلى مصر فيعود ليقول إني التقيت بالشيخ هاشم وكنت ضيفًا عليه. وعمل كذلك في تجارة الكتب وتجارات أخرى كان يستوردها من فلسطين وسورية ولبنان ليبيعها في القاهرة بجانب التحصيل العلمي في الأزهر. وقد زاره في القاهرة سنة 1940 فهمي بك الحسيني، رئيس بلدية غزة الذي مارس نضالات سياسية ضد الاحتلال الإنكليزي وتصدّى للمشروع الصهيوني واعتقل عام 1939 وتم نفيه إلى صرفند، ونزل ضيفًا على الشيخ هاشم. كما زاره عبد الله أبو ستة وتوطدت الصداقة بينهما أثناء إقامته في القاهرة كلاجئ سياسي، وكذلك مدحت الوحيدي أثناء لجوئه إلى مصر. كما أنه استقبل العديد من الزعامات الفلسطينية والشخصيات البارزة في القاهرة. حينما قدم الشيخ هاشم لاستكمال تعليمه في الجامع الأزهر، كان يحمل رسالة من الشيخ عز الدين القسّام إلى الإمام البنّا، يطلب منه دعمه بالمال والسلاح، فكان أول مرة يلتقي بالإمام الشهيد حسن البنّا، وحينما تعرّف إلى فكر الإخوان واهتمامهم بالقضية الفلسطينية اختار الانضمام إلى الحركة.

دأب الشيخ هاشم مع رجال من الإخوان المسلمين في السفر إلى المحافظات المصرية للتعريف بالقضية النضالية الفلسطينية وشراء السلاح وجمع المال وإقامة محطات وبؤر نضالية في أغلب محافظات مصر في القاهرة والإسكندرية والسلوم والقنطرة والعريش وسيناء وحتى إلى أم قيس الأردنية والحمة وشفا عمرو وعكا وأعالي الجليل والجنوب اللبناني. وأصبح له وجود متواصل في هذه المناطق. وتعرّف في هذه الفترة إلى كلّ من أنور السادات وجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وصلاح سالم وجمال سالم ورشاد مهنا، قائم مقام أركان حرب العريش، واللواء محمد نجيب ويوسف صديق وعبد اللطيف البغدادي وحسين الشافعي وزكريا محي الدين ومحمد هاشم حسين وكمال حسين. وكانت تربطه علاقة شخصية بعبد المنعم عبد الرؤوف الذي دخل فلسطين قبل الجيش المصري مع تشكيلات الإخوان المسلمين ومع أنور السادات الذي عرفه من بدايات الأربعينات إلى نهاية حياته.

بتاريخ 28 شباط/فبراير 1928، أقامت جماعة الإخوان المسلمين وعلى رأسهم الشيخ هاشم معسكرًا لتدريب الشباب الفلسطيني في القاهرة وكان عدد المتطوعين أربعمائة وستين متطوعًا أغلبهم من النجّادة والفتوّة. وحين قررت الحكومة

المصرية حلّ جماعة الإخوان بعد حرب فلسطين، واصل المتطوّعون من الإخوان الجهاد إلى جانب الجيش المصري واشتركوا معه في معارك عديدة. ونظّم الإخوان وعلى رأسهم الشيخ هاشم ومعه عبد الرحمن جمعة الإفرنجي وموسى أبو عبيد وسلامة الهّزيل قوافل التموين إلى الثوار المحاصرين في الفالوجة.

دخل الجيش المصري إلى فلسطين في 5 ديسمبر 1948 بقيادة اللواء أحمد المواوي الذي طلب من الشيخ هاشم تسليم الأسلحة التي بحوزته. فسلّم الشيخ جزءًا منها وأخفي باقي السلاح في مخزن سري في مصنعه للبلاط في حي الصبرة. وكانت حكومة محمود فهمي النقراشي باشا قررت مصادرة أسلحة الهيئة العربية وجيش الإنقاذ في قطاع غزة. كما أكدت حكومة إبراهيم عبد الهادي على القرار السابق وأصدرت أمرًا باعتقال جميع أفراد الإخوان المسلمين ومصادرة أسلحتهم التي غنموها أثناء الحرب أو التي اشتروها من بقايا الحرب العالمية الثانية سواء من الصحراء الغربية، أو العلَمَين، أو فلسطين. وقد كانت كمية الأسلحة كبيرة جدًا ومعدة لتسليح المواطنين في قطاع غزة في حال فشل الجيوش العربية. وحينما علم الإخوان المسلمين بأمر الاعتقال والمصادرة، جرى تكليف كلّ من الشيخ هاشم، والشيخ عبد الله أبو ستة، والشيخ فريح المصدر، والشيخ حسن الإفرنجي، والشيخ عبد الله أبو مزيد، وقيادات الإخوان بالعمل على إخفاء الأسلحة. وتم ذلك في أراضي وبيوت ومصانع أعضاء الحركة في قطاع غزة.

عاصر الشيخ هاشم في تلك الفترة عشرات من الشيوخ أهمهم الشيخ يوسف القرضاوي، الشيخ عبد الحليم محمود، محمد خلوصي بسيسو، سليم شراب، فوزي السقا، نمر الجعفراوي، مصطفى الشوا، نمر الحرازين، خالد وعبد الله العلمي، إبراهيم القطان، مصطفى السباعي، علي محمد الجندي، إبراهيم طهبوب، وعلي الدويك، وغيرهم من أصحاب التاريخ الحافل بالعمل الإسلامي في فلسطين.

بدأ الشيخ هاشم يكوّن مجموعة من الأصدقاء في عام1943 عرفوا باسم «جماعة العرب» ثم «حركة العرب في فلسطين»، وقد تكوّنت من حلقات كانت تجتمع على شاطئ بحر غزة في الصيف وفي الحمة في فصل الشتاء. وكانوا يعبرون نهر الأردن من الحمة إلى أم قيس الأردنية للالتقاء بالإخوان المسلمين القادمين من الأردن وسورية والعراق والاجتماع معهم ومع إخوانهم الثوار الآتين من بقية الدول العربية حيث يتبادلون الأفكار والآراء ويقومون بتهريب السلاح من أم قيس الأردنية عبر نهر الأردن إلى الحمة الفلسطينية، وكان لهم محطة في قرية سبخ قضاء طبريا بجوار الحمة. وكانوا يتنقّلون في مدن وقرى فلسطين وفي حوزتهم مسدسات وأنواع مختلفة من السلاح الألماني والفرنسي والإنكليزي.

تكوّنت المجموعة من الشيخ هاشم الخزندار رئيسًا، مجدي عرفات نائب رئيس، أحمد فاضل الملاح سكرتيرًا، أسعد زينة أمين صندوق، صالح الغزالي نائب أمين صندوق، ومصباح الشوا المسؤول العسكري. وضمّت عضوية كلّ من السادة محمد البدري ونصري أبو خليل وأحمد فهد شهاب وتوفيق أرحيم وفؤاد شراب وجواد عرفات وواصف قرمان وحلمي الشوا وحلمي فيصل وطه أبو شعبان وهاني بسيسو ومحمد شملخ ونجيب الخزندار وزهدي أبو شعبان وبكر الخزندار ومحمود الشوا وسالم غربية وسليم مراد وأحمد أبو حصيرة. وكان يداوم على زيارة معسكرهم على شاطئ بحر غزة الشيخ عمر صوان والشيخ محمد الغزالي والشيخ محمد فرغلي والشيخ سيد سابق وأغلب قيادات الإخوان المسلمين في قطاع غزة ومصر.

كان مع الشيخ هاشم الشيخ محمد فرغلي وعبد المنعم عبد الرؤوف ويوسف طلعت وكامل الشريف في عدة مواقع. وكان مجاهدو الإخوان المسلمين يلجأون دومًا إلى الشيخ هاشم لحلّ مشكلات الذخيرة وصناعة الأسلحة اليدوية وتصليح الأسلحة وتطويرها في ورش غزة. وقد غنم متطوعون من الإخوان المسلمين كمية من ذخيرة المورتر في بعض المواقع مع الصهاينة، وعادوا بها إلى غزة حيث قام الشيخ هاشم بصناعة مدفع لقذائف المورتر في ورش؛ كما صنع راجمة قنابل استخدمت في العمليات العسكرية التي خاضها الإخوان المسلمون. وكان يرافقه في متابعة عمل ورش الأسلحة يوسف طلعت. وتجاوز عدد المتطوعين من الإخوان المسلمين المصريين في قطاع غزة الألفين وكان مركزهم في البريج ودير البلح.

وقد رافق الشيخ محمد فرغلي الإمام حسن البنّا في جولات ميدانية على خطوط القتال في فلسطين، بعدما كان فرغلي وصل مع أول دفعة من الإخوان المسلمين برفقة كامل الشريف وفوزي الجلاد وعلي صديق المنشاوي وأحمد اللبابيدي ويوسف طلعت وعبد المنعم عبد الرؤوف. وكان من مبعوثي الإخوان المسلمين إلى فلسطين الشيخ معز عبد الستار وسعيد رمضان والشيخ سيد سابق ومحمود الصباغ.

كما أسّس الشيخ هاشم في عام 1956، حركة «المقاومة الشعبية»، وكانت عبارة عن تحالف بين الإخوان المسلمين وحزب البعث في غزة. علمًا بأن الشيخ هاشم كان أحد أعضاء الهيئة الإدارية في جماعة الإخوان المسلمين في قطاع غزة، وقد تكونت الهيئة الإدارية من الشيخ عمر صوان رئيس الإخوان المسلمين في غزة، ونجيب جويفل نائبًا له، والشيخ هاشم الخزندار، والحاج صادق المزيني، وحسين الثوابتة، وزكي السوسي، وكامل مشتهى، ويوسف عميرة، وأحمد فرج، وأسعد حسنية، وصبحي السرحي، ومحمد أبو سيدو، وعبد الرحمن القيشاوي، وحسين الشوا، وسليم مراد، وحسن النخال، وزهدي أبو شعبان، ومحمد محمود الشوا، والشيخ عبد الله القيشاوي، وعيد ملكة، ومحمود عابد، وعلي هاشم رشيد، ومصباح الزميلي.

أما اللجنة المركزية لحركة الإخوان المسلمين في قطاع غزة 1952-1955، فتكوّنت من الشيخ محمد الغزالي، ومأمون الهضيبي، والشيخ هاشم الخزندار، والحاج صادق المزيني، وزكي السوسي، ومحمد أبو شرار، وحسن النخالة، وزكي الحداد، وكامل مشتهى، وكمال ثابت، وعلي هاشم رشيد، وزهدي أبو شعبان. وكان لحركة الإخوان المسلمين عدة شُعب في مدينة غزة، ومدن القطاع الأخرى، وقد ترأس الشيخ هاشم الخزندار شعبة الرمال، في حين كانت شعبة الشجاعية برئاسة كامل مشتهى، وشعبة الزيتون برئاسة صبحي السرحي، وشعبة الدرج برئاسة الشيخ عمر صوان.

دور الشيخ هاشم بعد عام 1967

بعد هزيمة عام 1967، حين ابتدأ النزوح الجماعي من قطاع غزة إلى شرق الأردن، كان للشيخ هاشم دور رئيس في منع هجرة أهالي قطاع غزة إلى شرق الأردن، لتوطينهم وحلّ القضية الفلسطينية. وتنقّل الشيخ هاشم من مسجد لآخر، في معسكرات اللاجئين، ليخطب فيهم، مبيّنًا أبعاد خطر الهجرة، وتفريغ قطاع غزة، ويحثّهم على عدم ترك الوطن، ومغادرته تحت أي ظرف اقتصادي، أو سياسي.

تميّز الشيخ هاشم بصفات شخصية واجتماعية، وعلمية وسياسية، دفعت الناس إلى قصده، طلبًا لمشورته ومساعدته، لما كان له في نفوس الشعب الفلسطيني، من مكانة كبيرة، فهو من رواد التواصل، بين أهالي الضفة والقطاع، وأهالي فلسطين المحتلة عام 1948. عمل على زيارة مضارب البدو في بئر السبع، وحثهم على بناء المساجد، وأرسل الأئمة من غزة، لتعليمهم وتحفيظهم القرآن، والحديث والسُنة، وانتقل إلى المثلث العربي، وامتدت حلقات دروسه إلى الطيرة، وأم الفحم، وكفر قاسم، وغيرها من القرى، ثمّ إلى شمال فلسطين، حيث كان مركزه قرية الجديّدة والمكر، وامتدت زيارات الشيخ هاشم، حتى وصلت إلى أغلب المدن والقرى العربية، عكا وجسر الزرقا، ومدينة يافا.

علاقة الشيخ هاشم الخزندار مع قيادات حركة فتح

1- ياسر عرفات: توثّقت علاقة الشيخ هاشم بمحمد عبد الرؤوف القدوة في مصر، إبان دراسته في جامعة الأزهر عام 1934. وفي وقت مبكر من مراحل شبابه، وهو في الثانوية في مصر، قدّمه الشيخ هاشم للمتطوعين الفلسطينيين، في معسكر شبابي، لتدريب شباب الإخوان المسلمين، في القاهرة عام 1946. وكان يحرص

على أن يتعرّف الشباب الفلسطيني في غزة به، ليساعدهم ويقدّم لهم المعونة، واستمرت العلاقة وتطورت في كثير من المحطات الوطنية.

2- خليل إبراهيم الوزير: تربطه صلة نسب بالشيخ هاشم، وهو من أقرب الأشخاص إلى فكره، وقد اكتشف الشيخ هاشم مبكرًا روح الثورة والتمرد والسرية في شخصية خليل الوزير. بدأت علاقتهما والأخير في مرحلة الثانوية، فكان يزوره ليستعير منه الكتب، ويجلس معه ساعات طويلة، ليتعرّف إلى آرائه السياسية، وتجربته مع الإخوان المسلمين. ولمعرفة الشيخ هاشم أن خليل الوزير كان عضوًا ملتزمًا في حركة الإخوان المسلمين، قام بترشيحه لصلاح البنّا، ومحمد فوده، من الحركة، للإشراف على تدريبه وتنشئته عسكريًا. وعندما أُلقي القبض على خليل الوزير، تدخّل الشيخ هاشم لدى السلطات المصرية لما لديه من علاقات ونفوذ.

3- صلاح مصباح خلف: كان الشيخ هاشم على علاقة جيدة مع مصباح خلف في الأربعينات، ومع كل آل خلف في غزة ويافا، وقد التحق صلاح خلف بحركة الإخوان المسلمين، ومبكرًا بجمعية التوحيد.

4- كمال عدوان: إلتحق بصفوف حركه الإخوان المسلمين عام 1952، وكان شديد الالتصاق بالشيخ هاشم، فكان الأب الروحي له ولمجموعته.

5- محمد يوسف النجار: تعود علاقة الشيخ هاشم القوية به أوائل الأربعينات إلى عمه الشيخ طه النجار، من مناضلي أهالي يبنا ما قبل 1947. وعند النكبة استقبل الشيخ هاشم آل النجار في غزة، ونزلوا ضيوفًا عليه حتى انتقلوا إلى رفح. إشترك مع الشيخ هاشم في كافة نشاطات الإخوان المسلمين، وكان من المبادرين إلى التفكير في إنشاء حركة فتح.

إلتقت أفكار الشيخ هاشم، مع مجموعات الفلسطينيين المقيمين في قطر، والكويت والسعودية، وكان موسم الصيف، يشهد النقاشات التي تتم في غزة، مع الذين يحضرون من الأقطار العربية، في الإجازات الصيفية. وكان الشيخ هاشم من الأوائل الذين طرحوا فكرة تكوين حركة فتح عام 1958، بعد انتهاء العدوان الثلاثي على غزة، حيث كانت البدايات لحركة فتح من مجموعة من كوادر الإخوان المسلمين، وكان أول اجتماع لهم في بيته الكائن في مدينة غزة؛ وشارك حركة فتح اجتماعاتها في الكويت وقطر ولبنان والسعودية.

بعد انطلاقة عمليات قوات العاصفة في العام 1965، كان الشيخ هاشم من المحسوبين على قيادة حركة فتح، يحضر اجتماعاتها، ويتنقل من قطر إلى آخر، يسعى في حلّ مشاكلها، ويحاول أن يجد خطوط التقاء بينها وبين جماعة الإخوان

المسلمين كلّما سنحت الفرصة لذلك. وكان من القيادة الأولى لحركة فتح في قطاع غزة، والتي كانت تضم إلى جانبه كلّ من سليم الزعنون، ورياض الزعنون، وأسعد الصفطاوي، ومعاذ عابد، وحمد العايدي، وغالب الوزير، وسعيد المزين.

ظلّ الشيخ هاشم منتميًا لحركة فتح، منخرطًا في صفوفها، ملتزمًا بأنظمتها وقوانينها، وفلسفتها، ونظرتها للمسائل الوطنية، حتى اغتياله.

إعتقل الشيخ هاشم في المرة الأولى عام 1941 في مصر، بتهمة مساندة ثورة رشيد الكيلاني، وسجن في سجن الأجانب في باب الخلق، وظلّ في المعتقل ثلاثة أشهر، وتم ترحيله بالقطار إلى سجن صرفند في فلسطين، حيث سُجن أربعة أشهر، ثم أطلق سراحه بكفالة الأمير بدر الدين الضامن من الأردن.

المرة الثانية عام 1965، حينما اعتقل مع سيد قطب، على خلفية تمويل حركة الإخوان المسلمين. وأثناء فترة التحقيق التي استمرت خمسة شهور، تبينّ أنه ينتمي إلى صفوف حركة فتح، فتم الإفراج عنه بعد فترة قليلة، وسرعان ما أعيد اعتقاله عام 1967، من قبل الاحتلال الإسرائيلي بتهمة انتمائه لحركة فتح.

تلقى الشيخ هاشم في 1970/3/6، نبأ استشهاد ابنه البكر، محمد النعمان، أثناء التدريب في سورية، وكان من الناشطين في حركة فتح في قطاع غزة، ومصر وسورية ويوغسلافيا، حيث كان طالبًا في كلية الهندسة. إعتُقل أبناؤه بدر الدين ومحسن ومأمون في عام 1974، وأفرج عن بدر الدين بعد خمسة وأربعين يومًا، ومحسن بعد سنة ونصف، أمّا مأمون فبعد ست سنوات. وهُدم جزء كبير من منزله، المقابل لمستشفى الشفاء، بعد اعتقال أبنائه، بالمعاول، ومنعت سلطات الاحتلال ترميمه لسنتين بقرار عسكري.

إغتيل الشيخ هاشم الخزندار على يد إحدى المجموعات العسكرية الفلسطينية وهو خارج من صلاة الفجر من المسجد العمري الكبير (1 حزيران/يونيو 1979)، وذلك على خلفيه تنظيمه لوفد من قطاع غزة، إلى جمهورية مصر العربية، لتأييد الرئيس السادات بعد زيارته إلى القدس، وتوقيعه اتفاقية السلام مع دولة الكيان الصهيوني، وقد شارك في هذا الوفد عدد من شخصيات القطاع التي اختارها، واستقبل في القصر الجمهوري، وسلّطت الأضواء على هذه الزيارة بوسائل الإعلام المصرية، في حين انتقدتها منظّمة التحرير الفلسطينية وفصائلها.

غير أن حركة فتح لم تسجّل موقفًا واضحًا تجاه هذا القائد الفتحاوي، الذي جرى اغتياله في فترة متقدّمة من المبادرات السياسية السلمية التي كانت فتح لا تريد أن تظهر بمظهر الموافق والمؤيّد لها، في حين أنها كانت تباركها وتخطط وتسعى

لتحقيقها كما ثبت لاحقًا. وقد أكد لنا أبناؤه، أن لديهم وثائق من قيادات وكوادر حركة فتح، تثبت أن والدهم عندما توجّه إلى القاهرة لمباركة خطوات الرئيس المصري محمد أنور السادات، في زيارته للكنيست الإسرائيلي، واتفاقية كامب ديفيد، كانت الزيارة بتوجيه ومتابعة وإشراف كامل من حركة فتح، وعلى رأسها صلاح خلف، الذي كان يتابع كلّ التحرّكات أولاً بأول مع والدهم، وقد راجع بنفسه الخطاب الذي ألقاه والدهم في القاهرة وقام بتعديله.

جنازته

خرجت غزة لوداع الشيخ هاشم، من المسجد العمري الكبير، وسارت الجنازة من المسجد إلى مقبرة ابن مروان، مقابل مركز شرطة مدينة غزة، على مدخل حي الشجاعية، وكانت من أكبر الجنازات احتشادًا في تاريخ مدينة غزة، حيث شاركت معظم المجالس البلدية والقروية فيها، كما شاركت غالبية الشخصيات الوطنية والإسلامية، وأقيم له بيت عزاء في غزة، وآخر في الكويت، وأبو ظبي، ورام الله، وبيروت، والقاهرة، تلقّت فيها العائلة مئات البرقيات، من الزعماء والقادة والشخصيات العربية والإسلامية والوطنية.

لم يسجّل على الشيخ أي تعاون مع قادة الحكم العسكري الإسرائيلي سوى القيام بمهمته كإمام لمدينة غزة والتدخّل لدى قوات الاحتلال في استلام جثامين الشهداء والصلاة عليها وفق الشريعة الإسلامية ومساعدة الأسرى الفلسطينيين بتحسين حياتهم داخل السجون وهذه المهمة الوطنية التي قام بها لا يزال أهالي غزة يذكرونها له ويترحّمون عليه.

الفصل الثاني: عن حركة فتح

1- حركة فتح: الميلاد والمسير

من أحاديث كثيرة مع الشهيد خليل الوزير[249] خرجتُ بتحليل مفاده أنه يرى في مرحلة 1948-1957 المهد الفعلي لنشوء حركة فتح من رحم الإخوان في غزة. كما أن هذه المرحلة كانت من جهة أخرى المعجن والمخبز للأفكار والتطلّعات التي تطورت لتحدث قطيعة فكرية وسياسية ونفسية مع الإخوان. فهذه المرحلة (ويسميها أبو جهاد وكمال عدوان المرحلة الأولى التمهيدية[250]) تميّزت بادىء الأمر بشيوع الذهول والحيرة بين صفوف الجماهير في السنوات التي تلت النكبة واللجوء، خصوصًا عندما أخذت الأنظمة العربية تقمع أي نشاط سياسي في المخيمات وأماكن التجمّعات الفلسطينية (في دول الطوق خصوصًا)، ثم بانخراط الشباب الفلسطيني في العمل السياسي والحزبي والعقائدي (من خلال الإخوان المسلمين والحزب القومي السوري وحزب التحرير) أو في انتظار التحرير على يد قادة الانقلابات العسكرية (من حسني الزعيم 1949 إلى محمد نجيب وجمال عبد الناصر 1952). وقد شهدت هذه المرحلة غياب القيادات التقليدية والتاريخية الفلسطينية وتفكّك العلاقات الاجتماعية الحاضنة للحراك السياسي بفعل التشتت واللجوء في المنافي.

يضاف إلى ذلك كمية المشاكل اليومية التي اعترضت اللاجئين في حياتهم البائسة في المخيمات ومظالم الاستخبارات العربية. الأمر الذي أوجد بين جيل الشباب حالات كثيرة من البحث عن أطر تملأ الفراغ وتوحّد الطاقات وتحمي الناس. كما أن عددًا كبيرًا من الشباب اضُطر للهجرة إلى الخليج هربًا من الملاحقة أو بحثًا عن لقمة العيش. وفي تجمّعات الخليج، كان الشعور بالمرارة السائد ليتولد منه

---

249 أبو جهاد: أحاديث خاصة، وأيضًا في البدايات، مرجع سابق، ص 51-54. ونجد التحليل نفسه من خلال ما كتبه أيضًا الشهيد كمال عدوان في مجلة «الثورة الفلسطينية» التي كانت تصدرها حركة فتح (خصوصًا في العدد 22، كانون الثاني/يناير 1970)، وفي حديث كمال عدوان مع طاهر عبد الحكيم بعنوان «كمال عدوان: فتح الميلاد والمسيرة»، في مجلة شؤون فلسطينية، عدد 17، كانون الثاني/يناير 1973، الصفحات 45-58، وكذلك في آخر حديث له قبل استشهاده وقد نشرته مجلة شؤون فلسطينية، العدد 21، أيار/مايو 1973، الصفحات 28-38.

250 أبو جهاد، أحاديث خاصة، مرجع سابق، وكمال عدوان، شؤون فلسطينية العدد 17، وشؤون فلسطينية العدد 21.

شعور بضرورة القيام بعمل ما لإنقاذ هذا الشعب من حال البؤس واليأس[251]. وشهدت المرحلة ولادة عشرات التجمّعات والمجموعات الصغيرة من الشبان بدأت تدرس التجارب الثورية للشعوب (وخصوصًا تجارب الصين وكوبا والجزائر وفيتنام وكانت في أوج انطلاقتها الثورية) بعد أن فقدت أملها بالثوار العرب الانقلابيين (بسبب تكاثر وتعدد الإنقلابات السورية وتصفياتها الداخلية من جهة، كما بسبب الصدام الكبير بين محمد نجيب وعبد الناصر أولاً، ثم بين الضباط الأحرار والإخوان المسلمين بعد عام 1954 ثانيًا).

وليس صدفة أن تولد في تلك الأجواء نواة حركة القوميين العرب على يد شبان فلسطينيين يدرسون في بيروت، أو أن تنشط مجموعات كثيرة داخل الجيوش العربية (وجيش التحرير الفلسطيني) حملت كلّها اسم جبهة تحرير فلسطين أو جبهة التحرير الفلسطينية (أبرزها مجموعات الضباط عثمان حداد وعبد اللطيف شرورو وعلي بشناق وأحمد جبريل في سورية، وأحمد زعرور وعبد الله العجرمي وعصام السرطاوي في مصر، وصالح سرية في العراق، إضافة إلى مجموعة شفيق الحوت ومحمد الشاعر في لبنان، وإلى القوميين العرب المستقلّين أحمد السعدي وبهجت أبو غربية وصبحي غوشة في الأردن والضفة الغربية).

إلا أن التجربة الأهم هي تلك التي قامت بين اللاجئين في قطاع غزة والذين كانوا على تماس مع بقايا كتائب المتطوعين من الإخوان المسلمين والضباط الأحرار بعد نكبة 1948. ويبدو أن تجربة الإخوان في حرب فلسطين استهوت عددًا من الشبان في غزة (أبرزهم خليل الوزير وياسر عرفات ومحمود عباس وصلاح خلف وحمد العايدي ومحمد الإفرنجي وكمال عدوان ومحمد يوسف النجار) فاتصلوا بالضابط الإخواني المصري عبد المنعم عبد الرؤوف. وقد استمرت الصلة بالإخوان حتى اندلاع الصدام العنيف بينهم وبين النظام الناصري 1954 بعد إبعاد محمد نجيب وسجن وطرد ضباط الإخوان[252]. وقد روى أبو جهاد كيف كان يتدرب على السلاح منذ العام 1949 على يد ضباط مصريين من الإخوان في قطاع غزة وكيف قام معهم بعدة عمليات عسكرية ضد الاحتلال في أعوام 1950-1954[253].

وبين العامين 1953 و1957، كان هناك أكثر من 50 مجموعة صغيرة في مخيمات وتجمّعات اللاجئين في غزة، لم يكن بينها أي تنسيق أو حتى اتصال، وكلّها تبحث عن التشكل في هيكلية تشبه جبهة التحرير الجزائرية أو جبهة التحرير الفيتنامية

251 أبو جهاد، أحاديث خاصة، مرجع سابق، البدايات، مرجع سابق، ص 58-59.

252 حول علاقة الضباط الأحرار بالإخوان راجع كتابي: الإخوان والجيش، دار المشرق، القاهرة، 2016.

253 أبو جهاد، أحاديث خاصة، مرجع سابق.

(وهما انطلقتا عام 1954)[254]. فالمثال الذي كان يداعب خيال هؤلاء الشباب هو المثال الوطني التحرّري تقوده حركة ثورية مسلحة.

ويقرر أبو جهاد أن نقطة التحوّل الرئيسية لدى هؤلاء الشباب لتشكيل حركة وطنية فلسطينية تحرّرية كانت في 28 شباط 1955 حين انطلقت التظاهرات من ثانوية فلسطين في غزة لتشييع 38 جنديًا مصريًا من كتيبة فلسطين التي كان يقودها عبد المنعم عبد الرؤوف حين وقعت دوريتهم في كمين إسرائيلي[255]. وبحسب أبو جهاد، فإن الشباب الإخواني الذي كان معه في غزة اقتنع بضرورة المبادرة وتحمّل المسؤولية بعد اعتقال أبو يوسف النجار إثر التظاهرات المطالبة بالتجنيد والتسليح مطلع عام 1954[256].

ويرى أبو جهاد أن ازدياد حجم ونوعية العمليات العسكرية وردود الفعل الإسرائيلية عليها «وبعد أن تحوّل كفاحنا المسلّح إلى حقيقة عملية تكاد تستقطب الشارع الفلسطيني برمّته، شعرنا بأن مثل هذه الحال تتطلّب بناء التنظيم القادر على استيعابها وعلى إعادة صياغتها وإنتاجها في قنوات وأطر تبلورها إلى عمل مستمر، بحيث يكون هذا التنظيم هو الناطق بإسم هذه الحال الجماهيرية، أو المعبّر عنها، أو ممثلها في الصراع الناشب»[257].

2- أبو جهاد والإخوان

مقاطع من رواية إسماعيل عبد العزيز الخالدي[258]

(...) كوّن الإخوان فرقًا كشفية، كانت أقرب إلى الجنود منها إلى الكشافة، فكانوا يحوّلون معسكراتهم الكشفية إلى معسكرات عسكرية، وكان

254 المرجع نفسه.

255 المرجع نفسه، أما كمال عدوان، فيرى أن عدوان 1956 كان هو نقطة التحوّل في مسيرة الثورة والانتقال إلى المرحلة الثانية، فبرأي كمال عدوان أن الشباب الفلسطيني تفاعل مع كلّ الأحداث والتطورات العربية لاعتقاده أنها جزء من معركته في فلسطين. ثم اكتشف أن هذا الطريق «العربي» لم يحقق أغراضه، فبدأت ترتسم علامات استفهام كبيرة تتساءل إلى أين؟ وهنا وقع العدوان الثلاثي وسقطت غزة. فبدأت المرحلة الثانية... أنظر مقابلة كمال عدوان في مجلة شؤون فلسطينية، مرجع سابق، ص 46-47.

256 أبو جهاد، أحاديث خاصة، مرجع سابق.

257 أبو جهاد، البدايات، مرجع سابق، ص 62.

258 أحد الرواد الأوائل المؤسسين لجماعة الإخوان في غزة. أنظر مذكراته في:

إسماعيل عبد العزيز الخالدي: ستون عامًا في جماعة الإخوان المسلمين، مركز التأريخ والتوثيق الفلسطيني، غزة-فلسطين، مطبعة ومكتبة دار الأرقم، الطبعة الثانية سبتمبر2011.

أفرادهم يقومون بتدريبات عنيفة وشاقة، وكانوا يبدأون تدريباتهم الأولية مستعملين العصي بدل البندقية الحقيقية تفكيكًا وتركيبًا وإطلاق نار. وكان الذين يحسنون هذه التدريبات ويتقنونها تتاح لهم فرصة التدريب على البنّادق... هذا وقد أتاح وجود البكباشي (المقدّم) عبد المنعم عبد الرؤوف كقائد للكتيبة الفلسطينية الفرصة لعدد من الإخوان للتدريب داخل معسكرات الجيش، وكان من هؤلاء الشهيد إبرهيم عاشور وخليل الوزير وغيرهم.[259]

كانت مدرسة فلسطين الثانوية المدرسة المتكاملة الوحيدة في قطاع غزة، وكان ناظرها الأستاذ علي صالح رحمه الله، من الرجال الصالحين الذين يؤمنون بالديمقراطية، فدعا إلى تأسيس اتّحاد لطلاب المدرسة... أن ينتخب كلّ فصل، من الستة عشر فصلاً الذين كانت تتكوّن منهم المدرسة، خمسة طلاب، لتتكوّن من الثمانين طالبًا المنتخبين «الهيئة التأسيسية لاتّحاد الطلاب». وبعد ذلك يقوم هؤلاء بانتخاب اللجنة التنفيذية لاتّحاد الطلاب. أجريت الانتخابات في الفصول، وكان عدد الإخوان الذين فازوا بعضوية الهيئة التأسيسية للاتحاد خمسة وخمسين طالبًا... إلا أن التحكّم في تحديد أعضاء اللجنة التنفيذية أصبح في أيدي الطلاب من الإخوان المسلمين، وقد حرص الإخوان على انتخاب طالب نصراني ضمن اللجنة التنفيذية هو الطالب سليم غطاس، بالإضافة إلى الطلاب العشرة الآخرين الذين كانوا من الإخوان المسلمين. وكان من بينهم خليل زعرب، وكمال عدوان، وسعيد المزين وخليل الوزير...

شارك اتّحاد طلاب مدرسة فلسطين في إدارة شؤون الطلاب في المدرسة بإشراف الأستاذ مجدي أبو رمضان، فكوّنوا فرقة كشفية بقيادة الطالب خليل زعرب، وأخذوا يدرّبون الطلاب فيها تدريبات عنيفة شبه عسكرية، وأصدروا عددًا من صحف الحائط، ومجلة نصف شهرية، أطلق عليها اسم «صوت فلسطين»، وطالبوا بفتح مسجد ليصليّ فيه الطلاب صلاة الظهر، ففتح لهم مسجد، وطالبوا بإعلان الأذان في المدرسة، فنُفذ ذلك فعلاً، ثم طالب الاتّحاد بأن يُدرّب الطلاب تدريبًا عسكريًا إجباريًا، فاستُجيب طلبهم، وأصبح في مدرسة فلسطين الثانوية ضابطان يقومان بعملية التدريب: الضابط الاحتياط الأستاذ صلاح البنّا مدرّس التربية البدنية، والضابط الاحتياط الأستاذ كمال فوده مدرّس الكيمياء. ووضعت في المدرسة مجموعة من ضباط الصف، ليقوموا بعملية التدريب، تحت إشراف الضابطَين المذكورَين[260]...

259 المرجع نفسه، ص 44.

260 المرجع نفسه، ص 48-50.

كان طبيعيًا أن يزداد الاهتمام بجمع السلاح والذخيرة والتدريب العسكري، الذي كان موجودًا باعتبار أن حركة الإخوان حركة جهادية، وباعتبار دورها العسكري في حرب فلسطين، وهي إحدى العلامات البارزة التي يفخر بها الإخوان الذين كانوا يعيشون في أتون الطغيان الصهيوني واعتداءاته العسكرية المتكررة في قطاع غزة... لقد قلّ عدد المنضمين إلى التنظيم السري في هذه الحقبة، فلم يزد عددهم عن بضع مئات في جميع أنحاء قطاع غزة، وكان عدد منهم يدرس في الجامعات المصرية. وكان نشاطهم رتيبًا في القطاع، وقد دأبوا من وقت لآخر في توزيع المنشورات التي تنتقد رجال الحكومة في القطاع، وكانوا يوقعون منشوراتهم بإسم «شباب الأحرار الثائر». واحتارت الإدارة المصرية مَن مِن الأحزاب تتهم بهذه المنشورات، فتارة الإخوان، وأخرى الشيوعيين، وفي إحدى المنشورات فضحوا ضباط الإدارة المصرية الذين سرقوا مواد تموينية كانت مرسلة لفقراء اللاجئين، وباعوها في الأسواق. وقد شارك في تلك السرقات الحاكم الإداري العام اللواء محمد فؤاد الدجوي نفسه، ومدير الشؤون الاجتماعية وأمور اللاجئين، شقيق شمس الدين بدران مدير مكتب المشير عبد الحكيم عامر، القائد العام للقوات المسلّحة. وأحصى المنشور الكميات التي بيعت، والأماكن التي بيعت فيها، والملابس التي استولوا عليها والنقود التي حاولوا تهريبها بدقة متناهية، وقام الطالب خليل الوزير بنشاط كبير في توزيعه[261]...

عندما أصبح البكباشي عبد المنعم عبد الرؤوف رحمه الله قائدًا للكتيبة الفلسطينية عام 1953، زار بعض شُعب الإخوان في القطاع، وحدّث أركانها قائلاً: «إنكم مخطئون إذا اعتقدتم أن مصر ستقوم بمحاربة إسرائيل وتحرير فلسطين، وأنا أعرف رجال الثورة أكثر من أي رجل آخر، وأستطيع أن أؤكد لكم أن جميع الدول العربية لا تفكّر في ذلك أيضًا. وإذا أردتم تحرير فلسطين فلا بد أن تقوموا أنتم بذلك، ومن الآن قبل فوات الأوان. عليكم أن تختاروا مجموعة من الشباب لأقوم بتدريبهم في معسكرات الكتيبة الفلسطينية، وبعد الانتهاء من التدريب عليكم أن تقوموا بحرب عصابات ضد إسرائيل لمنعها من تثبيت نفسها في أرضكم، ولجعل جيشها في حال حرب ترهقها وتجعلها قابلة للهزيمة أمام أي دولة عربية تفكّر في تحرير فلسطين مستقبلاً». ولما كان هذا الاقتراح منسجمًا مع ما نادى به مفكرو الإخوان المسلمون وقادتهم في مصر ومتوافقًا أيضًا مع طموحات الشعب الفلسطيني وآماله، قام الإخوان في قطاع غزة بإرسال مجموعات من الشباب الإسلامي إلى معسكرات الكتيبة الفلسطينية، وتمّ تدريبهم

261 المرجع نفسه، ص 60-59.

هناك. وكان من بينهم: إبراهيم عاشور، محمد أبو سيدو، خليل الوزير، كمال عدوان، حمد العايدي، سعيد المزين، عبد الرحمن بارود، محمد حسن الإفرنجي، محمد عطوة زعرب، يوسف عميرة، وكثير غيرهم لا تحيط بهم الذاكرة، وبعد أن أنهى هؤلاء تدريبهم بدأوا حرب عصابات...[262]

وبينما كانت مجموعة من شباب الإخوان يستعدون للتسلّل إلى الأراضي المحتلّة للقيام بعملياتهم المعتادة، وقعت في كمين نصبته لهم القوات المصرية، إلا أنهم استطاعوا الهرب، وتمكّنت الأخيرة من التعرّف على الطالب خليل الوزير، فألقي القبض عليه، ووضع في السجن مدة أسبوع. وقد كان من أنشط الشباب الذين تدرّبوا في معسكرات الكتيبة الفلسطينية. وخرج خليل الوزير من السجن بكفالة الشيخ هاشم الخزندار رحمه الله...[263]

بعد خروج اليهود من قطاع غزة في 1957/3/7، طرأت على أذهان بعض أفراد الإخوان الذين كانوا يقومون بعمليات فدائية داخل خط هدنة سنة 1949 فكرة تكوين حركة ينضم إليها جميع أفراد الشعب الفلسطيني، تاركين اتجاهاتهم السياسية واختلافاتهم الفكرية، ويكون هدفها تحرير فلسطين كلّ فلسطين من نهر الأردن إلى البحر الأبيض المتوسط، ومن رأس الناقورة إلى رفح والعقبة، وبعد أن تتحرّر فلسطين يعود كلّ صاحب فكر إلى فكره، وكلّ حزبي إلى حزبه. وقالوا: إذا بقينا ننادي بالإسلام، فإننا نعرّض أنفسنا لنقمة جمال عبد الناصر وغيره من الزعماء العرب بل والعالم أجمع، أما إذا نادينا بتحرير فلسطين، فإن جميع العرب سيقفون إلى جانبنا. وقد تزعّم هذه الفكرة خليل الوزير الذي قام بعدة عمليات داخل خط الهدنة، وكذلك كمال عدوان...

وكان ردّ الإخوان بأن الغضب والحقد والكراهية والحرب الموجّهة إلى الإخوان كانت نتيجة لإخلاصهم في محاربة إسرائيل ومحاولة تحرير فلسطين من اليهود. وإذا قامت أي جماعة في العالم العربي وأخلصت في محاربة اليهود بهدف تحرير فلسطين، فإنها ستواجه ما واجهه الإخوان المسلمون الذين نقلوا من ميادين القتال إلى السجون. ولكنهما أصرا على فكرتهما، واستمرا في نشرها بين أفراد الإخوان، وأحدث ذلك بلبلة داخل الجماعة وإرباكًا شديدًا. إنطلقوا هم ومن آمن بفكرتهم يدعون إليها بين جميع الاتجاهات، ولكنهم كانوا لا يجدون من يشاركهم هذه الأفكار إلا الذين لم يكن لهم اتجاهات سياسية، فقد استقطب بعضهم وبأعداد قليلة، لأن الحزبيين

262 المرجع نفسه، ص 63.

263 المرجع نفسه، ص 64.

وبعض المستقلّين ظنّوها حركة من حركات الإخوان المسلمين، يريدون بها أن تضمّهم إليهم بطريق غير مباشر، وكان مؤسسو حركة تحرير فلسطين يعودون إلى شباب الإخوان في محاولة إلى ضمّهم لهذا التنظيم الرائد الجديد...[264]

وأخيرًا طلب المسؤول في الإخوان من الذين آمنوا بالفكرة أن يكتبوا رسميًا شارحين فكرتهم كتابة حتى يُرد عليهم بشكل رسمي ومكتوب... وقد بقيت محاولة كسب أفراد من الإخوان المسلمين قائمة حتى اتفق معهم مسؤولو الإخوان على أن يقلعوا عن محاولة ضمّ أفراد من تنظيم الإخوان، ولكنهم لم يلتزموا بذلك. وكان ممن انضمّ إلى هذا التنظيم من الإخوان: كمال عدوان، خليل الوزير، سليم الزعنون، سليمان حمد (تركهم فيما بعد وعاد إلى قواعده)، أسعد الصفطاوي، صلاح خلف، معاذ عابد، صبحي أبو كرش، سعيد المزين، غالب الوزير، محمد يوسف النجار، رياض الزعنون، سعيد المسحال، يوسف أبو عميرة، عبد الفتاح حمود، فتحي البلعاوي، جمال عايش، محمد حسن الإفرنجي، أحمد حلس، رفيق النتشة، سليمان أبو كرش وكثير غيرهم...[265]

نجد في الواقع في قيادات فتح ورموزها شخصيات ذات خلفيات إخوانية أو من حزب التحرير الإسلامي، مثل خالد الحسن، ونمر صالح (أبو صالح) ومحمود مسودة (أبو عبيدة)؛ أو من حزب البعث مثل فاروق القدومي، سميح أبو كويك (قدري)، خالد اليشرطي، ومحمد أبو ميزر (أبو حاتم)، أو ذوي خلفيات يسارية مثل ماجد أبو شرار. وقد بقيت القيادة لمدة طويلة في أيدي شخصيات لها خلفية إخوانية، وتشير بعض المصادر إلى أن القيادة الأولى لفتح كانت من خمسة هم: خليل الوزير (أبو جهاد)، وعبد الفتاح حمود، وكمال عدوان، وسليمان حمد، وياسر عرفات. والأربعة الأوائل كلهم من الإخوان المسلمين، أما ياسر عرفات، فكان يعد مؤيدًا ومحسوبًا على التيار العام للإخوان...[266]

264 المرجع نفسه، ص 94-93.

265 المرجع نفسه، ص 95.

266 المرجع نفسه، ص 99-98.

3- فتح البدايات، بحسب أبو جهاد[267]

كان هناك في الساحة الفلسطينية اتّجاهات مختلفة:

الاتّجاه الأول: الذي كان ينتظر المخلّص العربي أو صلاح الدين القادم بجيشه الجرار لتحرير فلسطين. وقد انتعش مثل هذا الاتّجاه بعد التغييرات التي طرأت على السلطة في أقطار عربية عديدة، لكنه صدم مرة أخرى حين كانت هذه السلطات تردد أن «لا خطة لدينا في الوقت الحاضر من أجل فلسطين».

الاتّجاه الثاني: كان يرى ضرورة إعادة بناء المجتمعات العربية على أسس جديدة وبنية مختلفة... فاتّجه أصحاب هذا الاتّجاه نحو العمل الحزبي القومي، فتوزّعت قطاعات مختلفة من شعبنا الفلسطيني على هذه الأحزاب ظنًا منها أنها إذا ما سيطر أحد هذه الأحزاب على السلطة في الأقطار المحيطة بفلسطين فسوف يعني أنهم ملكوا زمام مجتمع عربي قوي وسليم يمكنه أن يكون لبنة أساسية في مواجهة الخطر الصهيوني وتحرير فلسطين. وقد خاض شبابنا جميع المعارك التي خاضتها هذه الأحزاب، بحيث كان الفلسطيني في حزب معين يصارع شقيقه الفلسطيني في حزب آخر. لكن الوقائع أعطت نتائج تختلف عن الآمال التي بني عليها هذا الاتّجاه، إذ ثبت أن الأحزاب التي وصلت إلى السلطة في بعض الأقطار العربية، كانت أبعد الناس عن طريق التحرير، وكل ما قامت به أنها ضاعفت الخلافات والانشقاقات بدل الوحدة والتضامن.

الاتّجاه الثالث: وكان الشاغل الرئيسي لمثل هذا الاتّجاه هو انتظار صراع دولي أو حرب عالمية ثالثة تنشأ في غمرتها إمكانية تحرير فلسطين.

هذه هي الاتّجاهات التي كانت سائدة بعد نكبة فلسطين والتي ملأت الساحة الفلسطينية خصامًا واقتتالاً وصراعًا من دون أن يكون ممكنًا الوصول إلى نتيجة ما. وفي مثل هذا الظرف جرى الزجّ بطلائع فلسطينية في معارك لا طائل منها لعبت دور رأس الحربة في معارك الصراع الداخلي والمحلي...

كان هناك طلائع من أبناء شعبنا في كلّ مكان يبحثون عن الخلاص الذاتي، وقد حاولنا أولاً عبر الطرق الحزبية لكننا كنا نصطدم بالعقليات الحزبية المتحجّرة وبالدوغما الفكرية التي كانت منتشرة في ذلك الوقت والتي تتسم بضيق افق ومحدودية التفكير. وكان الشاغل الرئيسي لتلك القيادات الحزبية هو إبعادنا عن العمل المباشر، فتغرقنا في بحر الصراعات الجانبية، لكن المعطيات التي سبق لنا شرحها كان قد صلّبت إرادتنا فسرنا في اختيارنا

267 البدايات، مجلة الدراسات الفلسطينية، مرجع سابق، ص 57-62.

الثوري. ففي غزة على سبيل المثال التي كانت موقع تجربتنا الأولى، بدأت مجموعة طليعية بين عام 1953 و1954 بالتجمّع وتكوّن حلقات النقاش ثمّ الانتظام ضمن أطر وخلايا حدّدت معركتها الأولى مع الإدارة التي كانت تقبض على القطاع فتعيث فيه فساد وقهرًا وسرقة...

في تلك اللحظة التاريخية، وإلى جانب النضال ضد سوء الإدارة، وفي السياق نفسه الذي خلقه الوعي بالذات الفلسطينية، بدأ في التكوين والتبلور خط المقاومة المسلّحة للعدو الصهيوني. وقد بدأناها بتدريب مجموعات من شباب فلسطين على السلاح، فتمكّنا فعلاً من تدريب مجموعات كبيرة، رغم أن المواجهة العملية المسلّحة في الأرض المحتلّة والمستعمرات الإسرائيلية هي التي كانت ساحة التدريب الرئيسية وهي المواجهة التي فولَذت إرادة مقاتلينا وحسّنت تدريبهم. وقد نفّذنا العديد من العمليات فوق خطوط الهدنة في ذلك الوقت...

كان تفجير العمل المسلح ضد العدو الصهيوني هو الشاغل الرئيسي لنا في مثل هذه التجربة الأولى. كان يشغلنا أن نزرع في الوعي الفلسطيني العام فكرة العمل السياسي واستخدام السلاح ضد العدو، بعد أن ازدحم هذا الوعي بركام هائل من التنظير والعمل السياسي والدوغما النظرية... لكن بعد حدوث التفجير، وبعد أن تحوّل كفاحنا المسلّح إلى حقيقة عملية تكاد تستقطب الشارع الفلسطيني برمته، شعرنا بأن مثل هذه الحال تتطلّب بناء التنظيم القادر على استيعابها وعلى إعادة صياغتها وإنتاجها في قنوات وأطر تبلورها إلى عمل مستمر، بحيث يكون هذا التنظيم هو الناطق باسم هذه الحالة الجماهيرية أو المعبرّ عنها أو ممثلها في الصراع الناشب... في هذه الفترة بالذات، أي منتصف الخمسينات، كان التفكير بتأسيس وبناء حركة فتح قد أخذ ينتقل تدريجيًا إلى الفعل كي يصبح واقعًا ملموسًا، والمدهش في الأمر أن مثل هذا التفكير أو مثل هذا التوجّه، كان يتحوّل وفي نفس الوقت إلى واقع في العديد من مواقع التجمّع الفلسطيني، فظهرت العديد من البؤر التي تلتقي بنفس التفكير والتوجّه والرؤية المشتركة للواقع الفلسطيني والعربي، في كلّ من السعودية، الأردن، مصر، الكويت وقطر. وكان ذلك يشكّل في الواقع النواة الأولى لحركة التحرير الوطني الفلسطيني «فتح»... الأخ/الشهيد كمال عدوان كان يشترك معي في هذا التوجّه بعد أن عملنا معًا خلال فترة مقاومة الاحتلال الإسرائيلي لغزة...»

اللافت هنا أنه في كلّ نص البدايات (طبعته حركة فتح) لا يذكر أبو جهاد أبدًا انتماءه ورفاقه إلى الإخوان أو إلى جمعية التوحيد. وفي كتاب محمد حمزه عن أبو

جهاد (يعتمد على أحاديث معه في تونس) يحاذر الكاتب ذكر انتماء خليل الوزير ولكنه ينقله عن لسان «واحد من الذين عاشوا تجربة أبو جهاد الأولى»... يقول هذا الشخص (لا يذكر محمد حمزه اسمه): «إن انتماءنا إلى حركة الإخوان المسلمين في هذه المرحلة كان على أساس الأولويات التي حدّدتها توجّهات هذه الحركة وهي «فلسطين أولاً. عندما دعاني خليل الوزير للانضمام معه إلى الإخوان قال لي نحن نتدرّب معهم على السلاح وهم يقولون إن فلسطين هي قضيتهم الأولى»... ويعتبر محمد حمزه أن «أبو جهاد لم يتنكّر للفائدة الكبيرة التي جناها من الفترة القصيرة التي خاض فيها تجربته الأولى والأخيرة للعمل الحزبي، وخاصة في مجال الخبرة التنظيمية والتدريب العسكري على السلاح... وأن أبو جهاد كان ناشطًا في تأسيس تنظيمه السري الأول داخل الحركة ودون علمها»[268].

أما أبو جهاد فيقول إن اللقاء مع المجاهدين في حرب 1948، ومعظمهم كانوا من الإخوان، هو الذي قاده إلى الإخوان: «استهوتنا تجربة الإخوان»، فانضم إليهم عام 1951 وبدأ بالدورات التدريبية مع الضباط المصريين في العام 1952[269]. وكان التدريب العسكري في ضواحي العريش ولمدة أسبوع (كان خليل الوزير في سن الـ 16 سنة حين قاد مجموعة من 200 فتى). وأدت ضغوط شباب الإخوان على قيادتهم إلى قرار تأسيس منظمتَين عسكريتَين هما شباب الثأر وكتيبة الحق، الأولى كان فيها صلاح خلف والثانية خليل الوزير[270].

وقد لاحظت أن المقابلة مع أبو جهاد التي نشرتها جريدة السفير، وكذا كتاب محمد حمزه عن أبو جهاد، وقد صدرا بعد استشهاده، حملا بعض المعلومات عن العلاقات الأساسية مع الإخوان، على غير عادته في كل ما كتبه وحكاه قبل ذلك، وأظن أن السبب في هذا التغيير هو انطلاقة حركة حماس في آخر عام 1987.

4- الإخوان وفتح بعد الانطلاقة والحرب الشعبية

كان العدوان الثلاثي حافزًا على التفكير بضرورة التنظيم والقيادة الفلسطينية المستقلّة عن الأنظمة العربية. ويبدو أن عددًا من الغزاويين كان تطوّع للقتال في منطقة القنال، يتقدّمهم ياسر عرفات. وكان سليم الزعنون في غزة عند وقوع العدوان الثلاثي، فساهم في إنشاء «جبهة المقاومة الشعبية» مع الإخوان

268 محمد حمزه: أبو جهاد، مرجع سابق، ص 158.

269 مقابلة أبو جهاد في جريدة السفير، سلوى العمد، 25 نيسان/إبريل 1988.

270 أبو عمرو: أصول الحركات السياسية، مرجع سابق، ص 87.

والناصريين والبعثيين، ومع كمال عدوان الذي اعتقلته سلطات الاحتلال[271].
وقد بدأ الشباب الفلسطيني يطرح «تفكيرًا جديدًا وشعارات جديدة تدعو إلى لقاء فلسطيني عريض ووحدة وطنية قوية من أجل ثورة مسلّحة تحرّر الأرض...»[272]
وكان اتّحاد طلبة فلسطين في غزة (إدارته كانت تضم 4 مدرسين و7 طلاّب بقيادة أبو جهاد) ورابطة طلاّب فلسطين في مصر (بقيادة عرفات)، ومجلتهما المشتركة «فلسطين» الصادرة في القاهرة، الحضن لولادة هذا الحراك الشبابي والفكري الذي انتهى إلى تشكيل حركة فتح، خصوصًا بعد انتقال أبو جهاد للدراسة في القاهرة واللقاء بياسر عرفات وسليم الزعنون ومحمود عباس وصلاح خلف الذين كانوا ينشطون في رابطة الطلبة الفلسطينيين في القاهرة في الجامعة المصرية[273]، والتي تحوّلت في 29 تشرين الثاني/نوفمبر 1959 إلى الاتّحاد العام لطلبة فلسطين. وكان فتحي البلعاوي طرد من الجامعة بسبب نشاطه وهو في السنة النهائية في كلّية اللغة العربية في الأزهر، وجرى ترحيله إلى غزة (أكتوبر 1953) حيث عمل مدرسًا في مدرسة دير البلح، ثم في ثانوية مخيم البريج وكانت الثانوية الوحيدة في المنطقة يومها. وفي عام 1955، جاء سليم الزعنون إلى غزة مدرّسًا للّغة العربية بمدرسة البريج. وفي عام 1955 كان صلاح خلف سكرتير الرابطة في مصر ثم رئيسًا لها بعد تخرّج عرفات (1956). وقد لعبت الرابطة دورًا مؤسسًا على مستوى الوعي والتنظيم، خصوصًا بعد التخرّج من الجامعات والتوزّع على الأقطار العربية[274].

نال سليم الزعنون شهادة الحقوق وأصبح وكيلاً للنيابة في غزة في شباط/فبراير 1956. وفي 5 نيسان/إبريل 1956 ألقى الزعنون وعرفات وخلف خطابات في الجموع الثائرة وسط مخيم البريج[275]. عاد صلاح خلف من القاهرة إلى غزة في عام 1957 للتدريس في مدرسة خالد بن الوليد مع أسعد الصفطاوي (الذي طرد من مصر في آذار/مارس 1954 مع أزمة الرئيس محمد نجيب ثم الحملة ضد الإخوان). وفي غزة أسس خلف والصفطاوي خمس أسر طلابية (على مثال الأسر الإخوانية) حملت أسماء: القدس ويافا وحيفا وعكا وبئر السبع[276]. غادر فتحي البلعاوي غزة إلى مصر لإنجاز تخرجه سنة 1961، ثم عام 1962 إلى قطر مدرّسًا للّغة العربية وموجّهًا

271 مقابلة محمود عباس مع يزيد الصايغ في كتابه ص 148.

272 كمال عدوان، مجلة شؤون فلسطينية، مرجع سابق، ص 47.

273 أبو جهاد، أحاديث خاصة، مرجع سابق. وانظر روايته للّقاء مع أبو عمار (تحت عنوان: اللقاء مع أبو عمار: ولادة اللحظة التاريخية) في: البدايات، مرجع سابق، ص 63-64.

274 محمد حمزه ص 172- 173.

275 حسن خليل حسين: صلاح خلف صفحات مجهولة من حياته، عمان 1991، ص 13-17.

276 المرجع نفسه، ص 18-20.

لها في متوسطة خالد بن الوليد[277]. في عام 1960 غادر صلاح خلف غزة للعمل في التدريس في الكويت بطلب من ياسر عرفات وكان سبقه إليها سليم الزعنون الذي عمل نائبًا عامًا في دائرة المرور، وخليل الوزير الذي عمل مدرّسًا في متوسطة. وكان صلاح خلف يتردّد على غزة كلّ صيف لرؤية طلابه. في صيف 1963 حدّث صلاح خلف تلامذته في غزة عن حركة فتح وبدأ بتنظيمهم[278].

إتصل خليل الوزير بصديقه الإخواني الغزاوي يحيى عاشور وكان يدرس في النمسا حيث أسس اتّحادًا للطلبة الفلسطينيين هناك[279]. والتقى هاني الحسن وهايل عبد الحميد في ألمانيا حيث أسسا معًا نشرة «الكفاح المسلح طريق العودة». ثم اتصلا بحركة فتح في الكويت عن طريق نشرتهما ونشرة فتح اللبنانية (نداء الحياة: فلسطيننا) بواسطة خالد الحسن[280].

يقول يحيى عاشور (حمدان) إن محمد يوسف النجار وسليم الزعنون وفتحي البلعاوي انضموا للإخوان منذ العام 1946، وإن الأصغر سنًا مثل خليل الوزير وصلاح خلف وكمال عدوان ويحيى عاشور انضموا للإخوان عندما كانوا طلابًا ثانويين، بفعل النشاط الاجتماعي والرياضي والدورات الشبابية على التمارين البدنية والعسكرية. وانضم ياسر عرفات عام 1948 حين كان طالبًا في كلية الهندسة بالقاهرة. وقاتل بإمرة عبد القادر الحسيني في القدس حيث قابل عددًا من الضباط الأحرار وشارك في حرب العصابات بقناة السويس 1950-1954 من خلال ضباط الإخوان في الجيش. أبو يوسف النجار انضم إلى الإخوان عام 1951، وقال إنه انسحب عام 1958[281]، ولكننا سنرى لاحقًا أنهم اتهموه بازدواجية الولاء من حيث استمراره في العمل داخل الإخوان حتى بعد سنوات من تشكيل حركة فتح. وانسحب صلاح خلف من الإخوان عام 1955، ليؤسس مجموعة صغيرة باسم «جبهة الكفاح المسلم الثورية» انضمت إلى «فتح» سنة 1959. وهو كان على صلة بجمعية التوحيد. خليل الوزير التحق بالإخوان المسلمين سنة 1951، وبادر إلى تأسيس مجموعات مستقلّة قليلة العدد شرعت في التدرّب على السلاح في معسكرات بدائية أقيمت سرًا في ضواحي العريش سنة 1952 (ويبدو أنه اتصل بجماعة «النظام الخاص» من خلال هذا التدريب وبواسطة كامل الشريف) وكان معه في هذه المجموعات حمد العايدي، وكمال عدوان، ومحمد الإفرنجي، وعبد

277 المرجع نفسه، ص 50.

278 المرجع نفسه، ص ٥٠ و٥٥-٥٦.

279 المرجع نفسه.

280 يزيد الصايغ، ص 152.

281 من حديث كانت أجرته بيان نويهض الحوت مع محمد يوسف النجار ونشرته بعد استشهاده في مجلة شؤون فلسطينية: «أبو يوسف: حياته، مسؤولياته ومعتقداته السياسية»، مجلة شؤون فلسطينية، العدد 33، أيار/مايو 1974، ص 17.

الله صيام، ونصر عبد الجليل. ثم انضم إليهم لاحقًا سليمان الشرفا، ومعاذ عابد، وسعيد المسحال، ومنهل شديد، وسعيد المزين، وغالب الوزير.

إضطر خليل الوزير إلى مغادرة قطاع غزة في أواسط سنة 1956 للالتحاق بجامعة القاهرة. وفي القاهرة توثّقت علاقته بياسر عرفات الذي كان التقاه في غزة سابقًا. لكنه لم يتابع دراسته وسافر إلى السعودية ليعمل في سلك التعليم. غير أنه لم يتمكّن من البقاء فيها أكثر من ثلاثة أشهر، فجاء إلى الكويت ليلتقي عرفات مجددًا، ويبدآن في تأسيس حركة فتح[282].

في مخيم اليرموك بسورية كان هناك مجموعة بإسم عرب فلسطين ضمت 40 طالبًا ثانويًا برئاسة هايل عبد الحميد، ومجموعة بإسم العاصفة برئاسة عادل عبد الكريم، ومجموعة بإسم شباب الأقصى برئاسة هاني الحسن. وكانت مجموعة طلاب فلسطين (أحيانًا تسمى شباب فلسطين) في الجامعة بدمشق برئاسة محمود عباس وهاني الحسن ومحمود المغربي ومحمد السهلي، عملت في سبيل تدريب الفلسطينيين على السلاح في الكلّيات العسكرية السورية، ونجحت في ذلك. محمود عباس كان من الإخوان منذ مطلع الخمسينات وهاني كان إسلاميًا (يقول إنه كان من «النظام الخاص» وضمن مجموعة فرسان بدر التي قامت بعمليات خاصة)[283]، في حين كان شقيقه خالد إخوانيًا ثم شارك في تأسيس حزب التحرير عام 1952. ويبدو أن جماعة الإخوان أرسلت من مصر ضابطًا لتدريب جماعة دمشق (لعله نجيب جويفل). ولكنهم انشقوا عن الجماعة في دمشق وأعلنوا تأسيس كتائب محمد[284].

282 لقاء خاص مع الأخ حمدان في القاهرة، وهو يحيى أسعد محمود عاشور (أبو عمر)، أمين سر المجلس الثوري لحركة فتح سابقًا، وعضو المجلس الاستشاري حتى وفاته، وأحد القادة البارزين في حركة فتح ومن الرعيل الأول للحركة. من مواليد مدينة غزة عام 1940، تلقّى تعليمه الأساسي والإعدادي في مدرسة الزيتون. ثمّ حصل على شهادة الثانوية العامة من مدرسة فلسطين الثانوية عام 1958. بدأ نضاله مبكرًا في قطاع غزة أثناء دراسته الثانوية، حيث تعرّف على كلّ من أبو جهاد الوزير، ومحمد الإفرنجي وآخرين، وارتبط معهم بعلاقة وثيقة. إلتحق يحيى عاشور بتنظيم حركة فتح نهاية عام 1959 في قطاع غزة عن طريق أبو جهاد، وقبل سفره إلى النمسا لدراسة الهندسة في بداية عام 1960. خلال وجوده في النمسا عمل على تأسيس اتّحاد الطلبة هناك، وأصبح فيما بعد رئيسًا للاتّحاد، ومعتمد تنظيم حركة فتح في النمسا. وكان على تنسيق كامل مع قيادة تنظيم الحركة في ألمانيا الغربية المشكّلة من هايل عبد الحميد وهاني الحسن وعبد الله الإفرنجي.

عام 1969 عينّ حمدان عاشور معتمدًا لإقليم حركة فتح في لبنان حتى أيلول/ سبتمبر من عام 1972، يساعده في ذلك الوقت كلّ من الحاج طلال وراجي النجمي وآخرون. وكانت تربطه علاقات متميّزة مع أبو يوسف النجار. إنتخب حمدان عضوًا في المجلس الثوري لحركة فتح في المؤتمر الثالث الذي عقد في دمشق عام 1971. وعام 1972 عينّ نائبًا لمفوض التعبئة والتنظيم لحركة فتح. ثم أعيد انتخابه عام 1980 عضوًا في المجلس الثوري للحركة في المؤتمر الرابع في دمشق، ثمّ انتخب في المؤتمر الخامس، في تونس في آب/أغسطس عام 1989، بالإجماع أمينًا لسر المجلس الثوري للحركة، وبقي حتى عام 2009، تاريخ انعقاد المؤتمر السادس في مدينة بيت لحم، حيث أصبح عضوًا في المجلس الاستشاري للحركة حتى تاريخ وفاته في القاهرة في 22/03/2016. جرت لقاءاتي معه في القاهرة خلال عامي 2010-2009.

283 يزيد صايغ، ص 150-151.

284 حديث هاني الحسن ليزيد الصايغ ص 151.

من القاهرة توزّع الرفاق للعمل ما بين السعودية والكويت وقطر. في 1957/9/13، ذهب محمود عباس إلى قطر، وبدأ ببناء تنظيم جديد، كان يضم أبو يوسف النجار وأبو طارق الشرفا، ثم بعد ذلك، جاء سعيد المسحال وكمال عدوان، وعبد الفتاح حمود، ورفيق النتشة.

وكان هناك في الكويت أصدقاء لهم من سورية مثل عبد الله الدنان وعادل عبد الكريم ومنير سويد (كان شيوعيًا وترك الحزب). وكان في الكويت أيضًا أبو جهاد، وأبو عمار، وأبو الأديب... وقد انسجمت مجموعة قطر مع مجموعة فتح في الكويت، وقررت الانضمام إليها لتكون فرعها في قطر[285].

ساعد على الالتقاء أن هؤلاء جميعًا كانوا إما في رابطة الطلاب الفلسطينيين في الخمسينات، أو في اتّحادات الطلبة الفلسطينيين حول العالم. كما أصبح هايل عبد الحميد وخالد وهاني الحسن ينشطون بين الطلاب في ألمانيا وأوروبا. فكانت ولادة فتح بين عامي 1956-1958، وأعتقد أن أحداث العام 1958، من قيام الوحدة المصرية-السورية وتصاعد الثورة الجزائرية، ثم انقلاب عبد الكريم قاسم في العراق، والثورة ضد الرئيس كميل شمعون في لبنان، هي التي تفسر مفصلية هذا التاريخ بالنسبة إلى الحراك الوطني الفلسطيني التحرّري. كما أن حدوث الانفصال المصري-السوري (28 أيلول/سبتمبر 1961) ثم انتصار الثورة الجزائرية (5 تموز/يوليو 1962) عززا من صدقية طروحات فتح الوطنية وتكوين إجماع فلسطيني حول سلامة خطها الوطني.

وينبغي هنا أن نعيد التذكير بالمذكّرة التي وجهها خليل الوزير إلى قيادة الإخوان في غزة في تموز/يوليو 1957 التي تلاها لقاء ستة أشخاص في الكويت أواخر العام 1957 لتأسيس فتح هم ياسر عرفات وخليل الوزير، وخالد عميرة وتوفيق شديد (من غزة)، وعادل عبد الكريم وعبد الله الدنان (من سورية). وقد تشكّلت أول خلية في مطلع عام 1958[286]، في حين يقول خليل الوزير إن الخلية تشكّلت في عام 1957 وإن المؤسسين صاغوا وثيقتَين: هيكل البنّاء الثوري، وبيان حركتنا[287]. ويقول أحد قادة فتح (لعله كمال عدوان) إنها تشكلت عام 1958[288].

285 انظر: الرئيس محمود عباس «صفحات مشرقة من تاريخ الثورة الفلسطينية»، حوار أجراه يحيى يخلف، رام الله، 2009.

286 كراس: «نبذة تاريخية عن الحركة» في سلسلة «فتح: الجلسات الحركية» الصفحات 1-12 (لا ت.، لا ناشر) ص 15

287 البدايات، ص 24 و انظر كراس فتح «دراسات ثورية» (لات.، لا ناشر).

288 حديث مع أحد قادة فتح، مجلة الأسبوع العربي، بيروت في 22 كانون الثاني/يناير 1968

في تشرين الأول/أكتوبر 1959[289] صدرت مجلة (نداء الحياة: فلسطيننا) في بيروت لتكون لسان حال الحركة الجديدة، وقد رعاها وشارك فيها عدد من أبناء العائلات البيروتية المعروفة (حوري، بلعة، شاتيلا، فاخوري، آغا، سلام) ممن كانوا على صلة بجماعة عباد الرحمن الدينية[290]. وكان خليل الوزير وياسر عرفات وهاني فاخوري أبرز محرريها وهي شكّلت صلة ربط بين المجموعات الفلسطينية المختلفة وكانت صندوق بريد لها[291].

> لعبت هذه المجلة دور الشمعة في ظلام النكبة وكانت تتجه إليها عيون الحيارى فتسير عليها، وذلك حينما ارتفع صوت المجلة ينادي من أجل كيان ثوري فلسطيني يواجه ما كان ينادي به في ذلك الوقت من كيان سياسي برعاية الأنظمة العربية. كانت المجلة تنادي بالثورة المسلحة لاجتثاث الكيان الإسرائيلي وشكّل هذا شعارًا أساسيًا لها تتشكّل من خلاله رؤيتها السياسية والتنظيمية. أما الشعار الأساسي الآخر الذي اعتبرته هدفًا مركزيًا، فهو الدعوة الدائمة والمفتوحة إلى بناء وخلق وصناعة الوحدة الوطنية الفلسطينية، وحدة الشعب كلّه بعيدًا عن جميع التيارات الحزبية وبعيدًا عن جميع الصراعات الجانبية. وكانت الدعوة: فلتجتمع قوانا في جبهة وطنية متراصة أو حركة نضالية واحدة تتجه أساسًا نحو فلسطين لتحريرها. وأقول الآن إن مثل هذه الدعوة قد تمكّنت من جمع وتوحيد كافة الطلائع التي سبق لها أن انضوت في الأحزاب والتجارب الحزبية الفاشلة فأحبطت. فجاءت الدعوة لتشكّل إنقاذًا لها من حال الإحباط هذه وتبث فيها روحًا معنوية جديدة وفذة قادرة على صناعة الطريق إلى فلسطين. أما الشعار الأساسي الثالث الذي رفعته «فلسطيننا» وأخلصت له بشكل مطلق أيضًا، فهو التعبير عن الإدراك الفلسطيني الشعبي العميق برفض الوصاية العربية، فكانت الدعوة إلى إدراك طبيعة هذه الوصاية المحبطة والتي يتلخّص هدفها بمصادرة الإرادة والقرار الفلسطيني المستقل، ومنع الكيان الفلسطيني من النشوء إلى جانب شقيقاته العربيات[292].

289 صدر العدد الأول منها في بيروت 1959/10/1، واستمرت كذلك بين عامي 1959-1964. تضمنت الأعداد الأربعون التي صدرت من المجلة خلال تلك الفترة: مقالات وإحصائيات ومعلومات ووثائق وموضوعات ترمي إلى التعريف بفلسطين وبالقضية الفلسطينية، وإلى تحريض الشعب الفلسطيني من أجل بدء معركة تحرير بلاده. صدر العدد الأربعون من مجلة «فلسطيننا- نداء الحياة» بتاريخ 1964/11/1، عشية انطلاقة حركة «فتح» في الفاتح من كانون الثاني- يناير /1965، لتتوقف بعدها عن الصدور في ظل المعطيات الجديدة التي استدعت إصدار نمط جديد من المطبوعات يتسم بمواصفات تستجيب لمتطلبات إعلام الكفاح المسلح وصحافة الثورة.

290 حول دور هؤلاء اللبنانيين انظر فيما سبق: «نكبة فلسطين وجماعة عباد الرحمن اللبنانية".

291 البدايات، ص 26-27-32.

292 أبو جهاد: البدايات، ص 26-32. وانظر مجلة الدراسات الفلسطينية، مرجع سابق، ص 65-66.

كان مؤسسو حركة فتح، في معظمهم، من اللاجئين الذين وفدوا إلى قطاع غزة بعد سنة 1948 أمثال محمد يوسف النجار وسليم الزعنون وخليل الوزير وصلاح خلف، وقد بدأوا حياتهم السياسية في حركة الإخوان المسلمين لأنهم لم يجدوا أمامهم في غزة آنذاك إلا الإخوان والشيوعيين. وكان الشيوعيون يدعون إلى التعايش مع إسرائيل، ووافقوا على قرار التقسيم في سنة 1947، فنفر منهم اللاجئون. ولهذا، على الأرجح، التحقت طلائعهم بجماعة الإخوان المسلمين[293].

توزّع أعضاء حركة فتح الأوائل من القادمين من صفوف الإخوان على مختلف العواصم العربية. ففي الكويت كان ياسر عرفات وعبد الفتاح حمود وخالد الحسن وعبد الله الدنان ويوسف عميرة وعادل عبد الكريم وكمال عدوان وزهير العلمي وتوفيق شديد؛ وفي قطر كان محمود عباس ومحمد يوسف النجار ومحمود المغربي؛ وفي السعودية صلاح خلف ووليد أحمد نمر الحسين وممدوح صيدم ورفيق النتشة؛ وفي الجزائر خليل الوزير ثم منهل شديد؛ وفي غزة سليم الزعنون ورياض الزعنون وأسعد الصفطاوي ومعاذ عابد وهاشم الخزندار وحمد العايدي وغالب الوزير وسعيد المزين؛ وفي دمشق محمود الخالدي؛ وفي ليبيا محمود أبو الفخر وكمال السراج. وفي الكويت كان هناك هاني القدومي، الذي شغل منصب سكرتير أمير الكويت عبد الله السالم الصباح، ما مكّنه من استخراج التأشيرات لرفاقه بحكم موقعه. وكان هناك في الكويت خالد الحسن الذي كان مسؤولاً في حزب التحرير الإسلامي، وشقيقه الأكبر علي الحسن أحد زعماء الإخوان المسلمين.

كما جرى استقطاب الشيخ محمد أبو سردانة وأبو ماهر، (محمد غنيم) ومحمود فلاحة وآخرين في الأردن.

وبحسب أبو الأديب، فقد غادر عرفات مصر متوجّهًا إلى الكويت، حيث عمل مهندسًا، والتقى هناك خليل الوزير الذي كان مدرسًا فيها، واتفق الرجلان، مع يوسف عميرة، الذي كان من الإخوان المسلمين، على فكرة الكفاح المسلح. والتقى هؤلاء مع شابَين من فلسطينيي سورية وهما عادل عبد الكريم وعبد الله الدنان. وبعدها جرى استقطاب فاروق القدومي وسليم الزعنون وخالد الحسن، وكان هؤلاء أول لجنة مركزية لفتح، أي مؤسسي الحركة. بينما عقد أول اجتماع للّجنة المركزية الموسعة، وفيها أبو الأديب، عام 1961. «وكان الإخوان المسلمون يصبّون غضبهم على ثلاثة من أعضاء اللجنة المركزية هم يوسف عميرة، سليم الزعنون، وصلاح خلف، فقد اعتبروا أننا أخذنا معنا مئات من الأشخاص الذين كانوا في

293 هذا هو تفسير أبو جهاد الذي سمعته منه مرارًا.

حركتهم»[294]. كما تعرّض محمد يوسف النجار لمحاكمة إخوانية وصدر بحقه قرار بالفصل من التنظيم[295].

وبحسب أبو مازن، تشكّلت اللجنة المركزية الأولى من: ياسر عرفات، وخليل الوزير، وعبد الله الدنان (فتحي القاضي)، وعادل عبد الكريم (نبيل حمدان)، ومحمود عباس، ومحمد يوسف النجار، ومحمود أبو الفخر، ومحمود الخالدي، وحسام الخطيب، ومحمد الإفرنجي[296].

يبدو أن النواة المؤسسة ركّزت على العمل بين الطلاب والعمال المغتربين، خصوصًا وقت العودة في إجازات الصيف إلى غزة أو سورية. وهكذا نشأت شبكات متفرّقة متعاونة ظلّت تنسّق حتى العام 1962. إذ بحلول العام 1961، كان هناك صلات مع 40 مجموعة أخرى. وأعاد خليل الوزير اتصالاته بالسعودية حيث عمل مدرّسًا في العام 1957 وقام بزيارات عدة خلال عامي 1961 و1962 لضم أعضاء جدد (منهم عبد الفتاح حمود وماجد أبو شرار وأحمد قريع وكانوا من الإخوان المسلمين)[297].

الإخوان وفتح في رواية محسن عن والده هاشم الخزندار[298]

في عام 1952، تكوّنت الهيئة الإدارية لجمعية الإخوان المسلمين في غزة من كلّ من: الشيخ عمر صوان رئيس الإخوان المسلمين في غزة، ونجيب جويفل نائبًا له، والشيخ هاشم الخزندار والحاج صادق المزيني وحسين الثوابتة وزكي السوسي وكامل مشتهى ويوسف عميرة وأحمد فرج وأسعد حسنية وصبحي السرحي ومحمد أبو سيدو وعبد الرحمن القيشاوي وحسين الشوا وسليم مراد وحسن النخال وزهدي أبو شعبان ومحمد محمود الشوا والشيخ عبد الله القيشاوي وعيد ملكة ومحمود عابد

294 «بعد 47 سنة على الانطلاقة: أبو الأديب يتذكر»، مقابلة أجرتها نادية سعد الدين، مجلة فلسطين، ملحق جريدة السفير، كانون الثاني 2012.

295 من حديث أبو يوسف النجار مع بيان نويهض الحوت «أبو يوسف، حياته، مسؤولياته، ومعتقداته السياسية»، مجلة شؤون فلسطينية، العدد 33، أيار 1974، ص 17-18.

296 محمود عباس، مرجع سابق.

297 البدايات ص 74-76.

298 محسن الخزندار: «الإخوان المسلمين». منشورة على موقع دنيا الوطن:

https//:pulpit.alwatanvoice.com/articles.176854/14/10/2009/html

وباعتقادي أن الرواية هي للشيخ هاشم الخزندار ورفاقه الأوائل الذين قابلهم محسن ويذكر منهم: أسعد حسنية، صفوت النونو، عبد الرحمن سكيك، مشهور الضامن، أحمد حسنية، بكر الخزندار، زهدي ساق الله، إبراهيم علي خضر، عطايا الطيبي، فوزي بيدس.

وعلي هاشم رشيد ومصباح الزميلي... أما اللجنة المركزية لحركة الإخوان المسلمين في قطاع غزة 1952-1955، فتكوّنت من كلّ من: الشيخ محمد الغزالي ومأمون الهضيبي والشيخ هاشم الخزندار والحاج صادق المزيني وزكي السوسي ومحمد أبو شرار وحسن النخالة وزكي الحداد وكامل مشتهى وكمال ثابت وعلي هاشم رشيد وزهدي أبو شعبان. وكان للإخوان عدة شُعب في مدينة غزة ومدن القطاع الأخرى ومنها: شعبة الرمال برئاسة الشيخ هاشم الخزندار، وشعبة الشجاعية برئاسة كامل مشتهى، وشعبة الزيتون برئاسة صبحي السرحي، وشعبة الدرج برئاسة الشيخ عمر صوان.

وتشكّل المكتب العام الذي كان يشرف على قسم العمال وقسم الطلاب وكان من القيادة في مكتب العمال منير عجور. وأما في قسم الطلاب، فكان سليم الزعنون ومعاذ عابد وصلاح خلف وأسعد الصفطاوي وسعيد المزين وفتحي البلعاوي ورياض الزعنون ومحمد المدهون. وكان قسم التربية البدنية والكشافة أو الجهاز العسكري، تحت إمرة إسماعيل القدرة ويساعده كلّ من: كمال عدوان وإسماعيل القدوة وخليل الوزير وعلي القوقا ومحمد مقداد. أما الجهاز المالي فكان تحت إمرة الشيخ هاشم الخزندار.

وبحسب الخزندار أيضًا، فإن حركة الإخوان المسلمين شكّلت فرقًا مسلحة سرّية لتحرير فلسطين ومنها:

١- كتيبة الحق: خليل الوزير ومحمد الإفرنجي وحسن عبد المجيد وعبد أبو مراحيل وحمد العايدي.

٢- كتيبة شباب الثأر الأحرار: صلاح خلف وأسعد الصفطاوي وسعيد المزين وعمر أبو الخير وإسماعيل السويرجي وإسماعيل النونو.

وقد أصدرت حركة الإخوان المسلمين عام 1954 في مدينة غزة صحيفة سياسية أسبوعية ناطقة باسم الحركة. وكان رئيس تحريرها الدكتور صالح مطر أبو كميل وشارك عدد كبير من المنتمين للإخوان وأنصارهم في تحريرها، ومنهم: هارون هاشم الرشيد وخليل الوزير وصلاح خلف، إضافة إلى عدد من الكتّاب منهم منير الريس وموسى الصوراني وعبد الله رشماوي.

أخذ يظهر توجّه للقيام بعمل منظّم مسلّح لا يتخذ أشكالاً إسلامية ظاهرة، وإنما يتبنّى أطرًا وطنية عامة تمكّن من تجنيد قطاع واسع من الشباب ولا تصطدم بعداء الأنظمة وملاحقتها. وقد قدّم شباب الإخوان المسلمين العاملون في المجموعات المسلّحة مثل كتيبة الحق وكتيبة شباب الثأر الأحرار مشروعًا إلى قيادة الإخوان

المسلمين في غزة، لكن لم يحصلوا على رد مقنع من القيادة. وفي المقابل، شكّلت تجربة الثورة الجزائرية بارقة أمل ودفعة معنوية كبيرة للقيام بعمل وطني. وقد كانت هذه هي البذور الأولى لنشأة حركة فتح التي خرجت من حركة الإخوان المسلمين وبالذات من أبناء قطاع غزة. وبرغم عدم استجابة العديد من المسؤولين في الحركة، إلا أن عددًا من ذوي المكانة والاحترام من بين قياداتها الميدانية، اقتنعوا بهذا التصوّر منهم الشيخ هاشم الخزندار والحاج صادق المزيني وهاني بسيسو وتمكّنوا من التأثير على عدد كبير من الإخوان الذين كانوا يعتبرون هذه الحركة رصيدًا لهم. وكان الإخوان ينفّذون عمليات نضالية ضد العدو الصهيوني في المناطق الحدودية المتاخمة لقطاع غزة.

5- الردّ الإخواني

بعد انفراط عقد إخوان غزة وتشكيل حركة فتح، عاش إخوان فلسطين حال تشتّت كان عنوانها الأبرز تدخّل إخوان مصر في عملية إعادة التنظيم استنادًا إلى الفلسطينيين المقيمين خارج غزة وتنظيم طلاب قطاع غزة في جامعات مصر. فإخوان فلسطين الذين كانوا خارج قطاع غزة ومصر صاروا جزءًا من تنظيمات البلدان التي يعيشون فيها. أما الطلاب فقد كانوا يعودون في العطلات الجامعية إلى القطاع فينخرطون في تنظيم غزة ويساعدونه في عملية التنظيم والبنّاء. وفي العام 1960، اتخذ تنظيم مصر قرارًا بإعادة تشكيل التنظيم الفلسطيني، في اجتماع عام انعقد في القاهرة في العام 1961 وحضره كوادر الإخوان من غزة ومصر وسورية والأردن ومنطقة الخليج، وتقرر فيه ترك الإخوان الفلسطينيين في الأردن ضمن التنظيم الأردني[299]. وكان الدافع الأساسي لهذا الاجتماع ولإعادة التنظيم التهديد الجدي الذي شكّلته لهم حركة فتح التي صارت تستهوي قطاعات واسعة من كوادر وقواعد الإخوان فيتركون تنظيمهم ويلتحقون بها[300]. وكان هذا التهديد مصيريًا إلى حد أن أحد قادة الإخوان قال إنه «هدّد وجودهم تهديدًا خطيرًا... حيث تعرّضوا لضغوط ذات طبيعة مختلفة عما اعتادوه وذلك من أجل إغرائهم بترك تنظيمهم والانخراط في تنظيم جديد... وكان هذا الضغط يلاحق الإخوان الفلسطينيين أينما حلّوا، في قطاع غزة وفي مصر والأردن وسورية والعراق وأقطار الخليج... وكانت الجهة الضاغطة تعرف عناصر الإخوان وأماكن وجودهم... فكانت تلاحقهم وتتصيدهم وتنصب الشباك لأفرادهم في كل مكان...»[301]

---

299 أبو عزة، مرجع سابق، ص 60.

300 أبو جهاد، أحاديث خاصة، مرجع سابق.

301 أبو عزة، مرجع سابق، ص 60-61.

في تموز 1957، وزّع أبو جهاد وثيقة خطرة من بضع صفحات كانت باعتقادي هي النص التأسيسي لمعنى حركة فتح كحركة تحرّر وطني تقوم على أنقاض تفسّخ الإخوان والضباط الأحرار وتطرح في منتصف الخمسينات تشكيل إطار وطني جامع شامل يستنهض الشعب الفلسطيني ويركّز جهوده وقوّاه صوب فلسطين من خلال مزج خلاّق (ندر نظيره) بين الإسلام والوطنية المدنية، بين الأصالة والمعاصرة، بين التنظيم الحركي والتيار الجماهيري، بين العمل السياسي والكفاح المسلّح، بين التعددية الفكرية السياسية والمركزية الكفاحية. والوثيقة المذكورة هي عبارة عن مذكرة سرّية هي «مشروع سياسي عسكري جديد» موجه أولاً إلى الإخوان المسلمين لنقاشه وتبنيه تنظيميًا. وكان سعيد المزين وغالب الوزير صلة وصل أبو جهاد مع الإخوان في القطاع حيث حضر أبو جهاد من مصر ومكث طوال شهور الصيف. ومن بنود المذكرة (على ما روى أبو جهاد وعبد الله أبو عزة) دعوة الإخوان إلى إقامة تنظيم وطني فلسطيني مستقل لا يحمل لونًا إسلاميًا في مظهره وشعاراته، وإنما يحمل شعار تحرير فلسطين عن طريق الكفاح المسلّح وتوحيد كلّ الجهود على هذا الطريق[302].

وقد دعا أبو جهاد كلّ شباب فلسطين إلى الانضمام إلى هذا التنظيم الوطني الجديد على أساس الانتماء الفلسطيني الخالص وبمعزل عن آرائهم الإخوانية أو التزاماتهم الحزبية. كما دعاهم إلى الامتناع عن الدعوة لأية عقيدة أو إيديولوجية حزبية غير عقيدة تحرير فلسطين، وعدم الوقوف مع أو ضد أية حكومة عربية، والحرص على استقلال حركتهم وقرارهم الوطني الفلسطيني الحر. وكان واضحًا أن هذا الكلام موجّه أيضًا إلى أبناء البعث وحركة القوميين العرب تحديدًا وليس فقط إلى الإخوان (رغم أنهم الفريق الأساسي المستهدف هنا) وأن ما جاء في هذه المذكرة التاريخية (التي لم نعثر للأسف على أي أثر لها) هو الخط العام لحركة فتح الذي به اشتهرت ومن خلاله استطاعت كسب الجماهير الفلسطينية.

وبحسب أبو عزة، فإن المذكرة تضمّنت لفتة خاصة إلى وضع الإخوان الفلسطينيين. فقد حاول أبو جهاد دغدغة مشاعرهم من خلال القول إن هذا التنظيم الوطني المستقل سيفتح الأبواب بينهم وبين الجماهير بعد سنوات العزلة والتشتّت، وسيفك عنهم الحصار الناصري. كما أن الكفاح المسلّح سينقل القضية الفلسطينية إلى مستوى لا تستطيع الأنظمة تطويقه[303].

ويبدو من شهادات إخوانية لاحقة أن المذكرة أحدثت بلبلة في صفوف الإخوان «شغلتهم ما يزيد على الثلاث سنوات إلى أن توصلوا إلى رأي واضح محدّد وحاسم حيال تلك الفترة، ولكن بعد أن فقدوا عددًا كبيرًا من أنشط عناصرهم»[304]. ويعتقد

302 أبو جهاد، أحاديث خاصة، وقارن مع معلومات أبو عزة في الصفحات 71-86.

303 أبو عزة، مرجع سابق، ص 72.

304 هذا ما قاله أبو عزة بالتحديد، ص 73.

أبو عزة (عن حق[305]) أن مذكرة أبو جهاد لم تكن الخطوة الأولى على طريق تأسيس فتح، بل سبقتها خطوات أخرى قام بها هو ورفاقه، وأن المذكرة هدفت إلى «تقريب الإخوان إلى المدى الذي وصلوا اليه»[306]. ويذكر كمال عدوان أن حركة فتح ولدت في عام 1958[307] بحيث إنه لم يمض عام حتى كان قد انضم إليها عدد كبير من إخوان غزة على رأسهم سعيد المزين وغالب الوزير وسليم الزعنون وصلاح خلف وأسعد الصفطاوي[308]. وقد ضعف تنظيم الإخوان في غزة إلى حد أنه لم يبق من أعضائه سوى واجهات من كبار السن أولهم الشيخ هاشم الخزندار وصادق المزيني[309] وأسعد حسنية[310].

ويذكر أحمد ياسين (مؤسس حركة حماس) أن «أحد جيرانه وأصدقائه، وهو ضابط فلسطيني من العراق اسمه محمد الأعرج، عرض عليه دخول فتح، إلا أنه رفض قائلاً إنه يخشى أن هذا الأسلوب في العمل قد يورط الدول العربية التي هي غير مستعدة للمواجهة في هذه المرحلة»[311].

النزيف الإخواني في غزة نحو فتح هو الذي حتّم انعقاد اجتماعات القاهرة 1960-1961 بمبادرة من التنظيم الدولي للإخوان ومركزه مصر، لإعادة لملمة التنظيم الذي فقد أفضل عناصره وكوادره في غزة. ضمّت الاجتماعات 12 طالبًا من غزة (بينهم إبراهيم غوشة أحد قادة حماس لاحقًا) ومسؤول إخواني من المقيمين في الخليج وآخر من العراق (هاني بسيسو)[312]. وبعد لقاء القاهرة 1961 صاغ إخوان غزة

305 لأن هذا ما سمعناه من أبو جهاد عن لقائه بعرفات في القاهرة العام 1956 وبدء التخطيط لهذا العمل. قارن بكتاب البدايات، مجلة الدراسات الفلسطينية، مرجع سابق، ص 63-64.

306 أبو عزة، مرجع سابق، ص 73.

307 كمال عدوان في مجلة شؤون فلسطينية، مرجع سابق، ص 47.

308 أبو عزة، مرجع سابق، ص 74.

309 تعرّف الحاج صادق المزيني على الرئيس الراحل ياسر عرفات عندما كان عمر هذا الأخير سبعة عشر عامًا، لمّا بعثه الحاج لشراء أسلحة من مصر عام 1948، وكانت علاقته به علاقة الأب لابنه، فكان الحاج يحضنه بشدة لصدره، هو وغيره من قادة منظّمة التحرير الفلسطينية من أمثال أبو جهاد، وصلاح خلف، وغيرهم ممن تربّوا في صفوف الإخوان المسلمين. وقد طلب ياسر عرفات عندما كان الحاج بالسجن الحربي في مصر، من جمال عبد الناصر أن يخرج له والده من السجن وتكرر هذا الطلب ثلاث مرات مع عدم إخراج الحاج من السجن، فكان ياسر عرفات يقول: "أنا ابن الحاج صادق العاشر». ويتحدّث الحاج عن علاقته بقادة حركة فتح: "كلّهم ربّيتهم زى أولادي".
أنظر نبذة عن الحاج صادق المزيني على الرابط التالي:

http://www.thaqafa.org/site/pages/details.aspx?itemid=2100#.WMZ-PdKGOM8

310 أبو عمرو: مرجع سابق، ص 79.

311 من مقابلة أجراها عزام التميمي مع أحمد ياسين. أنظر:

Azzam Tamimi: Hamas Unwritten Chapters (Hurst and Company: London,2007)., p.299

312 من مقابلة أجراها عزام التميمي مع إبراهيم غوشه، المرجع نفسه.

مذكرة سياسية مطولة في حوالي عشرين صفحة فولسكاب ردوا فيها على بيانات وتوجّهات حركة فتح ودافعوا عن موقفهم بعدم القيام بأي عمل مسلح مبررين ذلك بأنهم إنما يعترضون على الخطة والأسلوب وليس على هدف التحرير. ورأوا في ما تقوله فتح «تخيّلات غير واقعية لن توصل إلى هدف التحرير... وفتحًا لمعركة من غير أن تكون القوى الأساسية مستعدة لها»[313]. وقالت المذكرة إن الإخوان على استعداد لتجميد نشاطهم الإسلامي والعمل لتحرير فلسطين بشرط اقتناعهم «بدرجة يقينية»[314] بأن الخطة ستؤدي إلى التحرير. وقالوا إن المشروع سيواجه بعدد من العقبات الكأداء التي لا يمكن تجاوزها من مثل معارضة الحكومات العربية، وعدم جواز المقارنة بالجزائر. ولكن الحجة الأبرز عند الإخوان كانت أن هدف التحرير لا يمكن أن يتم إلا من خلال كلّ الأمة الإسلامية وليس الشعب الفلسطيني وحده... والحل البديل الذي يطرحه الإخوان هو استمرار الاستعداد الإسلامي «لأن انتصار حركة الإخوان هو الذي سيحرر فلسطين»[315].

لكن الشيخ الخزندار يقول إن «قيادة الإخوان المسلمين في غزة ظلّت مشرفة إشرافًا كاملاً على حركة فتح بوجود ثلاثة أعضاء تعيّنهم بنفسها. وفي عام 1963 لم تلتزم حركة فتح بأوامر الإخوان المسلمين فأمرت قيادة الإخوان عناصرها بالانفصال عنها وخيرّوهم بين إحدى الجهتين: إما الولاء لحركة الإخوان المسلمين أو لحركة فتح فانتهت بذلك لأول مرة علاقة فتح والإخوان المسلمين»[316].

6- أزمة تنظيم قطر الإخواني

لا يمكن فهم تأثير نشوء حركة فتح على الإخوان المسلمين إن اقتصر حديثنا على التأثير في غزة وحدها على الرغم من أهميته المحورية، لا بل الحاسمة في تاريخ حركة فتح. ذلك أن الإخوان المسلمين غير الفلسطينيين في البلاد العربية، وضمن إطار ما كان يُعرف باسم المكتب التنفيذي (1965-1969) وقفوا إلى جانب فتح وضد قيادة إخوان غزة. وقد عرفت قطر معركة حادة بين التنظيمَين بسبب وضع قطر الخاص بالنسبة إلى الطرفين.

---

313 تتحفّظ حماس وتنظيمات الإخوان عن إيراد نص هذه المذكرة ولكننا نستطيع إعادة تركيب النص من خلال ما عرضه عبد الله أبو عزة في نقاشه مع مذكرة فتح وفي إشاراته إلى ما تناقلته أوساط إخوان غزة ولقاء القاهرة. كما أن أبو عزة الذي يذكر صدور هذه المذكرة يورد ملخصًا لها على شكل مناقشة يعقدها مع أطروحات فتح التأسيسية. أنظر أبو عزة، مرجع سابق، الصفحات 82 إلى 86.

314 المرجع نفسه، ص 82.

315 المرجع نفسه، ص 86.

316 محسن الخزندار، مرجع سابق.

ويعود منشأ الوضع الخاص إلى فرار كثيرين من كوادر الإخوان من مصر وغزة إلى قطر بعد العام 1954 واستلامهم مواقع مهمة، في التعليم خصوصًا، نظرًا لحاجة قطر في تلك الأيام للخبرات التي كانت متوافرة عند المصريين والفلسطينيين. وقد أصبح المصري الإخواني عبد البديع صقر مديرًا للمعارف في الدوحة ثم حلّ محله البعثي السوري المنشق عبد الله عبد الدايم. ولكن نفوذ الإخوان ظلّ كبيرًا في وزارات ودوائر التربية والتعليم خصوصًا في أيام مدير التربية الإخواني السوري الحلبي الدكتور عبد الرحمن عطبة... «وحين ظهرت فتح كانت معظم المناصب الرئيسية في دائرة التربية بأيدي الإخوان»[317].

وبمناسبة ذكر الشيخ عبد البديع صقر، ذكر الشيخ يوسف القرضاوي في مذكراته على موقعه الخاص[318] أنه عرفه في معتقل الطور سنة 1949، فقد كان من دعاة الإخوان المعروفين في مصر، وعلى صلة طيّبة بالإمام حسن البنّا، وعمل فترة بالمركز العام للإخوان. «وكان الوجيه قاسم درويش في عهد الشيخ علي بن عبد الله (الحاكم السابق لقطر) هو المسؤول عن المعارف قبل الشيخ قاسم بن حمد، وكان له صلة بالعلامة السيد محب الدين الخطيب صاحب مجلتَي (الفتح) و(الزهراء)، فأرسل إليه يطلب منه ترشيح شخصية إسلامية قوية تتولّى إدارة المعارف. فرشّح له في أول الأمر: الكاتب الإسلامي الصاعد محمد فتحي عثمان، ولكن ظروفًا خاصة حالت دون استجابة الأستاذ فتحي، فطلب من الإخوان أن يرشحوا له شخصًا للقيام بالمهمة المطلوبة فرشّحوا له الأستاذ عبد البديع. وسافر الشيخ عبد البديع إلى قطر مبكرًا سنة 1954، وعُينّ مديرًا للمعارف مع الشيخ قاسم بن درويش.

انضم إلى عبد البديع بعد ذلك عدد من الإخوان الذين فروا من حملة عبد الناصر بمصر، فمنهم من ذهب إلى دمشق، ومنهم من ذهب إلى السودان، وغيره، ومن هذه البلاد جاءوا إلى قطر. كان ممن جاءوا من دمشق: عز الدين إبراهيم[319]، وحسن المعايرجي، ومحمد الشافعي، وعبد اللطيف مكي؛ وممن جاءوا من السودان: كمال ناجي، وعلي شحاتة، ومصطفى جبر.

---

317 أبو عزة، مرجع سابق، ص 89.

318 انظر الحلقة رقم 95 على هذا الرابط:

http://qaradawi.net/component/content/article/5879.html

319 عز الدين إبراهيم (1928-30 كانون الثاني/يناير 2010)، مدير جامعة الإمارات الأسبق والمستشار الثقافي للشيخ زايد بن سلطان آل نهيان وأحد قيادات الإخوان المسلمين ومؤسس تنظيمها في ليبيا بعد خروجه من مصر. توفي في لندن بالمملكة المتحدة. حائز على ليسانس في الأدب العربي من جامعة القاهرة ودبلوم التربية وعلم النفس من جامعة عين شمس ودكتوراه الفلسفة في الآداب من جامعة لندن سنة 1963. منحته جامعة ماليزيا الدكتوراه الفخرية في الاقتصاد لإدارته عددًا من صناديق التضامن والعمل الخيري في البلاد الإسلامية. ومنحته جامعة ويلز في المملكة المتحدة دكتوراه فخرية في الآداب لدوره مع مؤسسات التعليم العالي. تعلّمنا منه الكثير في عملنا المشترك في الحوار الإسلامي-المسيحي (1995-2010) وكانت لنا معه حوارات شيقة ومفيدة ما بين القاهرة وبيروت والدوحة وروما وباريس.

وقد تعاقد الشيخ عبد البديع مع عدد من أبناء فلسطين، معظمهم من الإسلاميين الذين أصبح لهم شأن ومكان فيما بعد، منهم: رفيق شاكر النتشة، الذي عمل مديرًا لمكتب وزير المعارف الشيخ قاسم بن حمد، وكان له سطوته ونفوذه. ومنهم: محمد يوسف النجار، الذي عمل أيضًا في مكتب الوزير، وكان له أثره في حركة فتح وتأسيسها فيما بعد؛ ومنهم: أحمد رجب عبد المجيد، وغيرهم وغيرهم»[320].

وعند قيام فتح «كان الإخوان المصريون يعتبرونها حركة إخوانية استنادًا إلى مشاركة ياسر عرفات لهم في حرب العصابات التي شنوها ضد القوات البريطانية في منطقة قناة السويس سنة 1951 وإلى أن معظم قياديها وكثيرين من أفرادها كانوا من الإخوان..ولم يستطع الإخوان المصريون أن يستوعبوا المبررات التي أملت على التنظيم الفلسطيني موقفه منها»[321]...ويبدو أن «صراعًا حادًا نشب في نطاق الإخوان العاملين في التربية من أجل السيطرة والاستئثار بمناصب القوى فطارت من وقع صدام المعركة بعض العناصر الإخوانية البارزة...بينما اختارت عناصر أخرى الاستقالة والهرب من البلاد»[322]. ومن كيفية ذكر أبو عزة لموضوع هذا الصراع يبدو أن الإخوان الفلسطينيين الفتحاويين لعبوا دورًا فيه وتطرفوا في العداء للإخوان غير الفتحاويين بمقابل تطرف الإخوان الغزاويين في عدائهم لفتح في قطر. كما يبدو أن الكثيرين من الإخوان المصريين والعرب وقفوا مع فتح وضد إخوان غزة. وقد انتهت المعركة بقرار فصل أبو يوسف النجار الذي اتخذه الاجتماع العام لأول مجلس شورى للإخوان في قطاع غزة صيف 1961 حيث يظهر واضحًا أن النجار (ولعل غيره أيضًا) ظل عضوًا في الإخوان على الرغم من كونه قياديًا في فتح حتى صيف العام 1961... في ذلك اليوم كانت فتح قد اكتمل نموها وصلب عودها ولم يعد ينفع معها التوتير والصدام.

7- التعاون الإخواني-الفتحاوي 1965-1970

من الغريب أن لا يذكر أي قيادي فتحاوي أي معلومات عن مرحلة انتمائهم الإخواني الأولي ولا عن مرحلة التعاون مع الإخوان بعد الانطلاقة. ويفعل الإخوان الشيء نفسه، إذ يتجاهلون هذا التاريخ وكأنه لم يكن. وباستثناء عبد الله أبو عزة لم يتطرّق أي إخواني فلسطيني أو فتحاوي إلى تلك العلاقات الملتبسة بين الطرفين... فكأنها كانت هي الإثم الكنعاني! ولكننا نعرف، من مصادر متعددة، أن الإخوان في

320 من مذكرات القرضاوي على موقعه، مرجع سابق.

321 أبو عزة، مرجع سابق، ص 90.

322 المرجع نفسه، ص 91.

مصر والكويت (وبعض قادة إخوان الأردن من الفلسطينيين) كانوا يتعاطفون مع حركة فتح ويتعاملون معها باعتبارها إخوانية؛ في حين كانت علاقة إخوان غزة بفتح يسودها التوتر والصراع الحاد. ومن أبرز الأسماء الإخوانية التي تعاونت مع فتح نذكر عبد الله العلي المطوع من الكويت، والدكتور عز الدين ابراهيم والدكتور توفيق الشاوي من مصر[323]، وعصام العطار وعمر بهاء الدين الأميري من سورية، وكامل الشريف من الأردن، والشهيد محمد خيضر من الجزائر[324].

ويبدو أنه كان للإخوان دور في بناء الصلة بين ثورة الجزائر وحركة فتح. وكان محمد خيضر أول من بنى الصلة حين كان في مصر وصديقًا لجمال عرفات (شقيق أبو عمار) الذي كان من الإخوان أيضًا وعضوًا في جمعية دينية مصرية يرأسها الشيخ عبد اللطيف دراز صهر الشيخ الباقوري. إلتقى محمد خيضر يرافقه توفيق الشاوي بوفد من قيادة حركة فتح في الكويت في نهاية عام 1962[325]. وكان أبو جهاد حاضرًا هذا اللقاء يرافقه كمال عدوان وخالد الحسن وعلي الحسن[326]. ومنذ تلك اللحظة، تقرر أن يتولى أبو جهاد العلاقة بالجزائر من خلال محمد خيضر الذي صار من أشد المقربين إلى حركة فتح. ومن هنا مصدر الشائعات التي سرت بعد اغتيال خيضر حول صندوق أموال جبهة التحرير الذي كان بحوزته في المنفى والذي كان يرفض تسليمه للحكومة الجزائرية، وقيل يومها إنه أعطاه لحركة فتح، حتى أن توفيق الشاوي يعتقد أن هذا الأمر كان سبب اغتياله[327].

323 كان المرحوم الدكتور عز الدين إبراهيم والمرحوم الدكتور توفيق الشاوي من أبرز من شارك معنا في تشكيل الفريق العربي للحوار الإسلامي-المسيحي (1995) وكانت لنا جلسات شيقة معهما في القاهرة وبيروت وغيرهما من العواصم العربية والغربية. ومن هذه الجلسات، كما من لقاءاتنا معهما بصحبة الإمام محمد مهدي شمس الدين والشيخ محمد الغزالي والدكتور محمد سليم العوا خلال سنوات 1995-2000، استفدت أمورًا كثيرة إلا أنني للأسف لم أدرك قيمة علاقتهما بفتح والإخوان ودورهما الكبير في أعوام 1965-1969 إلا متأخرًا... رحمهما الله.

324 ينحدر محمد خيضر من عائلة متواضعة بمدينة بسكرة الجزائرية حيث ولد في13 آذار/مارس 1912 ، زاول دراسته بمسقط رأسه قبل أن يضطر إلى مغادرة المدرسة لإعالة أهله الفقراء. إنخرط عام 1934 في صفوف حزب نجمة شمال إفريقيا ثم في 1936 في حزب الشعب الجزائري، حيث انتخب نائبًا عن الجزائر العاصمة عام 1946. إتهمته السلطات الاستعمارية بالتورّط في حادثة السطو على بريد وهران عام 1950، إذ استعملت سيارته لنقل النقود من وهران إلى الجزائر العاصمة. لجأ إلى القاهرة عام 1951، وأصبح مندوبًا لحركة انتصار الحريات الديمقراطية في القاهرة وعضوًا في جبهة تحرير المغرب العربي التي كان يرأسها عبد الكريم الخطابي. إعتقل مع أحمد بن بلة ورفاقه يوم 22 تشرين الأول/أكتوبر 1956 بعد اختطاف الطائرة التي كانت تقلّهم من المغرب إلى تونس، ولم يطلق سراحه إلا في 19 آذار/مارس 1962. عينّ عضوًا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية، وشرفيًا في لجنة التنسيق والتنفيذ عام 1957، ووزير دولة في الحكومة الموقتة للجمهورية الجزائرية 1958-1962. بعد توقيف القتال، أطلق سراحه في 19 آذار/مارس 1962 برفقة أحمد بن بلة. إغتيل في إسبانيا في الرابع من كانون الثاني/يناير 1967، بعدما عارض انقلاب بومدين وفرّ من البلاد ومعه صندوق الثورة الذي دارت حوله القصص والأساطير ومنها أنه أعطاه لحركة فتح.

325 الشاوي: مذكرات، مرجع سابق، ص 387.

326 حديث خاص مع توفيق الشاوي، القاهرة 25 شباط/فبراير 1999.

327 الشاوي: مذكرات، مرجع سابق، ص 387 و389، كما أن المرحوم عز الدين إبراهيم كان عنده نفس المعلومات حول علاقة خيضر بحركة فتح وهو كان صديقًا للشاوي ولخيضر ولخليل الوزير، وقد أخبرني أنه يعتقد أن خيضر أعطى فعلاً المال لفتح وإلا فأين اختفى المال منذ وفاة خيضر؟ .

خريف 1965، قام الإخوان بإعادة إحياء المكتب التنفيذي مع تصاعد الحملة المصرية عليهم وإعادة اعتقال سيد قطب (أعدم في آب 1966). وانعقد أول اجتماع للمكتب التنفيذي للإخوان في بيروت وضم مندوبين عن معظم فروع الإخوان في العالم العربي (لم يحضره فرع غزة) وبحث موضوع التعاون مع حركة فتح ما أثار ثائرة إخوان غزة وقسم من إخوان الأردن الفلسطينيين الذين كانوا يتندّرون في مجالسهم على انطلاقة فتح والكفاح المسلّح (وصل بهم الأمر إلى حد القول بأن قادة فتح يستأجرون بعض المهرّبين ليطلقوا بضع طلقات على الحدود ويصدرون بها بيانات عسكرية)[328]. ويروي كامل الشريف أنه وصل الكويت عام 1965 ليعرض على قيادة الإخوان الفلسطينيين الانضمام إلى فتح وأنه قابل إبراهيم غوشه وحسن عبد الحميد وعمر أبو جبارة ومحمد صيام... وأن الإخوان وافقوا بعد مشادات طويلة، لكنهم اشترطوا التزام فتح بالإسلام كمبادئ وقيم، فقيل لهم إن فتح لا تستطيع ولا تريد إعلان هكذا التزام[329].

بسبب موقف إخوان غزة المعارض بحدة للتعاون مع فتح طوي الموضوع حتى كانت نكسة حزيران 1967. إلا أن طي الموضوع في المكتب التنفيذي لم يمنع قادة الإخوان الرئيسيين فيه، خصوصًا توفيق الشاوي وعز الدين ابراهيم وعصام العطّار من استمرار اللقاء والتعاون مع قيادة فتح. ويروي عبد الله أبو عزة أنه كان أحيانًا يصادف خليل الوزير خارجًا من منزل العطّار في رأس بيروت[330]. كما يروي عز الدين إبراهيم وتوفيق الشاوي أنهما استمرّا في الاتّصال بقيادة فتح والتنسيق معها والدعاية لها خصوصًا في دول الخليج العربي وبين قيادات المغرب العربي[331].

كانت الثورة قد دخلت مرحلة بناء القواعد تحت الاحتلال لإعلان المقاومة المسلّحة وتأجيج المقاومة المدنية الشعبية التي شهدت تصاعدًا كبيرًا خلال عامي 1967 و1968. وبعد أن أرسيت الدعائم الأولى لهذا الاتّجاه، كان من الضروري للثورة أن تعمل باتّجاه مواز خارج الأرض المحتلة لتنتقل من قاعدة الحماية في سورية إلى قاعدة الارتكاز في الضفة الشرقية-الأردن حيث المناعة الطبيعية والجماهير المؤيّدة والقوى المسلّحة الكافية للدفاع والمواجهة. وباعتقادي أن ما عجّل في اتّخاذ قرار الانتقال من الاعتماد على سورية وبناء قوة في الأردن هو التطورات الدراماتيكية في الصراع على السلطة في سورية بعد حرب حزيران، خصوصًا بعد ضرب جناح الجنرال أحمد سويداني القريب من فتح.

328 أبو عزة، مرجع سابق، الصفحة 126.

329 عزام التميمي، مرجع سابق، ص 299.

330 أبو عزة، مرجع سابق، ص 126.

331 عز الدين إبراهيم وتوفيق الشاوي: أحاديث خاصة، مرجع سبق ذكره.

هكذا وجدت فتح نفسها في الأردن أسيرة وضع معقّد مركّب لا تملك السيطرة عليه بعكس ما توقعت أو أملت. وجاءت معركة الكرامة (21 آذار/مارس 1968) لتجعل من فتح ماردًا جماهيريًا ولتتدفق عليها أمواج المتطوعين من كلّ مكان. وانتعشت بقية التنظيمات أيضًا وبعضها أطلق كفاحه المسلّح الخاص. وقد نجحت فتح، وبدعم مصري-سوري في السيطرة على منظّمة التحرير الفلسطينية (1969) ولتنتقل إلى مستوى أعلى من التحشيد والمواجهة على امتداد الحدود الأردنية مع فلسطين. وقد واجهت فتح أول هجوم أردني على قواعد الارتكاز في مخيم الكرامة في 10 شباط/فبراير 1968، ثم في 4 تشرين الثاني/نوفمبر في عمان. ثم تكرّرت الصدامات طوال عامي 1969-1970 وصولاً إلى صدام حزيران/يونيو 1970 الذي مهّد لحرب أيلول. حدث ذلك بفعل انشقاق الساحة العربية والأردنية-الفلسطينية من حول عبد الناصر (وليس الملك حسين) ومشروع روجرز الذي وافق عليه عبد الناصر من أجل إعادة بناء قواته التي دمّرها عدوان حزيران 67. إنقلبت موازين القوى التي راهنت فتح عليها (وبعضها كان يرتبط بالضباط الأحرار والناصريين داخل الجيش الأردني، وبعضها الآخر بالدعم السوري والعراقي) واختل التوازن الذي حكم العلاقة بين الثورة الفلسطينية والنظام الأردني، فكان لا بد من مراجعة الحسابات ووضع خطة بديلة وتحديد أهداف مباشرة. وكلّ ذلك كان يحتاج إلى وقت وإلى وحدة موقف لإعادة ترتيب الأمور. لكن النظام الأردني اندفع في تفجير الحرب مدعومًا بموقف غلاة اليسار الذين رفعوا شعارات إسقاط النظام وانتقال «كلّ السلطة لسوفياتات العمال والفلاحين والجنود الثوريين» (شعار الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين-نايف حواتمه) وتحويل عمّان إلى هانوي العرب (شعار الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين-جورج حبش).

وفاة الرئيس عبد الناصر (28 أيلول/سبتمبر 1970)، وانقلاب الرئيس حافظ الأسد (بدأ في أيلول/سبتمبر وانتهى يوم 16 تشرين الثاني/نوفمبر 1970)، وانسحاب القوات العراقية المفاجىء، والموقف السوفياتي المتفرّج والشامت، كلّ ذلك «حال دون استثمار أي عامل زمني وجعل المبارزة تتمّ ضمن ظروف ومعادلة قوى ما بعد مشروع روجرز»[332].

باعتقادي، فإن السوفيات وسورية والعراق لم يريدوا تغيير المعادلة في الأردن المحسوب كموقع أميركي-بريطاني أساسي؛ في حين أن موقفهم تغيّر في لبنان، الساحة المفتوحة على انقسام طائفي/أهلي.

وهكذا خرجت فتح والثورة مهزومة من الأردن بعد معارك جرش وعجلون (تموز/يوليو 1971).

332 كمال عدوان، شؤون فلسطينية، مرجع سابق، ص 52.

8- فتح والإخوان بعد حرب حزيران

أدت نكسة حزيران وتصاعد العمل الفدائي بقيادة فتح إلى اهتمام إخواني ملحوظ وصار موضوع العمل الفدائي الشغل الشاغل لاجتماعات المكتب التنفيذي للإخوان في البلدان العربية ولمؤتمر قادة الإخوان في البلاد العربية.[333] ودارت نقاشات حادة في هذه اللقاءات حول ضرورة قيام وجود عسكري للإخوان وإقامة معسكرات تدريب في الأردن ومباشرة العمل الفدائي. وحمل لواء هذه الدعوة إخوان مصر والسودان والكويت والأردن في حين عارضها بشدة إخوان غزة[334] ووقف إخوان لبنان وسورية والعراق موقفًا مترددًا. وقام إخوان الأردن، بمعاونة إخوان مصر والسودان والكويت، وبمشاركة رمزية من إخوان العراق وسورية ولبنان، بإنشاء معسكر تدريب تحت حماية حركة فتح في الأردن، بل كان يحمل اسم فتح بصراحة. تلا ذلك تصاعد الخلاف مع إخوان غزة ما أدى إلى اجتماع استثنائي للمكتب التنفيذي (أوائل خريف 1967 وكانت فتح أعلنت الانطلاقة الثانية في آب/أغسطس 67) وقف فيه المندوب الفلسطيني وحيدًا في وجه بقية المندوبين الذين شددوا على دعم القاعدة العسكرية والتعاون مع فتح. وقاد موقف إخوان الأردن الدكتور إسحق الفرحان الذي صار قائدًا للمعسكر المقام في غور الأردن (وحمل اسم معسكر الشيوخ). وبعد انتهاء التدريبات، كان للإخوان 3 سرايا مقاتلة موزّعة على أربع قواعد تحت مسمّى قواعد الشيوخ. وكان عبد الله عزّام أميرًا لقاعدة منها حملت اسم بيت المقدس في مرو[335]. وساهمت قواعد الشيوخ بعدة عمليات عسكرية أشهرها عملية الحزام الأخضر التي قادها عبد الله عزّام وإلى جانبه أبو مصعب السوري الذي أصيب إصابات بالغة[336]. ويبدو أن مروان حديد كان أيضًا ضمن نفس المجموعة[337].

قام الإخوان المسلمون الموجودون في مصر ولبنان وسورية والأردن والعراق واليمن والسودان ودول الخليج بالتفاهم مع ياسر عرفات شخصيًا لصلته بالإخوان المسلمين، فعملوا تحت مظلّة حركة فتح في تنظيم معسكرات تدريبية للشباب المسلم وبقيت بعض هذه المعسكرات في الأردن حتى أيلول في 1970. ولعب الحاج

---

333 أبو عزة، ص 129.

334 إنضم التنظيم الفلسطيني الإخواني إلى المكتب التنفيذي أوائل صيف 1966 وكان يمثّله عبد الله أبو عزة. أنظر أبو عزة، مرجع سابق، ص 134.

335 أبو زايدة، مرجع سابق، ص 125.

336 عبد الله عزام: حماس، الجذور التاريخية والميثاق، بيشاور، 1988، ص76.

337 أبو مصعب السوري ومروان حديد من إخوان سورية وقد تحوّلا لاحقًا مع عبد الله عزام إلى قادة التيار الإسلامي الجهادي. وقد قتل مروان حديد تحت التعذيب في سورية حيث اعتقل في 1975/6/30، وجرى اغتيال عبد الله عزام وأولاده في أفغانستان في 1989/11/24، في حين خرج أبو مصعب سالمًا من التجربة؛ وكتب مذكرات مهمة عن تلك المرحلة. لمعلومات تفصيلية أنظر كتابينا: الجماعات الإسلامية والعنف، مرجع سابق، والسلفية والسلفيون الجدد، من أفغانستان إلى لبنان، مرجع سابق.

أمين الحسيني دورًا واضحًا في التفاهم بين الإخوان المسلمين وياسر عرفات. وفي أية حال، كانت هناك مشاركة محدودة للإخوان المسلمين في معسكرات حركة فتح في الأردن 1968-1970 فجرى تدريب حوالي ثلاثمائة رجل توزّعوا على سبع قواعد فدائية. ورغم محدودية إمكاناتهم، قدّموا نماذج مشرّفة فخاضوا عمليات قوية ناجحة مثل الحزام الأخضر في 31 آب/أغسطس/1969 ودير ياسين في 14 أيلول/سبتمبر/1969 وسيد قطب في 28 آب/أغسطس/1970 واستشهد منهم حوالي ثلاثة عشر متطوعًا»[338].

بعد سنتين على قيام المعسكر، حصلت أحداث أيلول التي أدت إلى هزيمة المقاومة الفلسطينية وفقدانها لقواعدها في الأردن. وقررت قيادة الإخوان في الأردن وفلسطين النأي بالنفس عن تلك «الحرب بين الأخوة»[339]؛ لا بل إن إسحق الفرحان زعيم تيار الصقور الداعين للمقاومة المسلحة والارتباط بفتح وقائد معسكر الشيوخ، وافق على المشاركة في الحكومة التي شكّلها الملك الأردني إبان حرب أيلول تلك[340].

مع هذه المشاركة، انتهت تجربة قاعدة الإخوان الفتحاوية التي قدّم الإخوان فيها عددًا من الشهداء (معلومات الإخوان تقول إنهم 13) نذكر منهم صلاح حسن من مصر ومحمد سعيد باعباد من اليمن ومهدي الإدلبي ونصر عيسى وزهير قشيشو من حماه، ورضوان بلعة من دمشق، ورضوان كريشان من معان الأردن، ومحمود البرقاوي وأبو الحسن ابراهيم الغزي من فلسطين[341].

---

338 محسن الخزندار، مرجع سابق.

339 حسني أدهم جرار: الشهيد عبد الله عزام رجل دعوة ومدرسة جهاد، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمّان الأردن، 1990، ص61-63.

340 جرار: المرجع نفسه، ص61-63، وكذلك أبو زايدة، مرجع سابق، ص 126-128-136-137.. وأحمد نوفل: الطريق إلى فلسطين، مرجع سابق، ص 25. وأنظر خصوصًا عبد الله أبو عزة: مرجع سابق، ص141، الذي يذكر معلومة تتعلّق بقرار صدر عن قيادة الإخوان في الأردن بفصل الفرحان بسبب قبوله المنصب من دون استشارتهم وأخذ موافقتهم. ويرجّح أبو عزة، بحسب معرفته بالدكتور الفرحان وبقيادات الإخوان، أنه فعلاً استشارهم ووافقوا.

341 حسني جرار: المرجع نفسه، ص65. وأبو زايدة، مرجع سابق، ص127.

من المهم هنا الإشارة إلى أن الباحث الفلسطيني بلال محمد شلش لفت انتباهي إلى «سلسلة الحوارات التي أجراها الدكتور عزام التميمي ضمن برنامج مراجعات في قناة الحوار الفضائية والمتاحة على موقع القناة على youtube، وأبرز هذه المقابلات مقابلة سليمان الحمد (أحد قيادات تنظيم الإخوان في غزة ثم الكويت، بثت في ثلاث حلقات بدءًا من 22 شباط/فبراير 2010) الذي يظهر من المقابلة أنه كان على اطّلاع على رسالة أبو جهاد، ومن المساهمين في فتح لحظة التأسيس، وفي نصوصها الأولى وعلى رأسها نشرتها فلسطيننا نداء الحياة، ويتحدّث بتفصيل عن حوارات التأسيس ولحظة «التمايز» ويشرح وجهة نظر مغايرة لما قدّمه أبو عزة بخصوص «قواعد الشيوخ». كما تأتي مقابلة الدكتور عبد الله أبو عزة (بثّت في خمس حلقات بدءًا من 17 أيار/مايو 2010) كمساعد لما قدّمه في نص مذكراته، خصوصًا في موقفه تجاه تأسيس قواعد الشيوخ. وفي هذا الجانب تأتي على درجة كبيرة من الأهمية مقابلة الدكتور أحمد نوفل صاحب الفكرة والمؤسس الحقيقي لقواعد الشيوخ وصاحب القرار بحلّها إثر أحداث أيلول، (بثّت في خمس حلقات من مطلع كانون الأول/ديسمبر 2009)، ومقابلة الدكتور إسحق الفرحان (بثّت في خمس حلقات بدءًا من أواخر شهر تشرين الأول/أكتوبر 2009) التي يتحدّث فيها عن العلاقة مع فتح خصوصًا في مسألة

هكذا انتقلت العلاقة بين فتح والإخوان إلى الحيّز السياسي من جديد من خلال التنسيق مع المكتب التنفيذي بالتحديد، فاستمر دعم إخوان العالم العربي لفتح واستمر عداء إخوان غزة لها.

بحسب الشيخ هاشم الخزندار، «حرصت قيادة فتح على وجود حليف لها في داخل الأرض المحتلة وخارجها وعلى الساحات العربية وذلك لتغيّر طبيعة التحالفات القائمة بين فصائل المقاومة الفلسطينية. واتجهت قيادة فتح إلى إقامة تحالفات مع الاتّجاه الإسلامي لمواجهة التحالفات المتنافسة في داخل حركة فتح وفي قيادة منظّمة التحرير ولمواجهة التنظيمات السياسية في الأراضي المحتلة...» إتّصل خليل الوزير بالشيخ هاشم الخزندار وحثّه على الاتّصال بالقيادات الشابة من الإخوان المسلمين. وفي عام 1972 أرسل خليل الوزير جوازات سفر يمنية مزوّرة للشيخ أحمد ياسين والأستاذ محمد نوفل وطلب مقابلتهم في بيروت أو في أي مكان يرغبون به.

كان رد الأستاذ محمد نوفل بالاعتذار لأسبابٍ صحية وعائلية، أما الشيخ أحمد ياسين فقد قام بتقطيع جواز السفر وقال: «إنه لا يتعامل مع الطاغوت ولا يتعامل إلا مع جهة تحكم باسم الله ومرجعيتها القرآن الكريم ولا يأتمن جانب كلّ العلمانيين...» كان رأي الشيخ هاشم الخزندار أن خليل الوزير يسعى إلى تجميع القوى الإسلامية للردّ على التيار اليساري في الأراضي المحتلة وفي الخارج. وعندما اجتمع الشيخ الخزندار مع أبو جهاد وقيادة حركة فتح في دمشق قال لهم إن الشعب الفلسطيني في قطاع غزة والضفة الغربية والأراضي المحتلة 1948 لديه نزعة دينية وإن عرب فلسطين 1948 أشد توجّهًا للإسلام، فالإسلام بجاذبيته أقوى عامل محرّك في المجتمع الفلسطيني.

في المقابل، نفى خليل الوزير أن يكون هدفه العمل على تجيير عمل الجماعات والحركات الإسلامية في فلسطين لمصلحة حركة فتح، بل إنه في حقيقة الأمر يريد استثمار كلّ الجوانب التاريخية والثقافية والاجتماعية والسياسية للحركة الإسلامية في الصراع مع العدو الصهيوني. ثم أردف قائلاً «إن الإسلام سيصبح القوة الأساسية في مواجهة الاحتلال الصهيوني ولكن لا يقدر وحده أن يغيّر مفهوم حركة فتح في

القواعد. وكان من الممكن كذلك أن يكون مفيدًا الاطلاع على الحوار مع كامل الشريف (بثّ لقاؤه الأول في تشرين الثاني/نوفمبر 2009) حيث يسجّل في الحوار أنه كان ممّن حضر الاجتماعات التأسيسية لحركة فتح في الكويت. ومن الممكن في مجال المصادر الاستفادة من نص «الكتاب الحادي عشر من تراث الإمام البنّا: مقالات حول القضية الفلسطينية» والذي نشر في القاهرة عام 2006؛ ونص الدكتور إبراهيم البيومي غانم الذي نشر مؤخرًا «وثائق قضية فلسطين في ملفات الإخوان المسلمين 1928-1948. (القاهرة: دار الشروق الدولية، 2011). أما المراجع فمن الممكن أن يكون مفيدًا الاطلاع على أطروحة الدكتور عبد الفتاح العويسي المنشورة بالإنكليزية والخاصة بالإخوان المسلمين في فلسطين حتى عام 1948؛ والمنشورة في كتاب عن دار طوروس في لندن. وأطروحة الدكتور نهاد الشيخ خليل «حركة الإخوان المسلمين في قطاع غزة 1967-1987» (غزة: مركز التأريخ والتوثيق الفلسطيني، 2012)، والتي يناقش في مقدّماتها الجذور التاريخية للعلاقة بين الإخوان المسلمين في مصر وفلسطين». (من رسالة الباحث بلال شلش إلى سعود المولى).

ظل الوفاق العالمي ووجود الاتحاد السوفياتي وانتشار الفكر اليساري في سورية والعراق وما لهم من قوة وتأثير على المنظّمات المحسوبة عليهم»[342].

9- فتح: محاولة تقويم

هدفت حركة فتح بانطلاقتها التنظيمية والعسكرية إلى «تحريك الوجود الفلسطيني وبعث الشخصية الفلسطينية محليًا ودوليًا من خلال المقاتل الفلسطيني الصلب العنيد القادر على تحطيم أسطورة المناعة الإسرائيلية»[343]. وهي كانت ضد الحزبية بمفهوم التعصّب الحزبي على حساب الولاء لفلسطين. فجعلت هذا الولاء فوق كلّ الخلافات العربية وفوق كلّ الصراعات الحزبية. وكان شعارها أن فلسطين هي طريق الوحدة العربية في حين كان الشعار السائد في ذلك الوقت أن الوحدة هي السبيل لتحرير فلسطين[344]. ثم جاء انفصال الوحدة بين مصر وسورية، ثم انتصار الثورة الجزائرية (5 تموز/يوليو 1962) ليصبّا في صالح الموقف الفتحاوي الفلسطيني القائم على الاعتماد على الذات أولاً، وعلى تجميع وحشد كلّ الطاقات في سبيل التحرير ثانيًا. ومن هنا جاءت المادة 2 من مبادىء النظام الأساسي لحركة فتح تقول إن «الشعب الفلسطيني هو صاحب الحق الطبيعي والشرعي في فلسطين وهو ذو شخصية مستقلّة ويملك وحده حق تقرير مصيره واستلام زمام قضيته دون وصاية أو تبعية أو توجيه، وله السيادة المطلقة على جميع أراضيه». وفي المادة 10، إن «حركة فتح حركة وطنية ثورية مستقلّة وهي تمثّل الطليعة الثورية للشعب الفلسطيني».. وفي المادتين 26 و27: «عدم الزجّ بالقضية الفلسطينية في الخلافات العربية والدولية واعتبار القضية فوق أي خلاف... حركة فتح لا تتدخّل في الشؤون المحلية للدول العربية ولا تسمح لأحد بالتدخّل في شؤونها»[345]. كما أن فتح أطلقت في البلاد العربية شعار الحرب الشعبية الطويلة الأمد على اعتبار أنه ليس السلاح هو العامل الحاسم، بل السياسة التي توجّه السلاح والفكر الذي يقود الثورة.

شكّلت انطلاقة فتح على أسس مغايرة تمامًا لأسس الإخوان والتيار الديني، كما التيارين القومي والشيوعي، في منتصف القرن العشرين، حالة جديدة من نوعها في الوسط السياسي والحزبي العربي. ذلك أن فتح، امتلكت تلك القدرة الغريبة على تغليب الموقف الوطني على أي اعتبار إيديولوجي أو ديني أو مذهبي أو

---

342 محسن الخزندار، مرجع سابق.

343 فتح: بيان حركتنا، الكرّاس رقم 1 من سلسلة «دراسات ثورية»، وكمال عدوان: فتح الميلاد والمسيرة.

344 خليل الوزير، مرجع سابق، وكذلك كمال عدوان، المرجع نفسه.

345 حركة فتح: النظام الأساسي والنظام الداخلي، منشورات التعبئة والتنظيم، بيروت 1972.

عشائري، وعلى توحيد كلّ طاقات الشعب الفلسطيني، صوب الهدف المركزي أي تحرير فلسطين. وأسست فتح لحركة وطنية فلسطينية تحرّرية تميّزت بنوعية من القادة والكوادر كرّسوا حياتهم من أجل الثورة والشعب إلى حدود التفاني ونكران الذات وعدم الاهتمام بالمصالح الشخصية والمكاسب الذاتية. وتميّزوا بالجرأة على النضال ضد الأخطاء والنواقص وضد الذات قبل الآخرين، وبإنماء روحية تقويم العمل والتجارب والتشجيع على روح النقد بأخوية (قانون المحبة الفتحاوي) ونزاهة وحرية...

لم يكن قرار البدء بالعمل المسلّح تحت اسم قوات العاصفة قرارًا سهلاً في ظل ظروف عربية ودولية معادية. ويبدو أن ما عجّل في اتّخاذ القرار ليس مشروع تحويل نهر الأردن كما قيل ويقال. فلعل المشروع الإسرائيلي كان حافزًا لعقد القمة العربية وإنشاء منظّمة التحرير الفلسطينية. أما من جانب فتح فإن العلاقة مع الصين وفيتنام من جهة، ومع الجزائر الحديثة الاستقلال من جهة ثانية، سمحت ليس فقط بإنشاء مكاتب والبدء بالتدريب والحشد والتسليح، وإنما كان لها دور كبير في تبلور الخيار الوطني الحركي التحرّري المستقل الذي شكّل قطيعة كاملة مع حركة الإخوان المسلمين. وجاء التورط المصري في اليمن والصراع المصري-السعودي من جهة، ودخول سورية حقبة حكم البعث وانقلاباته ومزايداته من جهة أخرى، ليطرحا على فتح ضرورة المبادرة والتحرّك لإطلاق المارد الفلسطيني من قمقمه. وقد قوبلت حركة فتح بحملات تشكيك واتّهام من قبل الأنظمة العربية (سورية بالأخص) ومن الأحزاب القائمة (الشيوعيون والقوميون العرب والبعثيون الذين رأوا في فتح منافسًا وغريمًا قد يكتسح قواعدهم الفلسطينية وهي أهم وأشرس قواعد حزبية عربية). أما القوميون السوريون الذين انتهوا في سورية منذ اغتيال عدنان المالكي، وكانوا يقبعون في السجون اللبنانية بعد محاولة الانقلاب الفاشلة على الرئيس شهاب؛ فقد كانت فتح نافذة أمل لتجديد شبابهم. هذا في حين لم يغفر الإخوان المسلمون في غزة لقادة فتح خروجهم عليهم في غزة، ولا مبادرتهم إلى حمل راية فلسطين التي كان من المفترض أن يحملها الإخوان.

منذ البداية، ووجِهت فتح بحملات مطاردة واعتقال واغتيال ما بين الأردن وسورية، وحتى لبنان (جلال كعوش). كما شهدت الساحة الفلسطينية إغراقًا بالتنظيمات التي تُصدِر البلاغات العسكرية عن عمليات وهمية، بقصد سرقة الوهج والمبادرة من فتح. وابتدأت حركة القوميين العرب تلملم كوادرها وقواعدها (ما بين فلسطين والأردن والمخيمات) الذين كانت أنهكتهم وشردتهم المطاردات، ولكن أيضًا المناظرات والانشقاقات. لكن حركة فتح رفعت يومها شعار «اللقاء فوق أرض المعركة»؛ لا بل إنها دخلت في عمليات اندماج مع جبهة التحرير الفلسطينية ومع حزب البعث السوري، لتخرج منها، بعد محاولات انقلاب عليها وتصفية لقادتها، أكثر تصميمًا

على حفظ استقلالية القرار الوطني الفلسطيني والمبادرة الثورية الكفاحية. وانتهى الفصل الأول من هذه المرحلة بنكسة 5 حزيران 1967.

كانت فتح أسرع القوى في تجميع صفوفها، لأنها لم تكن أسيرة الارتباط بالأنظمة المهزومة في الحرب أو بالمعادلات الدولية والإقليمية القائمة. ولذا كانت الوحيدة التي لم تصبها النكسة بارتباك أو بانهيار (كما حدث للقوميين العرب والبعثيين والشيوعيين). لا بل إن فتح رأت في النكسة فرصة ممتازة للعمل الفلسطيني المستقل، وقد «اختفت قدرة القمع العربية ونشأ واقع جديد وعادت القضية إلى صورتها الحقيقية: صراع فلسطيني-إسرائيلي»[346]. كما أن كوادر فتح الموجودين في سورية كانوا قد شاركوا في القتال في الجولان، بقيادة ياسر عرفات وخليل الوزير، وانضم إليهم عشرات ومئات قدموا من دول الخليج بقيادة صلاح خلف ومحمود عباس. وفي دمشق عقدت قيادة فتح اجتماعها التاريخي في 12 و13 حزيران/يونيو 1967 والذي طرح فيه أبو عمار وأبو جهاد «الانتقال إلى الأرض المحتلّة وإعادة تأسيس الكفاح المسلّح». وقد طرح كوادر وقادة فتح في الأردن الفكرة عينها (بقيادة أبو ماهر محمد راتب غنيم).

هكذا سارع أبو عمار إلى الانتقال إلى الضفة الغربية (منطقة القدس ثم الخليل) ليعيد تنظيم الشباب وربطهم بالقيادة وتأمين لوجستيات العمل المسلّح. وبعد عودته انعقد مؤتمر فتح التاريخي في منزل خليل الوزير في دمشق أوائل تموز/يوليو. وكانت مصر قررت إعادة بدء القتال على امتداد قناة السويس. فرأى قادة فتح أن الفرصة سانحة للدعوة إلى بقاء الناس في أرضهم والإعداد للمقاومة الفلسطينية المسلّحة. وبعد زيارات متكررة قام بها عرفات إلى داخل الأرض المحتلة والأردن وسورية ولبنان، قررت القيادة «رفع وتيرة التدريب والتسليح وإرسال موجات الثقة والأمل إلى الداخل والبدء بإنشاء قواعد ارتكاز أمنية في الأرض المحتلّة والانتقال لاحقًا إلى حرب تحرير شعبية»[347].

مطلع آب، عاد ياسر عرفات إلى الضفة على رأس 30 مقاتلاً. وأنشأ مركز قيادته في نابلس ليُعلن الانطلاقة الثانية للكفاح الفلسطيني المسلّح في 28 آب 1967. ومن عام 1967 حتى العام 1987، كانت حركة فتح تبلور الخط الوطني التحرّري للصراع مع العدو الصهيوني ولتحقيق الاستقلال الفلسطيني المنشود.

لم يستطع الإخوان العودة إلى طريق فلسطين قبل أواخر العام 1987 وتشكيل حركة حماس، بعد أن كان تنظيم الجهاد الإسلامي (الدكتور فتحي الشقاقي) سبقهم في إطلاق المقاومة الإسلامية في العام 1980.

346 فتح: دراسات ثورية...ص85، والاقتباس من حديث للشهيد كمال عدوان في مجلة الثورة الفلسطينية، مرجع سابق.

347 خليل الوزير، مرجع سابق.

الفصل الثالث: حركة حماس الإخوانية

1- حماس ورواية التأسيس

تتّفق الروايات الرسمية لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)[348] على تحديد تاريخ ميلاد الحركة بمنتصف شهر كانون الأول/ديسمبر 1987. فبعد حادث الاعتداء الذي نفّذه سائق شاحنة صهيوني في 6 كانون الأوّل/ديسمبر1987، ضد سيارة صغيرة

---

348 التميمي، عزام، حماس، الصفحات المجهولة، بالإنكليزية، لندن2007، ص10-21.

الحروب، خالد، حماس الفكر والممارسة السياسية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1997، ص 39 و44-45.

وانظر أيضًا عن روايات تأسيس حماس، في المراجع التالية:

تيسير جبارة، دور الحركات الإسلامية في الانتفاضة الفلسطينية المباركة، عمّان، دار الفرقان، 1992.

مهيب سلمان أحمد النواتي، حماس من الداخل، ط 1، عمّان-غزة، دار الشروق للنشر والتوزيع،2002.

أحمد منصور، أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة، الدار العربية للعلوم ودار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

زياد أبو عمرو، الحركة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة، عكا-فلسطين، دار الأسوار، الطبعة الثانية، 1989.

جواد الحمد، إياد البرغوثي، محرران، دراسة في الفكر السياسي لحركة المقاومة الإسلامية حماس، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمّان، الأردن، الطبعة الأولى 1997.

موسى أبو مرزوق، تجربة المقاومة والانتفاضة وآفاقها حتى عام2015 ، قطاع غزة، البريج، دون طبعة وبدون دار نشر، 2005.

زياد أبو عمرو، حماس خلفية تاريخية سياسية، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع 13، شتاء 1993.

علي الجرباوي، حماس: مدخل الإخوان المسلمين إلى الشرعية السياسية، الدراسات الفلسطينية، ع 13، شتاء1993 .

زكي شهاب، حماس من الداخل القصة غير المروية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت،2008 .

أحمد يوسف، تجربة حماس السياسية، بيت الحكمة للدراسات والاستشارات، د م، 2010.

سمير سعيد، حركة المقاومة الإسلامية حماس، ط 1، عمّان: دار الوفاء، 2002 .

خالد أبو العمرين، حركة المقاومة الإسلامية حماس جذورها ونشأتها دورها السياسي 1920-1991، جامعة الخرطوم، السودان 1994.

أحمد بن يوسف، حركة المقاومة الإسلامية «حماس» خلفيات النشأة وأفاق المسير، الإصدار الثاني، المركز العالمي للبحوث والدراسات،1989 .

يستقلّها عمال عرب وأدى إلى استشهاد أربعة من أبناء الشعب الفلسطيني في مخيم جباليا للاجئين الفلسطينيين، انطلقت الانتفاضة الفلسطينية الأولى عند تشييعهم يوم 7 كانون الأول/ديسمبر. وبحسب روايات حماس، اجتمع خلال الأيام الأولى للانتفاضة (في 1987/12/9) سبعة من كوادر وكبار قادة جماعة الإخوان المسلمين العاملين في الساحة الفلسطينية هم أحمد ياسين وإبراهيم اليازوري ومحمد شمعة (ممثلو مدينة غزة)، عبد الفتاح دخان (ممثل المنطقة الوسطى)، عبد العزيز الرنتيسي (ممثل خان يونس)، عيسى النشار (ممثل مدينة رفح)، صلاح شحادة (ممثل منطقة الشمال)[349]؛ والمؤسسون السبعة من اللاجئين في غزة. وحتى عام 1967 كانت قيادة الإخوان تتشكّل من أبناء العائلات الغزاوية. وكان هذا الاجتماع إيذانًا بانطلاق الحركة التي وزّعت بيانها التأسيسي في 15 كانون الأول /ديسمبر 1987 (الذي صاغه أحمد ياسين)، أي بعد دخول الانتفاضة الفلسطينية أسبوعها الثاني[350]. وصدر ميثاق الحركة في آب/أغسطس 1988، وجاء في المادة 2 منه:

> حركة المقاومة الإسلامية جناح من أجنحة الإخوان المسلمين بفلسطين. وحركة الإخوان المسلمون تنظيم عالمي، وهي كبرى الحركات الإسلامية في العصر الحديث، وتمتاز بالفهم العميق، والتصور الدقيق والشمولية التامة لكل المفاهيم الإسلامية في شتى مجالات الحياة، في التصور والاعتقاد، في السياسة والاقتصاد، في التربية والاجتماع، في القضاء والحكم، في الدعوة والتعليم، في الفن والإعلام، في الغيب والشهادة وفي باقي مجالات الحياة[351].

وفي المادة 6 أن حماس «حركة فلسطينية متميزة تعطي ولاءها لله، وتتّخذ من الإسلام منهج حياة، وتعمل على رفع راية الله في كلّ شبر من فلسطين[352]».

فحركة حماس إذن جناح من أجنحة الإخوان المسلمين نشأت في آخر العام 1987، أي بعد 40 سنة على النكبة، وثلاثين سنة على ولادة حركة فتح، وعشرين سنة على

349 شهادة أحمد ياسين في شاهد على العصر مع أحمد منصور، بتاريخ 17 نيسان/إبريل 1999. أنظر: الشيخ أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2003.

350 هذا ما تقوله مصادر حركة الجهاد الإسلامي (مسيرة الجهاد الإسلامي في فلسطين، الطبعة الاولى، 1989) ويمكننا العثور على تأكيد صريح لهذا التاريخ في دراسة زئيف شيف واهود يعاري: إنتفاضة، ترجمة دافيد سجيف، دار شوكن للنشر، القدس، 1990، ص 26-27.

أما حماس فتعتبر ١٢ كانون الأول/ديسمبر في غزة و14 كانون الأول/ديسمبر في الضفة كتاريخَي توزيع بيانها الأول. أنظر المراجع السابقة المذكورة في الهامش 341.

351 ميثاق حركة حماس، منشورات حركة المقاومة الإسلامية، فلسطين، 1989.

352 المرجع نفسه.

نكسة 5 حزيران. وإخوانية حركة حماس وإيديولوجيتها نقرأها واضحة صريحة في «مقدّمة» الميثاق التي تعتبر حماس «النواة» التي «ولدت من وسط الخطوب، وفي خضم المعاناة، ومن نبضات القلوب المؤمنة والسواعد المتوضئة، وإدراكًا للواجب، واستجابةً لأمر الله»، فهي تعبير عن «الدعوة» أولاً وعن «التلاقي والتجمع» ثانيًا. ويؤكد الميثاق أيضًا على «العروبة على منهج الله»، وهذه نقطة جديرة بالاهتمام والتوقّف عندها، إذ هي تحدّد السمات الايديولوجية لمفهوم التحرّر الوطني والانتماء العربي وممارسته من جانب حماس[353].

وحرصًا على تبرير سبب التأخر في الكفاح المسلّح أو الجهاد، يقول الميثاق في مقدّمته أيضًا: «ولمّا نضجت الفكرة، ونمت البذرة وضربت النبتة بجذورها في أرض الواقع، بعيدًا عن العاطفة الموقتة، والتسرع المذموم، انطلقت حركة المقاومة الإسلامية لتأدية دورها ماضية في سبيل ربها، تتشابك سواعدها مع سواعد كل المجاهدين من أجل تحرير فلسطين، وتلتقي أرواح مجاهديها بأرواح كلّ المجاهدين الذين جادوا بأنفسهم على أرض فلسطين، منذ أن فتحها صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحتى يومنا هذا»[354]. وبهذا الكلام تضع حماس هنا حدًا بينها وبين من سبقها من حيث البعد أولاً عن التسرّع والعاطفة ومن حيث استمرار الجهاد منذ عهد الرسالة الأولى ثانيًا، ومن حيث تلاقي أرواح المجاهدين ثالثًا. فيكون القطع مع تراث الحركة الوطنية التحرّرية للمقاومة الفلسطينية (1957-1987) هو المقدّمة والمبرر للوصل مع التراث الإسلامي التاريخي النبوي والصحابي ومع سيرة الجهاد الفلسطيني بكل مراحله ومع أرواح شهدائه.

وما تقوله الروايات الحمساوية بموضع نشأتها في سياق «ما شهدته فلسطين منذ منتصف الثمانينات من تطوّر واضح وملحوظ في نمو وانتشار الصحوة الإسلامية (كغيرها من الأقطار العربية)، ونمو الحركة الإسلامية فكرة وتنظيمًا، في فلسطين المحتلة عام 1948، وفي أوساط التجمّعات الفلسطينية في الشتات»[355]. وهذا التموضع يقدّم لرواية حماس عن نفسها إطارًا تأويليًا خاصًا يرى إلى المسألة من زاوية نضوج الظروف التي كانت حركة الإخوان المسلمين تُعدّ لها منذ أن أسسها حسن البنّا. ونضوج الظروف عنوانه العام عودة الناس إلى الإسلام بعد عقود النكسات والنكبات والضياع. «ففي ظلّ تراجع القضية الفلسطينية إلى أدنى سلم أولويات الدول العربية وتراجع مشروع الثورة الفلسطينية من مواجهة المشروع الصهيوني وإفرازاته إلى موقع التعايش معه وحصر الخلاف في شروط هذا التعايش، وبسبب

353 مقدّمة الميثاق، حركة حماس، المرجع نفسه،

354 المرجع نفسه.

355 حركة المقاومة الإسلامية (حماس) (مذكرة تعريفية). نقلاً عن: خالد الحروب «حماس الفكر والممارسة السياسية، مرجع سابق، ص 308- 317.

تراكم الآثار السلبية لسياسات الاحتلال الصهيونية القمعية الظالمة ضد الشعب الفلسطيني، كان لا بد من مشروع فلسطيني إسلامي جهادي، بدأت ملامحه في أسرة الجهاد[356] عام 1981، ومجموعة الشيخ أحمد ياسين عام 1983 وغيرها»[357]. «ومع نهايات عام 1987 كانت الظروف قد نضجت بما فيه الكفاية لبروز مشروع جديد يواجه المشروع الصهيوني وامتداداته ويقوم على أسس جديدة تتناسب مع التحوّلات الداخلية والخارجية، فكانت حركة المقاومة الإسلامية حماس التعبير العملي عن تفاعل هذه العوامل»[358].

أما التطور التنظيمي الهيكلي، فقد نتج عن تطوّر «المواجهات الطلابية مع سلطات الاحتلال في جامعات النجاح وبيرزيت في الضفة الغربية والجامعة الإسلامية في غزة»، التي «أسهمت في إنضاج الظروف اللازمة لانخراط الجماهير الفلسطينية في مقاومة الاحتلال، خاصة وأن سياساته الظالمة، وإجراءاته القمعية وأساليبه القهرية قد راكمت في ضمير الجماهير، نزعة المقاومة والاستبسال في مقاومة الاحتلال»[359]. وبحسب الروايات الحمساوية أيضًا، جرى تكوين أجنحة لأجهزة المقاومة، وتهيئة القاعدة الجماهيرية للتيار الإسلامي بالاستعداد العملي لمسيرة الصدام الجماهيري مع الاحتلال الصهيوني منذ عام 1986[360].

---

356 ظهرت النواة الأساسية للحركة الإسلامية في فلسطين48 بمنطقة المثلث، وهي منطقة أكثرية سكانها عرب مسلمين، تمتد بين كفر قاسم وأم الفحم. ثم توسّعت الحركة بعد ذلك وأقامت مراكز في منطقتَي الجليل والنقب، وكان الشيخ عبد الله نمر درويش من أوائل المبادرين إلى تأسيس الحركة الإسلامية في عام 1972 ونشر الدعوة في كفر قاسم، ثم في القرى المجاورة (كفر برا وجلجولية والطيبة). وفي عام 1978، وصلت الدعوة إلى مدن أم الفحم وباقة الغربية وجت شمالي منطقة المثلث، وفي عام 1979 وصلت إلى النقب، أما في عام 1980 فقد وصلت إلى الناصرة وبعض قرى الجليل. وقد ألقي القبض على الشيخ درويش عام 1981، وحُكم عليه بالسجن 4 سنوات، أمضى منها 3، وأفرج عنه عام 1984، وكانت التهمة التي أدين بها صلته بتنظيم سرّي إسلامي (أسرة الجهاد) بعدما اتُهم أعضاء هذا التنظيم بحيازة أسلحة ومتفجرات وإشعال النيران في ممتلكات يهودية، وحكم على زعيم التنظيم (فريد أبو مخ من باقة الغربية) بالسجن 10 أعوام، وأطلق سراحه مع آخرين في إطار صفقة التبادل عام 1985. وقد عاد الشيخ نمر درويش بعد الإفراج عنه إلى قرية كفر قاسم ليتزعّم الحركة الإسلامية التي اهتمّت بالبنية التحتية الاجتماعية، فأقامت شبكة من عشرات الجمعيات والروابط القانونية التي أسست بدورها رياض الأطفال، عيادات، نوادٍ رياضية، كلية دينية. وأسس «حركة الشباب المسلم» التي ركّزت نشاطها بشكل أساسي على السلطات المحلية، وحددت آلية عملها على النهوض بأوضاع فلسطينيي 48 ورعاية شؤونهم بأنفسهم؛ بحيث يقوم المشاركون فيها بأعمال عامة مثل شقّ الشوارع والطرقات وإقامة محطات الوقوف والمواصلات العامة وترميم المدارس وتنظيف المقابر وبناء الصفوف الدراسية، كما تمت إقامة رياض أطفال وخدمات للمسنين ومكتبات عامة للكتب الدينية. كانت أسرة الجهاد أول حركة إسلامية مسلّحة تنطلق في فلسطين المحتلّة.

357 حركة حماس، مذكرة تعريفية، مرجع سابق.

358 المرجع نفسه.

359 المرجع نفسه.

360 المرجع نفسه.

وإذا أردنا اليوم تعريف حركة حماس (من زاوية إيديولوجية مؤسسيها) نقول إنها حركة مقاومة شعبية وطنية تعمل على توفير الظروف الملائمة لتحقيق تحرّر الشعب الفلسطيني وخلاصه من الظلم وتحرير أرضه من الاحتلال الغاصب، والتصدي للمشروع الصهيوني المدعوم من قبل قوى الاستعمار الحديث. وهي حركة جهادية بالمعنى الواسع لمفهوم الجهاد، وهي جزء من حركة النهضة الإسلامية، تؤمن أن هذه النهضة هي المدخل الأساسي لتحرير فلسطين من النهر إلى البحر، وهي حركة شعبية، إذ إنها تعبير عملي عن تيار شعبي واسع ومتجذّر في صفوف أبناء الشعب الفلسطيني والأمة الإسلامية يرى في العقيدة والمنطلقات الإسلامية أساسًا ثابتًا للعمل ضد عدو يحمل منطلقات عقائدية ومشروعًا مضادًا لكلّ مشاريع النهوض في الأمة، وتضم حركة حماس في صفوفها كلّ المؤمنين بأفكارها ومبادئها المستعدّين لتحمل تبعات الصراع ومواجهة المشروع الصهيوني.

2- الإخوان المسلمون بعد نكسة حزيران 1967

تأخّر الإخوان المسلمون أربعين سنة لبدء طريق المقاومة في فلسطين. وهم أبطال حرب 1948 وورثة تراث الحاج محمد أمين الحسيني والشيخ عز الدين القسّام. وبين العامين 1948 و1987 كانت نكسة حزيران محطة فاصلة بالنسبة إليهم من حيث استعادة حضورهم التنظيمي والسياسي والاجتماعي.

بدت هزيمة حزيران كما لو أنها حسمت الجدل الفكري السياسي المتعلّق بصلاحية الأفكار والتصورات والمفاهيم القومية واليسارية التي كانت مطروحة على الساحة العربية...[361] وتبلوّر في مقابل ذلك خطاب البدايات الإخوانية الذي صار يطرح شعار الإسلام هو الحل.

أزاح الاحتلال الصهيوني عن كاهل الإخوان المسلمين المطاردة التي كانت تلاحقهم من قبل النظام الناصري في قطاع غزة تحديدًا، وصار بامكانهم التواصل مع إخوانهم في ضفتَي نهر الأردن. نشط من تبقى من الإخوان المسلمين (وعلى رأسهم الشيخ أحمد ياسين، وعبد الفتاح دخان، ومحمد حسن شمعة)، في إعادة بناء هيكل الإخوان المسلمين مستفيدين من قانون الجمعيات العثماني الذي اعتمده الاحتلال وطبّقه على غزة بعد عام 1967.[362] فبادر الشيخ أحمد ياسين بدعوة مجموعة من

---

361 الحروب: حماس الفكر والممارسة، مرجع سابق، ص 29.

362 النواتي: حماس من الداخل، مرجع سابق، ص 12-13.

الشخصيات المنتمية لحركة الإخوان، والراغبين في العمل لإعادة تشكيل التنظيم[363].

في المرحلة الأولى شكّلت هذه المجموعة قيادة الحركة، ولم يكن هناك كيانات أو مؤسسات تنظيمية أخرى، ومع الوقت بدأت أعداد المنتمين للإخوان تتزايد. وترافق ذلك مع استحداث هياكل وأشكال ومؤسسات ومراتب تنظيمية تناسب الواقع الجديد؛ على رأسها تلك الهيئة التي حملت اسم الهيئة الإدارية العامة، وهي القيادة العليا للحركة في قطاع غزة، وكانت مسؤولة عن الهيئات الإدارية لمختلف المناطق. وتكوّنت في البداية من مجموعة الشخصيات التي بادرت للعمل بعد الاحتلال الإسرائيلي عام 1967، وهم: أحمد ياسين[364]، إبراهيم اليازوري، ومحمد الغرابلي، وكانوا يمثّلون مدينة غزة، ومحمود أبو خوصة، ممثل جباليا وتوابعها من مناطق شمال قطاع غزة، وعبد الفتاح دخان، ممثلاً عن المنطقة الوسطى، ومحمد عايش النجار، عن خان يونس، ومحمود محسن، عن رفح. وانتُخب عبد الفتاح دخان، رئيسًا للهيئة الإدارية، لكنه تنازل عن تلك المهمة للأستاذ أحمد ياسين؛ معللاً ذلك بأن المسؤول يجب أن يكون من منطقة غزة، فهي مركز القطاع إضافة إلى أن ياسين تتوافر فيه صفات القيادة؛ وأصبح عبد الفتاح دخان نائبًا للرئيس بشكل تلقائي[365].

دارت نقاشات طويلة داخل الهيئة الإدارية العليا، والتي أُطلق عليها أيضًا اسم المكتب الإداري، بشأن تحديد الأولويات، هل تبدأ الحركة بمقاومة الاحتلال؟ أم تُعيد بناء ذاتها؟ وتعمل على بناء جيل جديد يكون قادرًا على البدء والاستمرار في المقاومة؟ وحسم الأمر بأن الأولوية يجب أن تكون لإعداد جيل وتربيته، ثم إعادة بناء التنظيم؛ لأن الهدف المرحلي لحركة الإخوان في قطاع غزة يجب أن يقتصر على إنجاز تلك المهمة[366]. وقد ذكر أحمد ياسين أن ذلك القرار اتخذ بعد نقاشات دارت بين الداخل والخارج، حيث سافر أحمد ياسين إلى عمّان؛ فالتقى مع عبد الله أبو عزة، مندوبًا عن الإخوان المسلمين الفلسطينيين هناك، وأكد الطرفان على

---

363 أحمد منصور، شاهد على عصر الانتفاضة، مرجع سابق، ص 25-27.

364 أحمد ياسين مولود قرب عسقلان عام 1936. عاش الفقر والبؤس ثم الإعاقة البدنية من عمر 16 سنة. إنكب على الدراسة خصوصًا في مجال التعليم حتى صار معلمًا فيما بعد. سافر للدراسة في مصر ولكنه أعتقل بتهمة الإخوان ثم أبعد (1965-1966). لم ينضم للإخوان إلا بعد نكسة حزيران 1967 بحسب شهادته مع أحمد منصور، مرجع سابق. وهو يقول إن شهر الاعتقال في مصر فاقم من حقده على الظلم والظالمين. إغتيل في 2004/3/22.

365 نهاد الشيخ خليل: البنّاء الداخلي لحركة الإخوان المسلمين في قطاع غزة 1967-1987، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، المجلد العشرين، العدد الأول، ص 313، 354 كانون الثاني/يناير2012، ص 315-316. قارن مع عبد الفتاح دخان: الإخوان المسلمون وقضية فلسطين في القرن العشرين، ج 2، مركز النور للبحوث والدراسات، غزة، فلسطين، ط 1، 2004 ، ص75.

366 Matthew Levit: Hamas Politics Charity and Terrorism in the Service of Jihad, New york, USA, 2006, p21 .

أولوية التربية ثم إعادة بناء التنظيم. وتجدر الإشارة إلى أن الشيخ أحمد ياسين كان ميّالاً للبدء بالعمل العسكري منذ اللحظة الأولى وأبدى ذلك الموقف في الداخل والخارج، لكنه التزم بموقف الأغلبية التي أصبحت قرارًا للحركة[367].

واصلت تلك المجموعة القيادية عملها منذ البداية حتى منتصف السبعينات، لم يطرأ عليها أي تغيير، فغالبية تلك المجموعة كانت تعمل في التدريس، والمنتسبون الجدد للحركة كانوا من الطلاب في العادة. وكان العمل منصبًّا على أنشطة دعوة الناس للالتزام بتعاليم الدين والاستقامة على الصعيد الفردي والجماعي، واستمر الانسجام الكامل بين المجموعة القيادية الأولى، ولم تظهر أي اختلافات أو تباينات في الرأي حتى منتصف السبعينات[368]. لكن بعد ذلك بدأت تظهر بعض النقاشات داخل الحركة حول مسائل عديدة، منها إعادة ترتيب الأولويات، مسألة المقاومة المسلّحة ضد الاحتلال، وضرورة استحداث آليات عمل جديدة (مثل بناء المؤسسات)، حينها لجأت القيادة إلى استحداث جسم جديد (مجلس الشورى)، لكي تُدار بداخله النقاشات وتُحسم الخلافات. ومع نهاية السبعينات أصبح المكتب الإداري ينتخب من مجلس الشورى، وجرت انتخابات دورية كلّ عامين، منذ نهاية السبعينات وحتى اندلاع الانتفاضة الأولى. وأفرزت نتائج الانتخابات بعض التغييرات في عضوية المكتب الإداري[369].

3- المرحلية في العمل

بعد حرب حزيران/يونيو 1967 ونتيجة لقرار إسرائيل إحياء القانون العثماني للجمعيات، تأسست منظّمات تطوعية وخيرية واجتماعية ودينية عدة. وبين أعوام 1967 و1977 مارست إسرائيل سياسة عدم التدخّل التي صاغها موشيه دايان (الجسور المفتوحة) للسماح للفلسطينيين بالجمعيات غير السياسية طالما أنها لا تتعاطى الشأن العام وتلتزم القوانين الإسرائيلية ولا تشكّل خطرًا على الكيان. إستغل الإخوان الوضع لبناء مساجد ومراكز صحية واجتماعية ورياضية وعيادات وصيدليات ولجان زكاة واحتفالات ختان وتحفيظ قرآن... إلخ.

---

367 نهاد الشيخ خليل، البنّاء الداخلي، مرجع سابق، ص 316.

368 مرجع سابق.

369 مرجع سابق.

إبتدأ الإخوان نشاطهم الجديد على مراحل. الأولى كانت مرحلة المساجد وهدفت، بحسب إبراهيم المقادمة[370]، إلى بناء المساجد، واستيعاب الجيل الجديد من الشباب، وتعبئته ولمّ شتاته، وتأطير توجهاته، وتركيز عقيدته وتعميقها لمواجهة الاحتلال الصهيوني.[371] وفي هذه المرحلة عاد خطباء المساجد إلى لعب دور توجيهي وتعبوي، وإلى طرح قضايا اجتماعية وأخلاقية وأخرى تتعلّق بالوعي الإسلامي لطبيعة المعركة مع الكيان الصهيوني، وخصوصًا لجهة التركيز على رفض الغزو الفكري. وقد ذكرت صحيفة التايمز اللندنية أن عدد المساجد ارتفع في الضفة والقطاع بين عامي 1967 و1987 من 600 مسجد إلى 1350 مسجدًا[372]. ولعبت المساجد دورًا مهمًا على صعيد حركة الإخوان المسلمين، إذ مكّنتهم من التغلغل في أوساط المجتمع الفلسطيني[373]. وبهذا أيضًا تكون التجربة المصرية في بروز خطباء مساجد شعبيين قد انتقلت إلى غزة بعد العام 1967.

ثم كانت مرحلة المؤسسات وآيتها بناء المجمع الإسلامي في غزة في عام 1973 برئاسة الشيخ أحمد ياسين[374]. نشأ المجمع كمسجد، ثم ألحقت به عيادة طبية ونادٍ رياضي ورياض أطفال، ولجنة زكاة، ومركز نشاط نسائي وتأهيل فتيات، ولجنة إصلاح، وفرق أفراح إسلامية.[375] ضمت اللجنة المؤسسة للمجمع الشيخ أحمد ياسين وسليم

---

370 إبراهيم أحمد المقادمة أبو أحمد من بيت دراس من قضاء المجدل عسقلان. ولد عام 1950 في مخيم البريج للاجئين وسط قطاع غزة، وعاش في مخيم جباليا ودرس في مدارس وكالة الغوث الدولية وحصل على الثانوية العامة بامتياز. إنتقل إلى مصر لمواصلة دراسته الجامعية حيث التحق بكلية طب الأسنان وتخرّج طبيبًا للأسنان. ثم عمل في مستشفى الشفاء بغزة ثمّ أصبح أخصائي أشعة. فصل من وزارة الصحة بعد أن اعتقلته السلطات الفلسطينية بتهمة الحصول على أسلحة، فانتقل بعدها إلى العمل في مستشفى الجامعة الإسلامية في غزة. إنضم المقادمة إلى حركة الإخوان المسلمين في شبابه أثناء الدراسة الجامعية في مصر إلى أن أصبح من المقرّبين إلى مؤسس حركة حماس أحمد ياسين وأحد قادة الحركة. شكّل المقادمة أهم أعمدة الجهاز العسكري للحركة وأمد مقاتلي الحركة بالأسلحة. إعتقل عام 1984 للمرة الأولى بتهمة إنشاء جهاز عسكري للإخوان المسلمين في قطاع غزة وحكم عليه بالسجن ثماني سنوات. وفي عام 1996، اعتقلته السلطات الفلسطينية بتهمة تأسيس جهاز عسكري سرّي لحركة حماس في غزة وأطلقته بعد ثلاث سنوات. وعاودت أجهزة الأمن اعتقاله أكثر من مرة. في سنوات حياته الأخيرة نشط المقادمة في المجال الدعوي والفكري وتأليف كتب أبرزها: معالم في الطريق إلى تحرير فلسطين، والصراع السكاني في فلسطين. إغتالته القوات الإسرائيلية مع ثلاثة من مرافقيه في 8 آذار/مارس 2003.

371 باروت، جمال، وفيصل دراج: الأحزاب والحركات والجماعات الإسلامية، ج1، ط2، دمشق: المركز العربي للدراسات الاستراتيجية 2000، ص 387.

372 تيسير جبارة، دور الحركات الإسلامية في الانتفاضة الفلسطينية ص 18-19.

373 مهيب النواتي، حماس من الداخل، مرجع سبق ذكره، ص120 -124.

374 تيسير جبارة، دور الحركات، مرجع سابق، ص 13.

زياد أبو عمرو: الحركة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة، دار الأسوار، عكا، 1989، ص 32-35، مقابلة مع أحمد ياسين.

375 تيسير جبارة: مرجع سابق، ص 14.

زياد أبو عمرو: مرجع سابق، مقابلة مع أحمد ياسين.

شراب وأحمد إبراهيم دلول وإسماعيل أبو العوف وأسعد حسنية ومصطفى عبد العال وعبد الحي عبد العال ولطفي شبير ويعقوب أبو كويك وأحمد أبو الكاس. وفّر المجمع إطارًا قانونيًا ومنظمًا لنشاط الإخوان كما وفّر لهم آليات متعددة للاتصال بالسكان خصوصًا حين أصبح يسيطر على 40 في المئة من مساجد القطاع. أخذ المجمع تصريحًا رسميًا من السلطات الإسرائيلية في عام 1979 وكان قد وسع نفوذه إلى عدد من المساجد وفتح فروعًا له بحيث صار يضم أكثر من 200 عضو[376].

وكانت مرحلة 1975-1979 قد شهدت عودة كوادر إسلامية شابة إلى قطاع غزة بعد تخرجها من الجامعات المصرية أمثال: الدكتور عبد العزيز الرنتيسي، والدكتور إبراهيم المقادمة، والدكتور محمود الزهار، والدكتور موسى أبو مرزوق، والمهندس إسماعيل أبو شنب، ومعهم وبهم بدأ مشوار الجامعة الإسلامية في غزة التي كانت أبرز وأهم صرح حاضن للتجربة الجديدة للإخوان[377].

4- الجامعة الإسلامية في غزة

بدأ النشاط الإخواني فيها منذ إنشائها عام 1978 (بمساعدة من البنك الإسلامي للتنمية)، وهي كانت أول الجامعات الفلسطينية التي تنشأ في قطاع غزة[378]، ولم يسبقها إلا معهد الأزهر الديني، الذي كان يرأسه الشيخ محمد عواد، صاحب فكرة إنشاء الجامعة الإسلامية. فقد اتخذت لجنة معهد الأزهر الديني بغزة بتاريخ 1977/4/12 قرارًا بتطوير المعهد إلى جامعة إسلامية تضم بصورة أولية كلّية الشريعة والقانون وكلّية أصول الدين وقسم اللغة العربية. بدأت الجامعة تتوسّع بشكل كبير، فمع افتتاح الجامعة عام 1978 بدأ الطلاّب يدرسون في كلّيتي الشريعة وقسم اللغة العربية (نواة كلّية الآداب) وفي العام الجامعي 1979-1980 افتتحت كلّيتا أصول الدين والتربية، وفي العام التالي، كلّيتا التجارة والعلوم، وفي العام الجامعي 1985-1986 قررت الجامعة افتتاح كلية التمريض، إلا أنها اضطرت لتأجيل ذلك بسبب رفض سلطات الاحتلال، لكن الجامعة افتتحت تلك الكلّية مع كلّية الهندسة في العام الجامعي 1992-1993، وفي العام الجامعي 2004-2005، كلّية تكنولوجيا المعلومات، وفي عام 2006، كلّية الطب.

---

376 زياد أبو عمرو: مرجع سابق، مقابلة مع أحمد ياسين.

377 خالد مشعل يتذكر، نقلاً عن صحيفة الحياة، حاوره غسان شربل، الحلقة الثانية، 2003/12/5، حوارات ومقابلات،www.daralhayat.com

378 سبق تأسيس الجامعة في غزة تأسيس عدة جامعات في الضفة الغربية: بيت لحم 1973، بيرزيت 1976، النجاح في نابلس 1977، الخليل 1980.

عينّ ياسر عرفات (بوصفه رئيس اللجنة التنفيذية لمنظّمة التحرير الفلسطينية) اللجنة المؤسسة للّجامعة بناء على اقتراح من إخوان غزة وضمّت عددًا من الإخوان وأنصارهم. وحين بدأ البحث عن رئيس لها نشب صراع عنيف بين الإخوان وفتح انتصر فيه الإخوان. إكتسبت الجامعة أهمية كبيرة بسبب تدفّق آلاف الطلاب من غزة والضفة عليها، وبسبب دعم الإخوان خارج غزة للمشروع. وأصبح للإخوان المسلمين نفوذ واسع في الجامعة، إذ عملوا على توظيف أعداد كبيرة من عناصرهم ومؤيديهم مما مكّنهم من السيطرة على الجامعة وإدارتها. وفي عام 1982، تسلّم الإخوان رئاسة الجامعة من خلال الدكتور محمد صقر. وحقّق الإخوان فوزًا في كلّ انتخابات تجري لمجلس الطلبة في الجامعة.[379] وكانت الكتلة الإسلامية في الجامعة الإسلامية تسيطر على مجلس اتّحاد الطلبة منذ تأسيسها بنسبة 70 % من الطلاب.[380] ولذلك لم يكن غريبًا أن نجد أن من ترأس الكتلة الإسلامية، كانوا عددًا من أفراد الإخوان البارزين الموزّعين على المناطق الجغرافية في قطاع غزة والذين صاروا في أغلبهم من قادة حركة حماس.

في الأعوام من 1982 إلى 1987، دارت صراعات عنيفة في الجامعة الإسلامية بين منظّمة التحرير (فتح والشعبية والديمقراطية) من جهة، والإخوان المسلمين من جهة أخرى. واستخدم العنف خصوصًا في عامي 1984-1985 و1986-1987. كما دار صراع مع الجماعة الإسلامية (الإطار الطلابي لحركة الجهاد) وزّع الإخوان المسلمون خلاله بيانات تتّهم الجهاد بأنها شيعية عميلة لحركة أمل (وكانت حرب المخيمات مشتعلة). في الحقيقة كان الصراع يتجاوز موضوع الجامعة إلى موضوع الوجود الحركي لجماعة الإخوان في القطاع كقوة صاعدة في بداية الثمانينات. وتمت السيطرة التامة للإخوان على الجامعة على الرغم من أن التمويل الرئيسي لميزانية المؤسسة كان يأتي من منظّمة التحرير الفلسطينية، ومصدره مساعدات الدول النفطية العربية لسكان الضفة الغربية وقطاع غزة، والتي كانت تقررت منذ سنة 1978 واستمرت خلال السنوات التي تلتها. ومع تقليص المساعدات العربية لمنظّمة التحرير، طرأ تغيير كبير في ميزانية الجامعة التي صار تمويلها من مصادر خارجية مثل الحركة الإسلامية في الأردن، ومنظّمة المؤتمر الإسلامي، ورابطة العالم الإسلامي في السعودية، وهذا جعل الحركة الإسلامية في الأردن هي التي تتحكّم في تعيين مجلس أمناء الجامعة بصفتهم المسؤولين عن جمع الأموال من مصادر خارجية. وقد عينّ الدكتور محمد صقر، أحد رجال الحركة الإسلامية في الأردن، رئيسًا للجامعة واستمرت رئاسته سنة واحدة وبعدها منع الحكم العسكري الإسرائيلي استمرار بقائه في قطاع غزة. وبعد 1985، أصبحت الجامعة الإسلامية

379 النواتي، حماس من الداخل، مرجع سابق، ص 112-117.

380 تيسير جبارة، دور الحركات، مرجع سابق، ص 15.

معقل النشاطات الإسلامية في قطاع غزة بفضل الحضور الكبير لأعضاء الحركة والسيطرة على ميزانية المؤسسة (1.2 مليون دينار في سنة 1986).

5- المواجهة في الجامعة مع حركة فتح[381]

من شهادة إسماعيل الخالدي نقتطف هذا المقطع عن الصراع بين حركتَي فتح وحماس في الجامعة الإسلامية:

(...) حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح ذات جذور إسلامية، وجلّ قيادييها كانوا جزءًا من تنظيم جماعة الإخوان المسلمين، وبينهم وبين دعاة الإسلام صلات قوية، وزمالة عمل وكفاح مشترك لسنوات طوال. وقد بقي عدد كبير منهم على صلة ود طيب واحترام متبادل مع الإسلاميين، الذين شاركوهم أيامًا حلوة ومرّة في ميادين كثيرة، رغم تغيّر وجهتهم، والمبادئ العلمانية التي يرفعونها، والتي رفضها الإسلاميون... ولكن لم يلبث أن دخل حركة فتح بعض الحثالات القذرة، ذات الاتجاه اليساري، التي تكره الإسلام ودعاته، وتفضّل أن تحاربهم قبل محاربة إسرائيل، وقد استطاع هؤلاء أن يؤثّروا على مواقف كثيرة لقياديي فتح، ودفعوهم إلى الوقوف في الصف المعادي للإسلام ودعاته. ففي قطاع غزة عندما قامت المواجهة بين الشيوعيين والإسلاميين على إدارة الهلال الأحمر الفلسطيني، خاض الإسلاميون المواجهة متعاونين مع رجال فتح، حتى خُيّل للناس أن فتح والإسلاميين صف واحد، ووجهان لعملة واحدة، وقد وقف الشباب المسلم لحماية الأستاذ أسعد الصفطاوي ممثل فتح في قطاع غزة عندما همّ الشيوعيون بالاعتداء عليه، ويعلم الجميع موقف الشيخ خليل القوقا ودفاعه عن أسعد الصفطاوي عندما احتدم الموقف وقت الانتخابات.

وما هي إلا سنوات قليلة حتى استطاع أحد اليساريين الذين دخلوا فتح أن يثير نار الفتنة بين فتح والإسلاميين، وأن يجنّد أعدادًا من أعوانه (شبيبة فتح)، ينفث فيهم حقده الدفين، وبغضه الشديد للإسلام ودعاته، حتى جعل البأس شديدًا بين الطرفين، وبدأت المعركة بين جيل جديد من فتح والإسلاميين، لم تكن بينهم أخوّة قديمة، ولا زمالة كفاح وجهاد، وأدار المعركة ذلك الخبيث الماكر -الذي اشتهر بين الغزيين بسرقته للطحين عندما تولىّ في سلطة فتح منصبًا كبيرًا وعصفت نار حقده بالعلاقات الطيبة، والتقدير القديم المتبادل، ليحلّ محلّها التناحر والتباغض، ضاربًا بمصلحة الوطن والأمة عرض الحائط.

381 إسماعيل عبد العزيز الخالدي: مرجع سابق، ص 143-142.

وما زال يثير غبار الشبهات، وظلم الاتهامات، حتى زيّن لأبي جهاد خليل الوزير الموافقة على إصدار أمر باغتيال الوطني المخلص، والمسلم الغيّور الدكتور إسماعيل الخطيب الذي كان في ذلك الحين قائمًا بأعمال مدير الجامعة الإسلامية بغزة، ظنًا منه أن قتل ذلك الإنسان سيعطيه الفرصة للتصرّف بإدارة الجامعة كما يحلو له، ولكن ذلك لم يحدث، وبقيت إدارة الجامعة إسلامية، «والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون». وقد جاءت جريمة اغتيال الدكتور إسماعيل الخطيب بنتيجة عكسية تمامًا، فقضى ذلك العمل الإجرامي الخياني على شعبية فتح في قطاع غزة. فبعد أن كانت المنظّمة العاقلة المتروية، ذات الشعبية العريضة، أصبحت لا تختلف عن غيرها من المنظّمات، بل نزلت شعبيتها إلى درجة كبيرة جدًا، ولولا المستوى المالي الكبير الذي تتمتع به لاندثرت وانتهت...

6- التيار الإسلامي والجامعات في الضفة الغربية

في الفترة نفسها، عرفت الضفة الغربية انتشارًا واسعًا للتيار الإسلامي لعلّه كان نتيجة لازدياد عدد الطلاب المحليين القادمين من الريف التقليدي المحافظ إلى الجامعات الحديثة، ذات الطابع الوطني واليساري الواضح مثل جامعة بيرزيت.. وفي بداية الثمانينات توصّل التيار الإسلامي إلى التساوي في أحيان كثيرة في مجالس الطلبة مع الكتلة الوطنية المتحدة تحت عنوان منظّمة التحرير. ترافق ذلك مع موجة عارمة من إنشاء المساجد الجديدة وإغلاق قاعات عرض السينما وظاهرة العودة الجماعية للدين، الأمر الذي كان يتسارع ويتزايد أيضًا في أراضي 48 وفي بقية البلدان العربية على وجه العموم.

ويبدو أن صعود قوة التيار الإسلامي في الضفة الغربية وقطاع غزة جاء لموازنة صعود اليمين المتطرّف إلى السلطة في إسرائيل بعد العام 1977، وما رافقه من تصاعد لعملية الاستيطان اليهودي خصوصًا مع بروز «غوش إيمونيم»، ومع اندلاع المواجهات مع المستوطنين حول المسجد الأقصى والحرم الإبراهيمي.

برزت الكتل الطلابية الإسلامية إلى ساحة العمل الطلابي في جامعات الضفة الغربية وقطاع غزة، وساعدها في شق طريقها تراجع الطروحات اليسارية والقومية، وصعود الجماعات الإسلامية الجهادية في مصر، وقيام ثورة إسلامية في إيران، وبروز ظاهرة الجهاد الأفغاني[382]. وبرأيي إن تطوّرات الوضع اللبناني خلال الحرب الأهلية كان لها انعكاسات وتأثيرات قوية على شباب فلسطين المحتلّة. وأخذت الكتل

382 النواتي، حماس من الداخل، مرجع سابق، ص388، وللمزيد انظر أيضًا: خالد الحروب، حماس: الفكر، مرجع سابق، ص 32، وخالد مشعل يتذكّر، مرجع سابق، الحلقة الثانية.. دار الحياة، حوارات ومقابلات 2003/12/5.

الإسلامية تتشكّل في جامعات الضفة الغربية، وتخوض الانتخابات وتحقّق نسبًا متقدّمة. وكمثال على ذلك، حصلت الكتلة الإسلامية في جامعة بيرزيت عام 1979 على 43 % من أصوات الطلاب. أما في جامعة النجاح، ففازت الكتلة الإسلامية عام 1979 بعشرة مقاعد من أصل أحد عشر مقعدًا، وفي العام 1980 حازت على خمسة مقاعد فقط، وعادت في العام 1981 للاستئثار بجميع المقاعد الأحد عشر[383].

تحرّك الشيخ أحمد ياسين نحو الضفة الغربية والأردن، وأفلح في إيجاد قنوات اتّصال مع الإخوان المسلمين في الضفة الغربية.[384] بالتوازي مع ذلك قامت في الخارج عام 1977قائمة الحق الإسلامية، كإحدى قوائم اتّحاد طلبة فلسطين في جامعة الكويت، وكان أول رئيس لها خالد مشعل.[385] جرى تحويل اسمها إلى الرابطة الإسلامية لطلبة فلسطين في جامعة الكويت[386]. وفي بريطانيا قامت عام 1979 رابطة الشباب المسلم الفلسطيني، وتأسّس في أميركا الشمالية 1980 وكندا 1981 الاتّحاد الإسلامي لفلسطين وشارك فيه عام 1983 موسى أبو مرزوق.[387]

383 ناصر الدين الشاعر: عملية السلام الفلسطينية-الإسرائيلية، وجهة نظر إسلامية، أوراق في الفكر والسياسة الإسلامية الفلسطينية المعاصرة (1)، ط 1، فلسطين، نابلس، مركز البحوث والدراسات الفلسطينية، دائرة السياسة والحكم، مارس/ آذار 1999، ص 21.

384 النواتي، حماس من الداخل، مرجع سبق ذكره، ص 14.

385 خالد عبد الرحيم إسماعيل عبد القادر مشعل «أبو الوليد»، ولد 28 أيار/مايو في قرية سلواد قضاء رام الله بفلسطين، وتلقّى التعليم الابتدائي فيها حتى عام 1967. هاجر مع أسرته إلى الكويت، وأكمل هناك دراسته المتوسطة والثانوية، ثم الجامعية حتى حصل على البكالوريوس في الفيزياء من جامعة الكويت التي كانت في سبعينات القرن الماضي تعج بالتيارات الفكرية العربية والفلسطينية، وساهمت بشكل كبير في تكوين شخصيته وتنمية ملكاته، فقاد التيار الإسلامي الفلسطيني فيها. وشارك في تأسيس كتلة الحق الإسلامية التي نافست قوائم حركة فتح على قيادة الاتّحاد العام لطلبة فلسطين في الكويت، تلك الكتلة التي سرعان ما تحولت بعد تخرجه إلى ما عرِف بالرابطة الإسلامية لطلبة فلسطين. وتخرج مشعل في عام 1978 وعمل مدرسًا للفيزياء في الكويت.

يحمل خالد مشعل إجازة في القرآن الكريم وقد تتلمذ في سورية على أيادي كبار شيوخها. **إنضم** إلى تنظيم الإخوان المسلمين عام 1971، وكان له دور كبير في انتماء العديدين للتنظيم الذي تبوأ فيه أعلى المناصب. شارك في تأسيس حركة المقاومة الإسلامية-حماس عام 1987. وانضم إلى مكتبها السياسي منذ تأسيسها، ولدى عودته إلى الأردن أصبح عضوًا نشيطًا فيها حتى انتخب عام 1996 رئيسًا للمكتب السياسي للحركة. في 25 كانون الأول/سبتمبر 1997 استهدفه الموساد الإسرائيلي بحقنة سامة أثناء سيره في شارع وصفي التل في عمّان. إكتشفت السلطات الأردنية محاولة الاغتيال وقامت بإلقاء القبض على اثنين من عناصر الموساد المتورطين في المحاولة. وطلب الملك حسين من رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو المصل المضاد للمادة السامة التي حقن بها مشعل، فرفض نتنياهو مطلب الملك حسين. وتدخّل الرئيس الأميركي بيل كلينتون وأرغم نتنياهو بتقديم المصل المضاد للسم المستعمل. قامت السلطات الأردنية فيما بعد بإطلاق سراح عملاء الموساد مقابل إطلاق سراح الشيخ أحمد ياسين المحكوم بالسجون الإسرائيلية مدى الحياة. **وفي** آب/أغسطس 1999 قامت السلطات الأردنية بإبعاده من الأردن مع آخرين من قيادات الحركة. وفي 23 آذار/مارس 2004 أعلنت حماس خالد مشعل رئيسًا للحركة خلفًا لمؤسسها بعد اغتيال إسرائيل الشيخ احمد ياسين والدكتور عبد العزيز الرنتيسي.

386 خالد مشعل يتذكر، الحلقة الثانية، مرجع سابق.

387 الدكتور موسى محمد محمد أبو مرزوق، ولد في العام 1951 في مخيم رفح الفلسطيني بمدينة غزة. كانت عائلته تسكن في قرية يبنا القريبة من مدينة المجدل عسقلان وهجّرت بعد النكبة الفلسطينية عام 1948 إلى مدينة رفح. درس المرحلة الأساسية في قطاع غزة، ثم درس في العام 1975 الهندسة الميكانيكية في جامعة حلوان في مصر.

وكانت نشأة هذه الرابطات تعبيرًا عن بحث الشباب الفلسطيني في الشتات عن دور في ساح العمل الفلسطيني[388].

أدت المنافسة بين حركة الإخوان ومنظّمة التحرير الفلسطينية على قيادة الشارع الفلسطيني في الجامعات والمدارس الثانوية والمؤسسات في الضفة الغربية وقطاع غزة إلى اتّهامات، وصلت إلى حد وصف الإخوان المسلمين من قبل فصائل منظّمة التحرير الفلسطينية بالتخاذل وعدم المشاركة في مواجهة الاحتلال الصهيوني[389]. ألقت هذه الاتّهامات بظلالها على الإخوان المسلمين مما دفع الشباب للضغط على قيادة الحركة لانتهاج الجهاد وسيلة للمواجهة[390]، في حين أن قيادة الحركة رأت التريث وعدم الانجرار وراء هذه الاتّهامات، لأن من شأن ذلك أن يؤثّر على النهج السليم الذي سيؤدي بالحركة إلى تحقيق أهدافها. واستمر الجدل بين الإخوان المسلمين وفصائل منظّمة التحرير، وأصرّ كلّ على مواقفه حيال التعامل مع الاحتلال الصهيوني في تلك المرحلة.[391] وكثيرًا ما اعترض أنصار منظّمة التحرير الفلسطينية على مبالغة الإخوان المسلمين في دورهم النضالي ضد الاحتلال، وذلك بإشارة الإخوان إلى دور الحركة الإسلامية في لبنان في مقاومة الاحتلال الصهيوني للجنوب اللبناني، واغتيال الرئيس المصري أنور السادات، وبعض العمليات العسكرية التي جرت في الضفة الغربية وقطاع غزة قبل عام 1987. فالمقاومة في لبنان لحزب الله، والذي اغتال السادات جماعة الجهاد المصرية، أما العمليات العسكرية في فلسطين والمشار إليها فإنها من فعل حركة الجهاد الإسلامي.

أما حديث الإخوان المسلمين عن دورهم في حرب عام 1948، فقد وصفه أنصار منظّمة التحرير بأنه تشدّق مستمر، وتساءلوا عن دور الإخوان في كلّ السنين التي تلت تلك الفترة.[392] رد الإخوان على هذه الاعتراضات بأنه أيًا كانت الأقوال عن انتماءات هؤلاء الإخوة من ناحية تنظيمية، فهم في كلّ الأحوال نتاج طبيعي للحركة الإسلامية فكرًا وحركة وجهادًا.[393] وخلاصة القول في كل ما سبق، إن الإخوان شقوا طريقهم من

ثم حصل على درجة الماجستير في إدارة الإنشاءات في العام 1984 من جامعة في الولايات المتحدة، ثم على دكتوراه في الهندسة الصناعية في العام 1992. يعتبر الدكتور موسى أحد مؤسسي الجامعة الإسلامية في غزة. ونشط في العمل الإسلامي منذ العام 1968 وشارك فتحي الشقاقي ورفاقه في أولى حلقات الإخوان في غزة ثم في مصر. جرى انتخابه أول رئيس للمكتب السياسي لحركة حماس في العام 1992. ثم كنائب لرئيس المكتب السياسي بعد الإفراج عنه عام 1997.

388 خالد مشعل يتذكر، مرجع سابق.

389 النواتي، حماس من الداخل، مرجع سابق، ص 17.

390 المرجع نفسه، ص 18.

391 المرجع نفسه.

392 زياد أبو عمر: الحركة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة، عكا-فلسطين، دار الأسوار الطبعة الثانية1989، ص 66.

393 فتحي يكن: الحقيقة الغائبة، صوت الحق والقوة والحرية (2)، لا تاريخ ولا مكان نشر، ص 52.

جديد بعد عام 1967 على مراحل أولاها، المساجد، وثانيها المؤسسات، إلى جانب الرحلات والمهرجانات ونشر الكتب الإسلامية،[394] وصولاً إلى المقاومة الإسلامية.

7- الوضع العسكري في غزة 1971-1981

شهدت السنوات الأولى بعد النكسة مرحلة عودة التعاون مع حركة فتح من خلال قواعد الشيوخ في الأردن (1968-1970). لكن أحداث أيلول ثم وفاة عبد الناصر فانقلاب الأسد في سورية خلق وضعًا جديدًا حوصرت فيه حركة فتح في الضفة وغزة فلجأت إلى لبنان وغرقت في تناقضاته. ومع خروج الإخوان من السجون المصرية 1971 تدفّق الشباب عليهم طلبًا للبديل فكانت مرحلة عاصفة من الحوارات والنقاشات والتفاعلات داخل الإخوان استمرت حتى العام 1977 تاريخ وصول الليكود إلى الحكم. فبين أعوام 1967 و1977 تمتّع الفلسطينيون في غزة بوضع اقتصادي شبه مستقر وشبه جيد ناجم عن تدفق العمالة الغزاوية إلى اسرائيل بعد فتح الحدود (وبعد التحرّر من القمع المصري) وتمدّد التسوّق الإسرائيلي في غزة، والانفتاح على الضفة الغربية وجمع شمل العائلات، وتدفّق عائدات العمالة الخليجية... وكانت سياسة إسرائيل في غزة تتسم بتجاهل حركة الإخوان والتركيز على ضرب قوى الجبهة الشعبية وقوات التحرير الشعبية (وهما ورثتا القوميين العرب والناصرية) وحركة فتح وروابطها.

سمح ذلك للشيخ أحمد ياسين بنيل تراخيص رسمية للعمل الاجتماعي والدعوي تحت أسماء مختلفة، لكن السياسة الإسرائيلية الانفتاحية خلقت في المقابل شعورًا بفقدان الكرامة الوطنية من جهة، وبالتعرّض لغزو فكري ثقافي تغريبي من جهة أخرى، الأمر الذي أدى إلى تبلوردة الفعل الأصولية المحافظة في خطاب الهوية الدينية، خصوصًا مع تصاعد حمى هذا الخطاب في المحيط المباشر (مصر أولاً حيث تدفّق الطلبة الغزاويون للدراسة في جامعاتها، ثم لبنان حيث حلّت قوات الثورة الفلسطينية منذ العام 1971). وجاءت أحداث لبنان 1973 و1975-1976، وأحداث مصر (صالح سرية) ثم زيارة الرئيس السادات للقدس (1977)، وانقسم الوضع العربي على وقع صعود اليمين الإسرائيلي الذي سدّد ضربات قوية وموجعة لمنظّمة التحرير في لبنان (أهمها غزو واحتلال جنوب لبنان في آذار/مارس 1978) والخارج (اغتيال عدد من قادة وكوادر الثورة). توجّت تلك المرحلة بتوقيع اتفاقية كامب ديفيد (1979/3/26).

394 تيسير جبارة: مرجع سابق، ص16 .

في هذه الأجواء، سمح الليكود ببناء أول مستوطنة في غزة. وجاء الانسحاب الإسرائيلي من سيناء بموجب كامب ديفيد ليؤدي إلى نشر القوات الإسرائيلية المنسحبة حول غزة التي صارت بذلك هي الحدود بين مصر وإسرائيل ومركز الحشد الإسرائيلي العسكري. ومع وصول آرييل شارون لمنصب وزير الدفاع (1981)، تشكّلت قوات خاصة من الجيش الإسرائيلي (القبعات الحمر) وأُعطيت أوامر بإذلال الناس وإهانتهم على الحواجز التي ازداد عددها خصوصًا في وجه انتقال الطلاب الثانويين والجامعيين بين القطاع والضفة وداخل القطاع نفسه، والضغط العنيف عليهم لمنعهم من مساندة العمليات الفدائية. وهكذا صارت غزة سجنًا كبيرًا. ولم يعد سهلاً السفر إلى مصر أو منها إلى غزة، وتم منع السفر إلى الأردن والتضييق على دخول العمال الغزاويين إلى إسرائيل باستثناء السماح لهم بالعمل في بناء المستوطنات ما ضاعف من الشعور بالمهانة. ثم كانت حرب غزو لبنان صيف 1982 ما فجَّر مشاعر الفلسطينيين ضد الاحتلال.

8- الإخوان المسلمون يتجهون إلى العمل العسكري

إتجه الشيخ أحمد ياسين نحو شراء السلاح وتخزينه سرًّا منذ العام 1980 ولمدة ثلاث سنوات[395]. وبما أن خبرة الإخوان المسلمين في حقل تجارة السلاح محدودة وضعيفة، انكشفت الخلية واعتقل أعضاؤها وعلى رأسهم الشيخ أحمد ياسين الذي حُكِمَ عليه بالسجن 13 عامًا، وعبد الرحمن تمراز، 11 عامًا، والدكتور محمد شهاب، 10 أعوام، والدكتور إبراهيم المقادمة، 8 أعوام، وصلاح شحادة، عامان ونصف، وحرب مهرة، 4 أعوام، ومحمد سمارة، 3 أعوام. وقد أُفرج عنهم في صفقة تبادل الأسرى عام 1985.[396]

قام الشيخ أحمد ياسين حال خروجه من السجن، بتأسيس جهاز أمني أسماه «مجد» كبداية استعداد للعمل العسكري. إتسع هذا التنظيم مع مباشرته عمله خلال عام ونصف من قيامه. مع بداية الانتفاضة كان هذا التنظيم جاهزًا للقيام بعمله الأمني الجهادي. ثم شكّل الشيخ ياسين جهازًا عسكريًا جديدًا ومنفصلاً عن مجد مع إمكانية التنسيق بينهما، وكلّف صلاح شحادة بقيادة التنظيم الجديد الذي أُطلق عليه اسم «المجاهدون الفلسطينيون»[397]. قام صلاح شحادة بتجنيد عناصر جديدة كان من بينها محمد المصري الذي عُرف فيما بعد بـ«الضيف»

395 خالد مشعل يتذكر، مرجع سابق.

396 النواتي، حماس من الداخل، مرجع سابق، ص 69.

397 المرجع نفسه، ص 70.

والذي صار المطلوب الأول للكيان الصهيوني بعد اغتيال يحيى عياش.[398] ومما يدل على فاعلية جهاز مجد اعتراف بعض أعضاء حركة حماس الذين حُقِّق معهم في السجون الصهيونية أن الجهاز باشر أعماله منذ العام 1985[399].

9- فاصلة عن الشيخ عبد الله عزام

ولد الشيخ عبد الله يوسف من عشيرة العزّام، في قرية السيلة الحارثية (جنين شمال وسط فلسطين) في العام 1941. والتحق بكلّية الشريعة في جامعة دمشق حيث نال شهادة الليسانس بتقدير جيد جدًا عام 1966، ثم عمل مدرّسًا في إحدى المدارس الثانوية في عمّان (1966-1967). وخلال العامين (1967-1968) كان مدرّسًا في السعودية حين احتُلت قريته وسقطت الضفة الغربية وقطاع غزة في حرب 1967، فقرّر أن يعود إلى الأردن ليلتحق بقواعد «الشيوخ» التي شكّلتها حركة فتح من الشباب الإخواني والإسلامي. وصار قائدًا لقاعدة بيت المقدس في مرو. ويبدو أنه اشترك في عدد من العمليات الكبيرة أشهرها «عملية المشروع أو الحزام الأخضر»، وعملية في 28 أيار/مايو 1968 (تحدّثت عنها زوجته بعد مقتله)، وعملية في 5 حزيران/يونيو 1970.[400]

حصل على درجة الماجستير في أصول الفقه عام 1969، ودكتوراه في الفقه من كلّية الشريعة والقانون في جامعة الأزهر في القاهرة سنة 1972 عن رسالة بإشراف الشيخ الدكتور عبد الغني عبد الخالق حملت عنوان «دلالة الكتاب والسنّة على الأحكام من حيث البيان والإجمال أو الظهور والخفاء». وذكر عنه إبراهيم غرايبة في كتابه «القافلة والسراب:

> (...) كان عبد الله عزّام من أهم قادة السبعينات وقد انتخب وكيلاً لجماعة الإخوان المسلمين في الأردن بعد عودته من مصر (1972)؛ وكان معجبًا بفكر سيد قطب ولا يخفي استياءه من كتاب «دعاة لا قضاة» لمرشد الإخوان حسن الهضيبي... عمل عزّام على تنمية اتّجاه جديد في الجماعة مبني على فكر سيد قطب وبرامج تربوية جديدة اتّخذت طابع التدريب الرياضي وإقامة المخيمات التربوية والتدريبية والعمل في المساجد بكثافة...

398 المرجع نفسه، ص 71.

399 نشرة حماس في الذكرى الثانية للانطلاقة، كانون الأول 1988، غزة، ص 12.

400 من مقالة للشيخ الدكتور أبو مجاهد وهو ابن اخت عزام، افتتاحية جريدة اللهيب الأردنية، العدد 80، بتاريخ 1989/12/2، تحت عنوان «شهيد أحيا الجهاد بدمه».

وكان هناك دور كبير في العمل معه للمشاركين في معسكرات الجهاد مثل أحمد نوفل...

عام 1978 انتخبت الجماعة مجلس شورى ومكتبًا تنفيذيًا جديدَين وبدأت عملية مراجعة لمنهج سيد قطب والتكفير وتجهيل المجتمع والتعامل مع الحكومات والمجتمعات؛ وخفّت كثيرًا المنهجية التي كان رائدها عبد الله عزّام في السنوات السابقة... وبدأ عبد الله عزام يتعرّض لتضييق تنظيمي كبير وحصار شخصي ثم فُصل من عمله في الجامعة الاردنية... ويروي عبد الله عزّام في مذكّراته قصصًا وأمثلة كثيرة من الاستبعاد والإيذاء وسوء المعاملة التي كان يتعرض لها... (من قبيل)... إقصائه عن الأقسام التنظيمية والدعوية والمحاضرات والاجتماعات وعن كلّ المسؤوليات التنظيمية والإدارية... وهذا ما دفع به لترك الأردن للتدريس في السعودية ثم باكستان حيث تفرّغ للقضية الأفغانية منذ العام 1986[401]...

عمل عزّام محاضرًا في كلية الشريعة في عمّان (1973-1980)، إلا أنه فُصل من الجامعة الأردنية بقرار من الحاكم العسكري الأردني العام، فانتقل إلى جامعة الملك عبد العزيز في جدة (1981) ثم إلى الجامعة الإسلامية الدولية في إسلام آباد، كمنتدب للعمل هناك، ولكي يكون قريبًا من الجهاد الأفغاني على حد قوله. وفي العام 1984، انتقل رسميًا من جامعة الملك عبد العزيز ليتفرّغ للعمل كمستشار للتعليم في الجهاد الأفغاني، وليؤسّس «مكتب خدمات المجاهدين»، الذي استقطب العرب القادمين للمشاركة في الجهاد الأفغاني، وليصدر عن المكتب مجلة «الجهاد» الشهرية (صدر منها 62 عددًا تحت إشرافه)، ومجلة «لهيب المعركة» الأسبوعية (صدر منها 79 عددًا تحت إشرافه، وحمل العدد 80 افتتاحية له يوم اغتياله في 1989/11/24).

كان الهدف من تأسيس مكتب خدمات المجاهدين المساهمة في نقل قضية الجهاد من قضية أفغانية إلى قضية إسلامية عالمية، والتعريف بها وبالمجاهدين، وإقامة دورات تدريب تربوية للقادة، وفتح المدارس، وإشراك العرب والمسلمين بالجهاد، وتزويد قوافل المجاهدين والجبهات بكلّ ما تحتاجه من الذخائر والأطعمة والألبسة والفراش إلخ، والاعتناء بالجرحى وإنشاء المستشفيات والمراكز الطبية والمختبرات، والعناية بأسر الشهداء والأيتام والأرامل، وتشكيل لجنة العلماء لإصدار الفتاوى واستنهاض الهمم واستنفار المسلمين في العالم لدعم الجهاد الأفغاني ودحض الآراء المخالفة للجهاد.

---

401 إبراهيم غرايبة: «القافلة والسراب»، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، عمّان 2014 ؛ الصفحات 70-78.

وقد بيّنت زوجة الشيخ عزّام أن مؤلّفاته بلغت 15 كتابًا وكتيبًا وأنه كان صاحب كتاب «الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية» الصادر باِسم صادق أمين.[402] وأول كتبه «العقيدة وأثرها في بناء الجيل»[403] وفيه إثبات مذهب السلف باعتبار أنه «أسلم ولو أن طريقة الخلف أحكم»، ثم كتاب «السرطان الأحمر»[404] وهو كما يظهر من العنوان لدحض الماركسية وفضح الشيوعية والشيوعيين (وفيه فصلان عن الأحزاب الشيوعية العربية وقضية فلسطين)، وكتاب «الإسلام ومستقبل البشرية» وهو كما يبدو من العنوان يستوحي كتابات سيد قطب.[405] ولعل أبرز كتبه هو كتاب «آيات الرحمن في جهاد الأفغان»، [406] ثم كتاب «عبر وبصائر للجهاد في العصر الحاضر»،[407] وفيه عرض لمبررات الجهاد والقتال ولدور العرب في أفغانستان وللمشاكل الداخلية والخارجية التي تواجّه الجهاد الأفغاني، وكتاب «الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض العيان»[408] وهو عبارة عن فتوى عرضها الشيخ عزّام على علماء الأمة وأيدوها وهم عبد العزيز بن باز، عبد الله علوان، سعيد حوّى، محمد بخيت المطيعي، حسين حامد حسان، عمر سيف، محمد بن صالح بن عثيمين. كما عرضها الشيخ في خطبة منى في موسم الحج 1404 هجرية ولم يعترض عليها أي من علماء العالم الإسلامي. والفتوى تتعلّق بجهاد الكفر وهو نوعان: جهاد الطلب أي طلب الكفّار في بلادهم والقتال فيه فرض كفاية، وجهاد الدفع أي دفع الكفّار عن بلادنا وحكمه فرض عين.

وأهم مؤلفاته كتابه عن «حماس: الجذور التاريخية والميثاق»[409] حيث يحلّل القضية الفلسطينية ويستعرض ثورات فلسطين ويربطها بضرب الإخوان في مصر (خصوصًا إعدام سيد قطب) ليصل إلى ذكر قواعد الشيوخ في الأردن وهي 4 قواعد عسكرية شاركت في معركة روتمبرغ ومعركة 5 حزيران 1970 وعمليات سيد قطب والحزام الأخضر والأرض الطيبة... إلخ، إلى أن يصل إلى تأسيس حماس ويستعرض ميثاقها الصادر في 18 آب 1988 والذي تقول فيه إنها الجناح العسكري للإخوان المسلمين.

---

402 مقابلة في مجلة «المسلمون» رقم 254 بتاريخ 1989/12/15.

403 صفحة 181، طبع عدة طبعات، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية من دون بيانات.

404 صفحة 191 قطع صغير، طبع عدة طبعات؛ الطبعة الأولى، مكتبة الأقصى، عمّان الأردن 1980.

405 صدر عام 1980 بمئة وصفحتين من القطع الصغير وطبع عدة طبعات، (الطبعة الثانية نشر وتوزيع مركز شهيد عزّام الإعلامي؛ بيشاور-باكستان).

406 صفحة 201، وفيه مقدّمة كتبها الشيخ عبد رب الرسول سياف أمير الجهاد الأفغاني يومذاك. أنظر الطبعة الخامسة، دار المجتمع-جدة، 1985.

407 صفحة 216، الطبعة الثانية، مكتبة الرسالة الحديثة، عمّان الأردن، 1986.

408 صفحة 136، الطبعة الثانية، مكتبة الرسالة الحديثة، عمّان الأردن، 1985.

409 نشر وتوزيع مكتب شهيد عزّام الإعلامي، بيشاور- باكستان، الطبعة الأولى: أيار 1989، 150 صفحة.

لدى خروج السوفيات من أفغانستان دبّت الخلافات والنزاعات بين الفصائل الجهادية الأفغانية وكان عزام -بخلاف أسامة بن لادن وأيمن الظواهري- يصرّ على عدم التدخل في تلك الصدامات والانحياز إلى طرف دون آخر.

وفيما كان الظواهري وبن لادن يريان أن الحكومات العربية والولايات المتحدة الأميركية يجب أن تكون الهدف التالي، كان عبد الله عزّام يعتقد أن فلسطين يجب أن تكون قبلة المجاهدين المسلمين. وبدأ عزام بالفعل بالإعداد لذلك من خلال تدريب عناصر في أفغانستان وباكستان استعدادًا لإرسالهم إلى فلسطين للقتال مع حماس، إلا أن اغتياله حال دون حصول ذلك. وهذا ما يجعل بعض المراقبين يعتقدون بأن إسرائيل قد تكون ضالعة في اغتياله، خصوصًا بعد انكشاف تدريبه للمهندس الفلسطيني سليمان الزهيري (من حركة الجهاد الإسلامي) المسؤول عن محاولة نسف مقر رئاسة الحكومة الإسرائيلية في شهر آب/أغسطس 1987، والذي أوكلت إليه مهمة تجهيز السيارة المفخخة في باكستان، حيث استقبله الشيخ عبد الله عزّام.

إغتيل عبد الله عزّام في 24 تشرين الثاني/نوفمبر 1989، بانفجار سيارته. ودفن يوم وفاته في باكستان وفتح باب العزاء له في قرية قم[410] بالأردن حتى أن شيخ عشيرة العزّام في الأردن إبراهيم ناجي باشا العزّام تقبّل التعازي به من الملك حسين.

وبحسب إبراهيم غرايبة، «بعد مقتله نسبت وسائل الإعلام الكثير مما يحدث إلى عبد الله عزام... وفي حقيقة الأمر، فإنه لم يكن له علاقة بذلك؛ فقد كان الشيخ بحكم تجربته العسكرية والتدريبية في معسكرات الشيوخ يُدرك ويعتقد أن العمل العسكري لا يمكن أن يتم سرًا من وراء ظهر الحكومات والدول... وطالما كان يردد باستمرار مقولة لا سرّية في الجهاد... وحرص الشيخ أن يُفهم الحكومات العربية والاسلامية بأن عمله إغاثي إنساني ولا علاقة له بعمل عسكري منظم أو حرب عصابات أو ما شابه...»[411]

وبحسب غرايبة أيضًا فإن الشيخ عبد الله عزام «قُتل في نهاية مرحلة وبداية مرحلة جديدة»[412].

410 تقع بلدة قم في المملكة الأردنية الهاشمية -محافظة إربد- لواء الوسطية، على بعد أربعة عشر كيلومترًا إلى الشمال الغربي من مدينة إربد، وعلى مسافة 72 كلم من عمّان.

411 إبراهيم غرايبة: «القافلة والسراب»، مرجع سابق.

412 المرجع نفسه.

10- حماس والرواية الأخرى: قصة الانتماء للإخوان بدأت بعد النكسة 67

لا يمكن فهم نشوء وتطوّر حركة حماس بمعزل عن ثلاثة عوامل رئيسية حاسمة:

1- الوضع الخاص لقطاع غزة بعد الاحتلال الإسرائيلي 1967 من جهة، وبعد خروج الإخوان من السجون المصرية 1971 من جهة ثانية، وبعد وصول الليكود إلى السلطة في عام 1977 من جهة ثالثة.

2- النمو التاريخي لتيار الجهاد الإسلامي داخل وفي محيط وخارج الحراك التقليدي للإخوان المسلمين على قاعدة حدثَين أساسيَين: إنكشاف تنظيم سيد قطب وإعدامه مع رفاقه المؤسّسين 1966 ونكسة الخامس من حزيران 1967 وتبلور تيارات جهادية شبابية وطلابية في مصر وغزة.

3- الحرب الأهلية اللبنانية 1975-1976 والثورة الإسلامية الايرانية 1978-1979 وما بينهما من تطوّر خاص شهدته الحركة الإسلامية المصرية بنشوء تنظيمَي الجماعة الإسلامية والجهاد، خصوصًا في ظل مرحلة الليكود 1977 واتفاقية كامب ديفيد 1979 واغتيال الرئيس السادات 1981.

بحسب مؤرّخي حماس، فإن الشيخ أحمد ياسين قرر إعادة بناء حركة الإخوان في غزة بعد عام 1967 وأنه اختار لذلك عشرة من غزة والقدس دعاهم إلى اجتماع لنقاش مسألة إطلاق الحركة. ولكن معظمهم لم يتحمّس للأمر وبعضهم غادر للدراسة أو العمل في الخارج[413]. غير أن دروسه وخطبه استهوت شبابًا من جيل جديد كانوا يحضرون إلى مسجده ويدعونه لزيارتهم وتحلّقوا حوله. وهذه المجموعة الأولى ضمّت اثنين من المعلمين مثله: عبد الفتاح دخان وحسن شمعة، وخمسة من الطلاب: إبراهيم المقادمة، إسماعيل أبو شنب، عبد العزيز عودة، فتحي الشقاقي، موسى أبو مرزوق. وكلّ هؤلاء درسوا في مصر لاحقًا وكان لهم دور كبير في مجتمع الطلاب الفلسطينيين هناك[414].

لكنني أعتقد أن سبب فشل المحاولة الأولى يعود إلى قرار التنظيم الدولي للإخوان التعاون مع حركة فتح في تأسيس قواعد الشيوخ في الأردن. وكان لا بد من انتظار العام 1971 حتى يعود إخوان غزة إلى اللقاء والتنظيم، بسبب هزيمة فتح في الأردن ووفاة عبد الناصر وإطلاق الرئيس أنور السادات للإخوان من السجون. لكن ورود أسماء عبد العزيز عودة وفتحي الشقاقي بين الطلاب المتحلّقين حول الشيخ ياسين جعلني أدقق في الرواية بمقارنتها برواية بعض شهود تلك الفترة وأبرزهم عودة والشقاقي نفسيهما إلى جانب الدكتور علي شكشك (مقيم في الجزائر) والدكتور

413 راجع خصوصًا رواية عزّام التميمي نقلًا عن الشيخ ياسين نفسه، مرجع سابق، ص 20-21.

414 المرجع نفسه.

بشير نافع (مقيم في الدوحة). فمن أحاديث ولقاءات مع المذكورَين[415] يتبيّن أن فتحي الشقاقي كان ميّالاً للناصرية، وله صديق اسمه محمد محسن كان أبوه إخوانيًا ويتعرّض للمضايقات إبان الإدارة المصرية للقطاع...

كانت تدور نقاشات في بيت فتحي يشارك فيها أقرانه مثل جمال أبو هاشم وخميس أبو ندا وإبراهيم معمر وتوفيق أبو عيادة وعلي شكشك وخليل الشقاقي وموسى أبو مرزوق وأحمد يوسف. وكان محمد محسن يتعاطف مع أبيه الإخواني وميّالاً لانتقاد عبد الناصر ويعزو نكسة حزيران 1967 إلى أنها انتقام ربّاني من الله للنظام الناصري بسبب تعذيب الإخوان وإعدام سيد قطب التي كانت لا تزال ذكراه حديثة العهد. وفي خضم الحوارات كان يستحضر بعض الكتب التي أخرجها أبوه من تحت الأرض بعد النكسة، حيث كانت مدفونة لإخفائها عن رجال أمن النظام المصري، ومن هذه الكتب كتب السيد سابق وسيد قطب، وكتاب كامل إسماعيل الشريف «الإخوان في حرب فلسطين». وهذا الكتاب الأخير كان بمثابة غسيل مخّ لكلّ الدعاية الناصرية وكشفًا جديدًا لهؤلاء الطلاب في تلك المرحلة التي دعتهم لنفض كلّ المقولات السابقة والتفكير على بياض.

كما كان كتاب «معالم في الطريق» كشفًا مماثلاً للتعرّف على روح سيد قطب ثمّ الإخوان، والبدء بعاصفة من القراءات والمناقشات. وفي العام 1968 بدأ البحث عن تنظيم الإخوان وتعرّف فتحي على الشيخ أحمد ياسين وجاء به إلى بيته وجلس الشباب معه. ولا يبدو أن شباب مخيم رفح هؤلاء كانوا قد استمعوا إلى أي خطبة سابقة للشيخ أحمد ياسين، أي أن التحوّل واكتشاف الإخوان حصل قبل الالتقاء معهم، وبعد ذلك كان السعي للبحث عنهم. تلا ذلك بداية تشكيل الأسر وكان الشيخ عبد العزيز عودة، الشاب الملتهب حماسًا في ذلك الوقت، خطيبًا متميّزًا.

يقول علي شكشك إنه كان عضوًا في أكثر من أسرة وكان معه في نفس الأسرة موسى أبو مرزوق وأحمد يوسف وأنه كان عضوًا في مجلس النقباء الذي كان يجتمع أسبوعيًا في بيت الحاج محمود محسن والد محمد محسن (وأحد الذين أعادوا تنظيم الإخوان في غزة مع أحمد ياسين). غادر موسى أبو مرزوق القطاع عام 1969 إلى مصر حيث كانت ظروف عائلته المادية حسنة بما أن أخاه كان ضابطًا منذ العهد المصري وخريج كلّية حربية مصرية. وهناك أكمل موسى الثانوية العامة والتحق بالجامعة[416] في حين أنهى فتحي الشقاقي دراسة التوجيهي والتحق بكلّية

415 أدين للصديق الأخ الدكتور علي شكشك مساعدتي عبر حوارات مكثفة في استرجاع ذكريات تلك الأحاديث التي جرت في فترات متقطعة أيام كنت أشارك معهم في إصدار مجلة الطليعة الإسلامية 1983-1986 ثم أيام إبعاد الدكتور فتحي والشيخ عبد العزيز إلى لبنان في آب/أغسطس 1988 حيث كنت أنا من استقبلهم وأقام لهم الخيمة في منطقة كسارة- زحلة ثم في الانتقال بعد ذلك للتمركز في بيروت والمخيمات 1988-1990.

416 يقول أبو مرزوق إن أحمد ياسين أرسله إلى مصر لدخول الأكاديمية العسكرية قبل إنهاء دراسته الثانوية،

بيرزيت وكان يأتي كلّ أسبوع محملاً بالكتب والحكايا «ينتظره الشباب كمن ينتظر ينبوع معرفة ويختطفون الكتب منه والمجلات». ويضيف شكشك: «تعرّفنا منه على التنوّع الثقافي والسياسي في الضفة مثل مقالات التحريريين خصوصًا وفكرهم... المخيم غيتو لكنه يموج بالشوق للانبثاق».

يعني باختصار، كان ذلك بعد «نكسة» 1967، وقد خرج الشباب من الوطن تباعًا. موسى أبو مرزوق 1969، علي شكشك 1971، وفتحي الشقاقي 1975. إذن الانتماء للإخوان لم يكن بسبب الاستماع لخطب الشيخ أحمد ياسين، وإنما بسبب مناخ فكري وسياسي ومعرفي تشكّل بين الشباب بعد النكسة. أما بشير نافع، فقد ترك القطاع بعد «النكسة» مباشرة إلى عمّان حيث أرسلته أسرته عند عمه الطبيب بشير نافع. وهناك التحق بأشبال فتح وعايش مجازر أيلول وكان أيضًا ملتحقًا بتنظيم الإخوان وبارزًا فيه. وقد أنهى التوجيهي وجاء إلى مصر، ولكنه بدأ الدراسة بعد عام نظرًا لتأخره، أي بدأ الدراسة عام 1971، فكان يحمل في تلك السن المبكرة تجربة متميّزة عن النموذج الإخواني. ولكنه ترك فتح، وعاد إلى الإخوان في مصر بسبب نتائج مجزرة أيلول في الأردن، ويقول أصدقاؤه إنه تأثّر كثيرًا بكتاب سيد قطب معالم في الطريق الذي أهداه إياه علي شكشك[417].

خرج هؤلاء الشباب من غزة كإخوان مسلمين، ولم يكن هناك تنظيم في البداية على الإطلاق. كانوا بضعة شباب أهمهم كان الشيخ عبد العزيز عودة وتم بناء تنظيم من الصفر. وكان صاحب الفضل الأكبر والجهد العالي فيه الشيخ عبد العزيز عودة الذي قام بتنظيم الإخوان الطلاب في خلايا في القاهرة والإسكندرية والزقازيق وشبين الكوم والمنصورة، أي أنهم كانوا منظّمين في الإخوان قبل خروجهم إلى مصر. كان معهم أيضًا إبراهيم المقادمة وأحمد الملح ويوسف رزقة وأحمد يوسف وعلي صايمة. واستمر هؤلاء الشبان في التزاور والتعاون والقراءة والحوار.

كانت الأمور صعبة في مصر تلك الأيام والإخوان كانت تهمة كبيرة. تعبير أنهم تركوا الجماعة غير دقيق... والصحيح أن الجماعة لم تحتمل نمطًا مغايرًا للنمط التقليدي الإخواني المصري الغزاوي، فيما الشباب كانوا يقرأون الفكر اليساري الجديد ويتابعون تطوّر حركة المقاومة الشعبية المسلحة والمدنية، خصوصًا في غزة. وقد كان هذا يتفاعل ببطء داخل جماعة الإخوان الذين لم يستوعبوا محاولات

ولكن حين أنهاها كانت مصر قد ألغت السماح للفلسطينيين بدخول الأكاديمية فدخل موسى كلّية الهندسة. وهو انضم في القاهرة إلى خلية إخوانية كان فيها عبد العزيز عودة وعلي شكشك. أنظر التميمي مرجع سابق، ص 23-24 مقابلة مع موسى أبو مرزوق.

417 هذه خلاصة مكثّفة، ولكن وافية لمجمل الأحاديث التي تمّت مع الإخوة الشقاقي وعودة ونافع وشكشك خلال مرحلة 1983-1988.

شعرية تتحدّث عن الحب على سبيل المثال[418]. ويبدو أن عبد العزيز عودة وفتحي الشقاقي وبشير نافع وعلي شكشك صاروا يشكّلون نواة لحالة مختلفة داخل الإخوان. تأثّر فتحي الشقاقي كثيرًا بكتاب توفيق الطيّب («الحل الإسلامي ما بعد النكبتَين»، وقد طبعته حركة الجهاد لاحقًا عدة مرات)، وهو سوري إخواني كان يحضّر الدكتوراه في ألمانيا حين أصدر كراسه بعد «نكسة» حزيران.

كانت نقاشات النواة تدور حول التناقض بين تاريخ الإخوان في فلسطين وحاضرهم الراهن. ومن هنا كانت النقطة الأولى في ما طرحه التيار الجديد (الذي أسس الجهاد لاحقًا) مركزية القضية الفلسطينية. كما تأثّرت هذه النواة بحراك الجماعة الإسلامية في جامعات مصر خصوصًا شخصيات نقابية مثل عبد المنعم أبو الفتوح وعصام العريان (وهما عادا لاحقًا إلى صفوف الإخوان، ولكنهما أثّرا كثيرًا في طلبة الإخوان الفلسطينيين في الجامعات المصرية). وكان لإخوان أردنيين جاءوا إلى مصر للدراسة دور كبير ومنهم عبد الله عزّام وأحمد نوفل وهما كانا على صلة بالطلاّب الفلسطينيين. كما تأثّر الفلسطينيون بطالب فلسطيني خرج من السجون المصرية هو عبد الرحمن بارود وكان طالب دكتوراه حين اعتُقل عام 1965.

سارت وتفاقمت الأمور حتى أخذ الشباب يطالبون بانتخابات داخلية. الشيخ عبد العزيز عوده وبشير نافع وعلي شكشك تركوا أو طُردوا من الإخوان في العام الدراسي 1974-1975 أي في السنة التي وصل فيها فتحي الشقاقي إلى مصر لدراسة الطب. ومنذ العام 1975 صارت الاجتماعات تدور حول فكرتين: 1- القضية الفلسطينية هي القضية المركزية للحركة الإسلامية، 2- كيفية بناء الطليعة الإسلامية.

بعد ذلك كانت بدايات الثورة الإيرانية ووجود مجلّة المختار الإسلامي في مصر (التي كان يصدرها الشيخ يحيى عاشور) ونشاط الجماعات الإسلامية الطلابية المستقلّة عن الإخوان في الجامعات المصرية (شكّلت حاضنة تنظيمَي الجهاد والجماعة الإسلامية). يومها تأسس في القاهرة تنظيم الطليعة الإسلامية وتنظيم طلائع الفتح (1979-1980) وهي محاولات تستوحي وتكمل محاولات الجماعة الإسلامية والجهاد المصريتَين بعد اندماجهما في تنظيم الجهاد.[419] ثم كان كتاب الدكتور فتحي الشقاقي عن الثورة الإيرانية قبل انتصارها (الخميني والحل الإسلامي البديل) وهو كتاب من القطع الصغير جمعه الأمن من السوق ونفذت منه طبعتان في أقل من شهر وقُبض على الدكتور فتحي وتقرر ترحيله، عام 1979، عام الثورة الإيرانية. وقد

418 على حد وصف شكشك، والحقيقة أن شباب الجهاد يمتازون عن حماس بالنفس الشعري الرومنطيقي والثقافة العالية والهمّ الفكري المتوتر.

419 عن هذه المحاولات، انظر كتابي: الجماعات الإسلامية والعنف، مركز المسبار، دبي، 2012.

طُرد الشقاقي بسببه من تنظيم الإخوان[420]، ورجع وعبد العزيز عودة إلى غزة في نهايات عام 1981.

11- أزمة الكويت

من المعلوم أن الاجتماع التأسيسي لحركة فتح انعقد في الكويت في منتصف عام 1957، وضمّ ممثلين عن المجموعات المختلفة: مجموعة الكويت (ياسر عرفات، خليل الوزير، صلاح خلف)، مجموعة قطر (محمد يوسف النجار، محمود عباس، كمال عدوان، رفيق النتشة)، مجموعة السعودية (سعيد المزين، معاذ عابد، أحمد وافي)، مجموعة غزة (فتحي البلعاوي، أسعد الصفطاوي، سليم الزعنون، وعوني القيشاوي). من الكويت كانت إذن انطلاقة حركة فتح، والكويت أصبحت لاحقًا ملجأً للإخوان القادمين من غزة والضفة والأردن.

عرفت الكويت صحوة إسلامية منذ مطلع سبعينات القرن العشرين عزّزها وصول عشرات الإخوان المصريين بعد قيام الرئيس أنور السادات بإطلاق سراحهم منذ عام 1971. أحد هؤلاء كان حسن أيوب الذي جذب مئات الشباب إليه عبر محاضرات وكتابات استأثرت باهتمام الجالية الإخوانية ونقاشاتها. وعلى الرغم من كونه من قدامى الإخوان المصريين في السجون الناصرية إلا أنه كان يعتبر أن زمن الإخوان ولّى، وأن المطلوب شيء جديد وبرنامج جديد[421]. وقد استقطب حسن أيوب الكثير من الشباب الفلسطيني ما أثار الذعر لدى القادة الرسميين للإخوان.

في منتصف السبعينات أيضًا تأسّست منظّمة طلابية إخوانية في الكويت، وشكّل ذلك بحسب خالد مشعل مفترقًا تاريخيًا[422]. ففي العام 1977، قرّر طلاّب الإخوان الانضمام إلى الاتحاد العام لطلبة فلسطين في الكويت وشكلوا لائحة باسم «الحق» ركّزت في حملتها الانتخابية على الحرب الأهلية الدائرة في لبنان (وكانت تعتبرها حربًا ضد الإسلام والمسلمين وضد الفلسطينيين خصوصًا) وعلى زيارة الرئيس السادات للقدس.

لكن منظّمة الإخوان الطلابية سرعان ما قررت ترك الاتّحاد العام (1980) وتأسيس قوة مستقلّة باسم «الرابطة الإسلامية لطلبة فلسطين في الكويت»، وتشكّلت أيضًا رابطات مماثلة في بريطانيا وأميركا وكندا، وغيرها، وازداد عددها ونشاطها بعد 1982 وخروج منظّمة التحرير الفلسطينية من لبنان.

420 عزمي التميمي: مرجع سابق، ص 299.

421 التميمي: مرجع سابق، ص 30.

422 المرجع نفسه، ص 33.

شكّلت هذه الروابط الإسلامية الطلابية خزانًا أساسيًا للكوادر المؤسسة والقائدة في حماس لاحقًا.

12- حركة الجهاد وتفجير الانتفاضة

تشكّل التيار الإسلامي الجهادي في فلسطين مطلع الثمانينات بتأثير من الإسلاميين الفلسطينيين العائدين من مصر والمتأثّرين بتجربة الجماعة الإسلامية والجهاد المصريتَين، وأيضًا بتجربة الثورة الإيرانية. وفي أول تجربة انتخابية له في الجامعة الإسلامية في غزة بداية العام الدراسي 1981-1982 نال التيار الجديد 16.5 في المئة من الأصوات مقابل 22 في المئة لتحالف منظّمة التحرير الفلسطينية. أصدر التيار مجلات عدة منها: مجلّة النور، نشرة الحقيقة (طلابية)، مجلّة صوت المستضعفين (واضح هنا التأثير الإيراني). لكن أهم إصدارات التيار كانت مجلّة الطليعة الإسلامية التي كانت تُحرَّر في لندن، وتُطبع وتوزّع في لبنان وغزة والضفة الغربية (1983-1986).

تسبّب توزيع المجلة في ملاحقة واعتقال الموزّعين في محاكمة شهيرة عرفت باسم قضية الطليعة الإسلامية (مجموعة اشتهرت في مصر بهذا الاسم أيضًا). صدرت نشرة البيان لاحقًا بديلاً عن نشرة الحقيقة وصارت من أهم المنشورات في فلسطين خلال أعوام 1984-1985. كما صدرت نشرة (صوت الجماعة الإسلامية) في الجامعة الإسلامية (1984-1985) ومعها صدرت سلسلة كتب وكرّاسات تحمل عنوان: (دفاتر إسلامية) و(نحو طلائع إسلامية واعية). وصدرت في قبرص مجلة باسم (الإسلام وفلسطين) كان أبرز محرريها فتحي الشقاقي نفسه. ومن أبرز الكرّاسات التي صدرت في فلسطين خلال تلك الفترة: القضية الفلسطينية قضية مركزية لماذا؟ معركة بيروت: التجربة الفلسطينية من منظور إسلامي، فتح من الانطلاقة إلى البقاع.

وفي شمال قطاع غزة كان مسجد عز الدين القسّام، وهو أكبر وأهم المساجد، بإمامة الشيخ عبد العزيز عودة الذي حوّله إلى بؤرة تحريضية جهادية، خصوصًا من خلال خطب الجمعة وإحياء صلاة العيدين في العراء والدعوة الجهادية التي لقيت تجاوبًا إلى إحياء ليلة القدر وآخر جمعة من رمضان في ساحات المسجد الأقصى بالقدس. في شهر نيسان/إبريل حدثت انتفاضة جماهيرية في غزة وزّعت فيها بيانات تحمل توقيع (أبناء الانتفاضة الإسلامية في فلسطين، أبناء الأقصى، أبناء القرآن...).

خلال شهرَي آب/أغسطس وأيلول/سبتمبر 1983، قامت السلطات الإسرائيلية بحملة اعتقالات واسعة ضد حركة الجهاد شملت رئيسها الدكتور فتحي الشقاقي و25 من قيادات الحركة وفرضت الإقامة الجبرية على الشيخ عبد العزيز عودة. في

عام 1984، قررت الحركة الانتقال إلى العمل المسلّح المباشر بالتنسيق مع التيار الإسلامي الجهادي داخل حركة فتح (محمد حسن بحيص، سلطان التميمي، مروان كيالي، علي أبو طوق، جهاد العمارين، مروان زلوم، ميسرة أبو حمدية...) تحت اِسم سرايا الجهاد. وفي مطلع شهر آذار/مارس 1986، اعتقلت السلطات الإسرائيلية فتحي الشقاقي بتهمة العلاقة مع مجموعة نفّذت 8 عمليات عسكرية منذ عام 1984. في أيار/مايو 1986، أعادت إسرائيل اعتقال السجين السابق جمال الصوري الذي كان أمضى 15 سنة في السجن.

في 15 تشرين الأول/أكتوبر 1986، نفّذت سرايا الجهاد عملية بالقرب من حائط المبكى ضد لواء جفعاتي انتهت باعتقال عدد من منفذي العملية. في أيار/مايو 1987 زلزل الكيان الصهيوني عملية هروب كبيرة من سجن غزة المركزي المحاط بإجراءات أمنية اسرائيلية مشددة قام بها مصباح الصوري ومحمد الجمل وسامي الشيخ خليل وأحمد حلس وزهوي قريع ورفاقهم. بلغت ذروة العمل الجهادي المسلّح لحركة الجهاد الإسلامي في عملية البراق الشهيرة في 1 حزيران/يونيو 1987 والتي قام بها مجاهدون من سرايا الجهاد، ثم المعركة الشهيرة المعروفة باسم معركة الشجاعية في 6 تشرين الاول/أكتوبر 1987، حيث وقع اشتباك مسلّح بين قوات الاحتلال وبين عدد من مقاتلي سرايا الجهاد، الذين كان بعضهم قد تمكّن من الهروب من سجن غزة المركزي، والقيام بعدة عمليات عسكرية نوعية ضد أهداف صهيونية، كان أهمها اغتيال قائد الشرطة العسكرية في قطاع غزة (الكولونيل رون طال) في 2 آب/أغسطس 1987، وقتل مستوطن إسرائيلي في 5 كانون الأول/ديسمبر في وسط مدينة غزة، سبق ذلك عملية خطط لها وجهزها المهندس سليمان الزهيري والأخت عطاف عليان التي حاولت نسف مبنى الكنيست الإسرائيلي في 25 آب/أغسطس 1987.

إعتقلت السلطات الإسرائيلية العشرات من أبناء حركة الجهاد بتهمة التخطيط والمساعدة في العمليات العسكرية أبرزهم نافذ عزّام وإبراهيم نجار ومحمد الهندي وعبد الله السبع... وكان فتحي الشقاقي سجينًا في سجن نفحه الصحراوي حتى إبعاده هو والشيخ عبد العزيز عودة إلى لبنان في 17 تشرين الثاني/نوفمبر 1987. وقد خرجت تظاهرات ضخمة في غزة احتجاجًا على قرار الإبعاد هذا. كانت معركة الشجاعية وغيرها من العمليات العسكرية التي قامت بها سرايا الجهاد، لاسيما مجموعة المجاهدين الفارين من سجن الاحتلال، سببًا مباشرًا ومقدّمة ألهبت الشارع الفلسطيني وقادت إلى اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولى في 8 كانون الأول/ديسمبر 1987. وحتى مطلع 1988، كانت بيانات حركة الجهاد الوحيدة التي توزّع للتحريض والتعبئة في غزة والضفة حتى تاريخ تشكيل القيادة الوطنية الموحّدة للانتفاضة.

تجدر الإشارة هنا إلى أن العمل الجهادي الذي كان يمارس تحت اسم سرايا الجهاد كان بمبادرة من مجموعة من أبناء حركة فتح، كانوا رموزًا إسلامية على مستوى الثورة ويمتلكون الرؤية حول مركزية القضية الفلسطينية، وضرورة إطلاق الجهاد على أرض فلسطين، هذا بالإضافة إلى امتلاكهم الخبرة العملية داخل صفوف فتح، في الوقت الذي كانت التجمّعات الجهادية الإسلامية في فلسطين قليلة الخبرة صغيرة ومتواضعة وبحاجة إلى هؤلاء المناضلين الفتحاويين للاستفادة مما لديهم من إمكانيات وخبرة لانطلاق الجهاد في فلسطين. وأنشئت سرايا الجهاد كإطار لتنسيق جبهوي عام بغض النظر عن الجهة المعنية التي تقوم بالعملية الجهادي، بهدف تجنّب التنافس والتسابق في الإعلان عن العمليات فيما بين الفصائل الفلسطينية المختلفة.

تعتبر حركة الجهاد الإسلامي أن دم أبطال السرايا الذي سال على أبواب مدينة غزة، في ما عرف بمعركة الشجاعية، كان الشرارة التي فجّرت الانتفاضة. علمًا أن حادثة دهس العمال قرب جباليا في 8 كانون الأول/ديسمبر1987 جاءت على خلفية مقتل مستوطن صهيوني على يد أعضاء من الجهاد الإسلامي. وتعتقد الحركة أنها تحمّلت مع بقية الجماهير الفلسطينية أعباء الانتفاضة الفلسطينية في أسابيعها الأولى وأصدرت البيانات والمنشورات داعية الجماهير إلى الخروج والمقاومة والجهاد على درب شهداء الشجاعية، لا بل إن أول بيان حمل اسم المقاومة الإسلامية في فلسطين كرّاس صغير (8 صفحات) أصدرته حركة الجهاد يوم الجمعة 16 تشرين الأول/أكتوبر1987 بعنوان «انطلاقة الدم والشهادة» خصصته للحديث عن فلسفة الشهادة وعن سيرة الشهداء الخمسة أبطال معركة الشجاعية[423].

12- عوامل تبلوّر خيار حماس

1- كانت الساحة الطلابية في الجامعة الإسلامية بغزة مشتعلة بالنقاشات، وكان الطابع الغالب على النقاش والمناظرة هو الطابع السياسي حيث كانت الكتل الطلابية المختلفة توجّه سؤالاً واحدًا ومحرجًا للكتلة الإسلامية: أين أنتم على ساحة المقاومة؟ وكان شباب الكتلة الإسلامية يستحضرون التاريخ والنضالات السابقة للإخوان المسلمين في حرب 1948 وخمسينات القرن العشرين، وكذلك في نهاية الستينات حين شارك الإخوان في ما يطلقون عليه اسم عمليات الشيوخ. وقد أصدرت الكتلة في هذا المجال كتيّبًا للمرحوم فتحي يكن «الحقيقة الغائبة»، استعرض خلاله كلّ جهود الإسلاميين الكفاحية لأجل القضية الفلسطينية منذ

423 إنطلاقة الدم والشهادة، المقاومة الإسلامية في فلسطين، 1987/10/16.

بدايتها وحتى نهاية الستينات وأضاف إليها تجربة أسرة الجهاد بقيادة الشيخ عبد الله نمر درويش داخل فلسطين المحتلّة سنة 1948، وكذلك اعتقال الشيخ أحمد ياسين ومجموعة من إخوانه سنة 1984، بتهمة حيازة أسلحة وتشكيل تنظيم مسلّح لإبادة دولة إسرائيل[424].

أفضى هذا التطوّر إلى المرحلية في ترتيب أولويات الحركة الإسلامية. وما بين أولوية التمكين، وأولوية التحرير، والتغيير، خلصت الحركة الإسلامية إلى صيغة عضوية متداخلة، تحاول أن تزيل أي تناقض بينهما، بل وتمزج وتوازي العمل بهما معًا، وفي آن واحد، من خلال الحراك والتفاعل الداخلي[425].

2- كان إنشاء الجامعات والكلّيات الجامعية في الضفة الغربية وقطاع غزة، منذ عام 1977 وما بعدها، والتي استوعبت الآلاف من الطلبة، قد جعل منها بؤر استقطاب قوية أدت إلى نمو بعض الحركات الإسلامية[426]. كما شكّلت تلك الجامعات، رافدًا قويًا، رفد الحركة الإسلامية بمجموعة من الكوادر والقيادات الشابة المدرّبة، والمتمرسة في العمل الدعوي، والعمل الجماهيري، والعمل السياسي، الذين شكّلوا فيما بعد قيادة حركة المقاومة الإسلامية وكوادرها، وكان لهم الدور الطليعي الفاعل في الانتفاضتَين الأولى والثانية.

3- أدى ظهور حركة الجهاد الإسلامي، وتناميها السريع، وتنفيذها لعمليات جريئة، منافسًا قويًا للإخوان على الصعيد المعنوي، ومن هنا كان على الإخوان المسلمين أن يقوموا بخطوات للحد من تسليط الأضواء على حركة الجهاد الإسلامي المنافسة.[427] فبدأ الإخوان سرًّا بالتجهيز للعمل العسكري المسلّح، مستندين إلى منظومة الدعم المادي الذي كان يرسل لأجل إعداد البنية التحتية والاجتماعية والخيرية والطلابية من جماعة الإخوان المسلمين العالمية، وخاصةً جماعة الإخوان المسلمين في الأردن[428].

424 Jeroen Gunning: Re-Thinking Western Construction of Islamism: Pluralism, Democracy and Theory and Praxis of The Islamic Movement in The Gaza Strip, A thesis submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of doctor of philosophy, Centre for Middle Eastern and Islamic Studies, University of Durham, 2000, p126 .

425 خالد الحروب : حماس الفكر والممارسة، ص 40.

426 زياد أبو عمرو، الحركة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة، ص 35 - 36.

427 عبد الله أبو عيد وآخرون، دراسة في الفكر السياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، تحرير جواد الحمد واياد البرغوثي، ط 3، مركز دراسات الشرق الأوسط، (عمّان، 1999)، ص 41-42.

428 إبراهيم غوشة، المئذنة الحمراء، سيرة ذاتية، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، ط 1، 2008، ص 154.

4- المنافسة بين جماعة الإخوان المسلمين وفصائل منظّمة التحرير، فقد نافس الإخوان المسلمون فصائل منظّمة التحرير في جميع المجالات داخل الأرض المحتلّة، وخارجها، وكان لا بد أن تشمل أيضًا ساحة الصراع مع الاحتلال الإسرائيلي، خاصة بعد تردّي أوضاع منظّمة التحرير، وانحسار دورها في الكفاح المسلّح من الخارج إثر الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام 1982 وما ترتّب عنه من إخراج قوات المنظّمة من لبنان وتشتيتهم في الأقطار العربية. شعر الإخوان بأن عدم اشتراكهم الفاعل في مواجهة قوات الاحتلال في الفترة الماضية ترتّب عليه خسران الساحة الفلسطينية لصالح فصائل المقاومة، ولهذا لم يعد من المعقول والمقبول أن تبقى الجماعة خارج دائرة الفعل المقاوم[429]. وكان لا بد للحركة الإسلامية من الانخراط في العمل المسلح لتكريس شرعيتها السياسية من خلال مقاومة المحتل، إلى جانب الشرعية الدينية التي تتمتع بها[430].

5- أثر النخب الإخوانية الجديدة، صاحبة الخبرة "الوافدة" المتأثّرة بالتجارب الإخوانية في البلدان العربية، في تغيير استراتيجية الإخوان المسلمين تجاه الصراع مع الاحتلال الصهيوني، ومن العوامل الفكرية التي ساهمت في هذا التحوّل يمكن خصوصًا رصد تأثير الأفكار الثورية التي طرحها سيد قطب في كتابَيه «في ظلال القرآن» و«معالم في الطريق" والتي كان شباب الجهاد يركّزون عليها في مجلتهم «الطليعة الإسلامية».

6- دور الضفة الغربية في تأسيس حركة حماس، فعند الحديث عن تأسيس الحركة تتجه الأنظار إلى الروايات التي تتحدّث عن دور قطاع غزة وقيادة الإخوان المسلمين في غزة في هذا التأسيس. وتُختصَر هذه الرواية أكثر في الحديث عن دور الشيخ أحمد ياسين فقط، مهملة الدور التكاملي للإخوان المسلمين في الضفة الغربية وقطاع غزة وخارج فلسطين في هذا القرار، ونادرًا ما تجد إشارات تؤكّد دور الضفة الغربية، لكنها تبقى إشارات مجملة مبهمة بحاجة لتفصيل، فيأتي نص الباحث بلال شلش ومقابلاته وأحاديثه مع عدنان مسودي[431] ليكشف عن جهد كبير بذل في الضفة الغربية موازٍ للجهد المبذول في قطاع غزة وخارج فلسطين من أجل الوصول إلى لحظة الانطلاقة التي قررها بداية المكتب الإداري العام الذي يمثّل الضفة وغزة. وفي مذكرات مسودي حديث عن شخصيات كان لها الأثر الكبير في مسيرة الحركة الإسلامية، أسقطت من الروايات التاريخية،

429 إياد البرغوثي، الأسلمة والسياسة في الأراضي الفلسطينية المحتلة، مركز رام الله لدراسات حقوق الانسان، فلسطين، ط 1، 1990، ص 89.

430 علي الجرباوي، حماس مدخل الإخوان المسلمين، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع 13، مرجع سابق، ص 75.

431 أمدني الباحث بلال شلش مشكورًا بصورة عن بعض صفحات بحثه الذي هو عبارة عن تحرير لمذكرات المجاهد عدنان مسودي سيصدر قريبًا عن مركز الزيتونة في بيروت.

كالحاج راضي السلايمة والمهندس حسن القيق والأستاذ ناجي صبحة والشيخ سعيد بلال وغيرهم. وفيه أيضًا تفاصيل حول آليات اتّخاذ القرار في حركة حماس، وحديث عن اجتماعات قيادة حماس الأولى، وكيفية صياغة بيانات الانتفاضة ومركزيتها، وعن صياغة ميثاق حماس، وعن الفشل في التنسيق مع القيادة الموحّدة حول إدارة الانتفاضة[432].

7- وهكذا كانت حماس" النسخة الفلسطينية "للحركة الإسلامية الأم، جماعة الإخوان المسلمين، وهي تتطابق معها إيديولوجيًا بشكل تام، فعندما يتعلّق الأمر بشعارات الحركة الدينية العامة، نجد أنها لا تختلف شيئًا عن الإخوان[433]، وعلى سبيل المثال:" الله غايتنا، والرسول قدوتنا، والقرآن دستورنا والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا»[434].

أما فيما يخص القضية الفلسطينية، فقد تبّنت الحركة الكثير من الشعارات التي تؤكّد وجهة نظرها المستندة إلى الشعارات الإسلامية التقليدية عن القضية الفلسطينية، مثل كون فلسطين أرض وقف إسلامي[435].

13- الهيكل التنظيمي لحركة حماس

لا توجد معلومات مؤكّدة حول الهيكل التنظيمي لحركة حماس بالنظر إلى سرية الحركة وكونها ملاحقة من قبل كلّ أجهزة الأمن الإسرائيلية والكثير من أجهزة المخابرات الدولية. ولكننا نستطيع رسم مخطط عام استخلصناه من بعض الكتابات المتوافرة ومن ملاحظاتنا الخاصة[436].

يقود حركة حماس مجلس شورى يضم ما بين 50 و70 عضوًا يمثّلون الحركة في فلسطين والخارج. والمجلس هو «الهيئة الدينية والسياسية العليا» للحركة التي توفر الإسناد الشرعي لنشاطاتها وقراراتها السياسية، والمسؤول عن وضع السياسات العامة وإقرار الخطط والموازنات. يجتمع المجلس مرة كلّ عام تقريبًا، وينبثق عنه عدد من اللجان المسؤولة عن الإشراف على مجموعة واسعة من النشاطات، من

432 الشيخ خليل نهاد، البنّاء الداخلي، مرجع سابق.

433 إياد البرغوثي، مرجع سابق، ص 92.

434 وثائق حماس، الميثاق، المادة الخامسة.

435 المرجع نفسه، المادة الحادية عشرة.

436 أهمها كتاب الباحث مهيب سلمان أحمد النواتي: "حماس من الداخل"، دار الشروق، فلسطين- غزة، 2002، الصفحات 110-39.

العلاقات العامة والترتيب مع سائل الإعلام إلى العمليات العسكرية، كما تخضع لجان شورى محلية (مجلس شورى لكلّ منطقة في قطاع غزة والضفة الغربية، ثم مجلس شورى عام للقطاع وآخر للضفة، والحال نفسه داخل السجون التي تتمتّع هي الأخرى بلجان شورى خاصة بها) لسلطة المجلس العام، وتلتزم بتنفيذ قراراته.

ومن بين أعضاء مجلس الشورى العام يتشكّل «مجلس شورى مصغّر» يصل عدد أعضائه إلى 25 عضوًا، وهو يعد القيادة السياسية لحماس والمالك لزمام قرارها السياسي. ومن بين أعضائه يتم اختيار أعضاء المكتب السياسي أنفسهم. والمكتب السياسي هو أعلى هيئة قيادية في حماس، وثاني سلطة تنظيمية في الحركة، لا يصدر قرار هام يتعلّق بمصيرها إلا عن طريقه. تتمثّل في المكتب جميع قطاعات الداخل والخارج، ويبلغ عدد أعضائه 11 عضوًا، لكن البعض يقول إنهم أكثر من ذلك، بين 13 و15 عضوا، اثنان منهم أو ربما أكثر أسماؤهم غير معلنة. يُنتخب أعضاء المكتب السياسي مرّة كلّ 4 سنوات، وهم الذين يسمّون رئيس المكتب بالتوافق. وكان رئيس المكتب يتولّى المنصب في السابق لفترتين فقط غير أنه حصل تعديل مؤخّرًا أعطاه الحق في الترشّح على أن يستمر في المنصب طالما يحصد أعلى الأصوات.

يحدّد المكتب السياسي بالتشاور مع مجلس الشورى السياسة العامة للحركة تجاه جميع القضايا، ومن أبرز مسؤولياته: تمثيل حماس خارجيًا سواء أمام الحكومات أو المنظّمات والفصائل، إذ يُعَدّ حلقة الوصل بين الحركة والفصائل الفلسطينية الأخرى. كما يشرف من خلال اللجنة السياسية على «المكاتب الخارجية»، وهي المكاتب التي تمثّل الحركة لدى عدد من الدول، بالإضافة إلى التفاوض بإسم الحركة فيما يتعلّق بقضايا كالتهدئة، والحوار، والمصالحة، وصفقة تبادل الأسرى، وغيرها من الشؤون السياسية، إلى جانب إدارة الموارد المالية، والبت في قرارات العمل العسكري واستمراره أو التوقّف عنه وتحديد أهدافه بصورة إجماليّة. يراقب المكتب السياسي النشاطات المتنوّعة لحماس بواسطة عدد من اللجان أبرزها: اللجنة السياسية، والدعوة، والمالية، والشؤون الداخلية، بالإضافة إلى الجهاز الإداري.

وفي الداخل قسّمت غزة إلى خمس مناطق، والضفة إلى سبع، وتعمل كلّ منطقة باعتبارها وحدة شبه مستقلّة، وينسق أعمال المناطق مكتب إداري يمثّلها جميعًا. وشكّلت في الداخل لجان وأجهزة للعمل مع الأحداث اليومية والانتفاضة والمقاومة والفعاليات السياسية والإعلامية ورعاية أسر المعتقلين والشهداء، ويُعَدّ جهاز الدعوة في الداخل من أهم موارد الحركة في الاختيار والتعبئة والمناصرة وبث فكرة الحركة بين الناس.

جهاز الدعوة

كما تدير حركة حماس أعمالها من خلال عدد من الأجهزة التنفيذية، منها: «جهاز أمن الحركة»، و«جهاز العمل الجماهيري» وعلى رأس الأجهزة يبرز «جهاز الدعوة» كواحد من أهم أجهزتها، لأن به يناط تجنيد العناصر الجديدة، من خلال النشاطات الدعوية والتربوية التي تمارس في المساجد، حيث يقوم الجهاز بترشيح معظم العناصر لباقي أجهزة الحركة، من خلال التربية الإسلامية والقوة الروحية التي تخلق روح الجهاد والتضحية في نفوس الشباب المتديّن. فقد أبرزت حماس الدعوة من خلال الوعظ، والتعليم، والنشاطات الشبابية والجماهيرية المختلفة، فانتشرت في مجالات متعددة شملت جميع الطبقات الاجتماعية من العمال، والتجار، وأصحاب المهن الحرة، وطلاب الجامعات والشباب، حتى شملت الجيل الناشئ في مراحل رياض الأطفال والمدارس الأساسية. وبالإشارة إلى وثيقة داخلية بعنوان «الخطة الشاملة لنشاطات الدعوة» جاء في كتاب «عصر حماس» الذي أصدرته «يديعوت أحرونوت» عام 1999 للكاتبَين الإسرائيليَين شاؤول مشعال، وأبراهام سيلع، أن الحركة وضعت منهج عمل سنويًا لطلاب المدارس، يشمل برنامجه نشر القيم الإسلامية في أوساط الطلاّب عن طريق تأسيس مجلة شهرية وتنظيم مسابقات في مواضيع ثقافية وتربوية ودينية، وشمل المنهج أيضًا توزيع الكتب والأشرطة والملصقات، وفي نطاق هذه النشاطات التربوية أنشأت حماس شبكة من «دور القرآن» عملت في المساجد من خلال دور خاصة لتحفيظ القرآن للطلاب والشباب. وفي «مذكرة الطالب المسلم» وهي قائمة توجهها حماس للطلاب الذين يعملون في الدعوة بالمدارس والتي وزعت عام 1992 خاطبت الحركة التلاميذ بالقول: «عليّ أن أجد الطريق في الدمج بين الدعوة إلى الله وبين التعليم (...) ونذكر دائمًا أن الدعوة إلى الله هي الهدف الأسمى، فهي عمل الأنبياء والرسل».

يتكوّن جهاز الدعوة في حماس وبشكل أساسي من الخطباء والوعّاظ والدعاة الذين يقومون بإلقاء الدروس والمحاضرات في المناسبات المختلفة ويفتون الناس. وقد اهتمت الحركة بالإعلام كوسيلة للوعظ الديني، كما عملت على الاستفادة من الأحداث الاجتماعية مثل الزواج والجنائز، وإجراء الصلح بين العائلات، إلى جانب إلقاء الخطب في أيام الجمع والأعياد.

الجناح العسكري

كان الجناح الأمني للإخوان وحماس في غزة يسمى «مجد» ويقوم بجمع المعلومات عن العملاء والجواسيس وتجّار المخدرات، وعن المؤسسات العسكرية للعدو. ونفّذ

هذا الجهاز عددًا من الأعمال قبل وأثناء الانتفاضة الأولى (قبل ولادة حماس)، كما حارب مظاهر الفساد من تجارة وترويج الحشيش والمخدّرات وبيع الخمور وغيرها، وقد تأسّس هذا الجناح عام 1983.

أعلنت حماس عن تأسيس «كتائب عز الدين القسّام» نهاية عام 1991، وكان الهدف تكوين ذراع عسكرية سرّية مستقلّة في تحرّكها وتنظيمها ترتبط بسياسات الحركة ومواقفها، على أن تكون خاضعة مباشرة لمراكز القيادة في الداخل والخارج. وكان هذا الجناح يسمّى سابقًا «مجاهدو فلسطين» أو «المجاهدون»، وبدأ عمله قبل الانتفاضة، أي منذ عام 1983 ونفذ الكثير من العمليات العسكرية ضد الاحتلال، شكّلت العمليات الاستشهادية أخطرها.

تتبع كتائب القسّام نظام الأقاليم؛ ولكلّ منطقة أو إقليم إمرة عسكرية خاصة بها، إلا أنه يصعب تحديد مسؤول الكتائب هنا أو هناك نظرًا للنواحي الأمنية، إذ إن القسّام محاطة بجدار خاص من السرّية، بحيث لا يُعرف من قادتها إلا من تعلن عن اغتيالهم أو يصرح الاحتلال بملاحقتهم، كما لا يُعرف عدد أعضائها بالتحديد، وإن كانوا يعدّون بعشرات الآلاف في قطاع غزة وبضعة آلاف في الضفة الغربية، بحسب معلومات غير مؤكّدة.

والهيكل التنظيمي يجعل الكتائب أشبه بجيش منظّم عالي الحرفية، يمتلك نظامًا لوجستيًّا متطورًا، يتضمّن وحدة لصناعة الأسلحة تشمل عددًا من الأقسام (قسم الصواريخ، قسم العبوات والقنابل، قسم التحصينات، قسم المتفجّرات، قسم التجارب والتطوير)، كما يتكوّن من عدد من الوحدات العسكرية المختلفة، منها: وحدة الشهداء والوحدة الخاصة ووحدة الدفاع الجوي، بالإضافة إلى وحدة المراقبة والمتابعة التي تعمل على جمع المعلومات. وتعد «وحدة المرابطين» أكبر الوحدات العسكرية في كتائب القسّام وتتكوّن من خمس كتائب (الكتيبة الشمالية، والكتيبة الوسطى، وكتيبة غزة، وكتيبة خان يونس، وكتيبة الجنوب)، تقسّم كلّ كتيبة منها إلى وحدات وفصائل وأقسام، حيث يضم القسم أحد عشر مقاتلاً مقسّمين إلى خليتَين في كلّ خلية خمسة مقاتلين وقائد، وتوزّع المهام بينهم: اثنان منهم يطلقون الصواريخ المضادة للدبابات، اثنان آخران قنّاصة، اثنان وحدة هندسة (مهمتهم نصب العبوات وتشغيلها)، وأربعة مقاتلين وقائد... ويوجد ضمن كتائب عز الدين القسّام جناح خاص بالمجاهدات «الجناح النسائي».

في هذا السياق، يمثّل الجهاز العسكري لحماس «رأس الحربة في مشروعها السياسي والدعوي»، باعتباره «الواجهة الصلبة للحركة أمام العواصف التي تواجهها من مختلف النواحي والاتّجاهات»، لذلك حرصت الحركة على تماسكه وإبقائه قويًّا ومده بالمزيد من التحصين ومنحه التمويل اللازم. ونظرًا للاهتمام الذي تلقّاه

القسام من قبل الحركة، ساد الاعتقاد لدى بعض المراقبين أن «العسكر» في الحركة يأخذون الحصة الأكبر في مستويات اتّخاذ القرار، بفعل «نجاحات» حققتها خلال الأعوام الأخيرة، منها السرعة في السيطرة على غزة، ما سمي في حينه بـ«الحسم العسكري»، أو نجاحها في صدّ الاعتداءات والحروب الإسرائيلية على القطاع.

14- الصراع بين فتح وحماس 1993-2014

بناءً على اتفاق أوسلو (أيلول/سبتمبر 1993)، تكوّنت في أجزاء من الضفة الغربية وقطاع غزة سلطة فلسطينية برئاسة ياسر عرفات. وكان من لوازم استكمال بناء تلك السلطة وجود مجلس تشريعي، فجرت انتخابات عام 1996، قاطعتها قوى سياسية كثيرة من بينها حماس. بررت الأخيرة آنذاك مقاطعتها بقولها إن اتفاق أوسلو وكلّ ما سيتمخض عنه، عبث سياسي لا يحقق طموح الشعب الفلسطيني في إقامة دولته واستعادة حقوقه، ولا يتناسب مع ما قدّم من تضحيات على مدى قرابة المئة عام. وذهبت حماس إلى حد اعتبار اتفاق أوسلو، وبسبب الاتفاقيات الأمنية التي تنص صراحة على تجريم الفعل المقاوم واعتباره إرهابًا، خيانة للقضية الوطنية وتقزيم لها وتغيير تاريخي في مسارها. وبناءً على ذلك، قاطعت حماس الانتخابات التي حصدت فتح فيها أغلبية[437] في المجلس التشريعي.

وازداد الشرخ تعمّقًا بين الحركتَين بتنفيذ أجهزة السلطة حملات اعتقالات واسعة تركّزت على قيادات حركة حماس وعناصرها وجهازها العسكري بعد كلّ عملية ضد الاحتلال. وفي 25 شباط/فبراير 1996، أعلنت قيادة الأجهزة الأمنية التابعة للسلطة عن قيامها بأوسع حملة اعتقالات ضد عناصر حركتَي حماس والجهاد الإسلامي في الضفة الغربية وقطاع غزة استمرت عدة أشهر. وقد وصل عدد المعتقلين في 13 نيسان/إبريل إلى أكثر من 9000 معتقل (بحسب مصادر حماس)، وتزامنت الحملة مع حملة مداهمات للاحتلال، ولم تتوقف حملة السلطة على نشطاء حماس، وإنما طالت القيادة السياسية للحركة، فاعتقلت الأجهزة الأمنية التابعة للسلطة عدة قيادات على رأسها محمود الزهار وأحمد بحر وغازي حمد وإبراهيم المقادمة الذي تعرّض لتعذيب شديد حتى ساءت حالته الصحية[438].

437 محمد عبد العاطي: حماس والطريق إلى السلطة، على موقع الجزيرة.نت

http//:www.aljazeera.net/specialfiles/pages/e9266309-3fc1-41f3-b181-4d93c557f372

438 https://www.paldf.net/forum/showthread.php?t=435398

إنتفاضة الأقصى 2000

شكّل انطلاق انتفاضة الأقصى يوم 28 أيلول/سبتمبر 2000 مرحلة جديدة، إذ توحّد الفلسطينيون ضد الاحتلال، وشرعوا في حوارات داخلية قادتها مصر وانتهت باتفاق القاهرة بين الفصائل في آذار/مارس 2005. وبعد مرور عشر سنوات على انتخابات المجلس التشريعي الأولى وبناء السلطة والوطنية الرسمية (مجلس وحكومة ومؤسسات وأجهزة أمنية) وجدت حماس نفسها أمام خيارين: إما الاستمرار في البقاء خارج السلطة وعدم المشاركة في أي من مؤسساتها، ومقاطعة الانتخابات التشريعية القادمة (2006) كما فعلت من قبل في انتخابات 1996، وإما الدخول في معترك العملية السياسية. وحسمت حماس أمرها واختارت المشاركة وترافق ذلك مع سلسلة خطوات وسياسات تمهد الطريق[439]:

- الإعلان عن «التهدئة» للإفساح في المجال أمام التفاوض والحل السياسي، ولكن من دون الإعراب صراحة عن التخليّ عن المقاومة. كما لم تحدّد سقفًا زمنيًا لهذه التهدئة فجعلتها مفتوحة يتقرر مداها الزمني بحسب الظروف.

- الحديث عن إمكانية القبول بدولة فلسطينية على حدود ما قبل حرب حزيران/يونيو 1967، واشترطت أن تكون دولة ذات سيادة وقابلة للحياة «كحل عاجل»، من دون التخليّ عن فلسطين التاريخية من النهر إلى البحر وفي القلب منها القدس بشطريها الشرقي والغربي «كحلٍ آجل».

- القول إن اتفاق أوسلو قد أصبح من الماضي، واستدلّت حماس على ذلك بما فعلته انتفاضة الأقصى التي اندلعت في أيلول/سبتمبر 2000 من تراكمات سياسية وتغييرات ميدانية في الضفة وغزة، وانخراط العديد من الأذرع المسلّحة لبعض الفصائل الفلسطينية، بما فيها كتائب شهداء الأقصى الجناح المسلّح لحركة فتح.

- التأسيس للمشاركة في العملية الانتخابية وما قد يستتبعها في حال الفوز من تشكيل حكومة وفقًا لعقد جديد بعيد عن اتفاق أوسلو جرى إبرامه وحمل اسم اتفاق القاهرة.

- البعد عن الإعلان صراحة عن رفض المبادرات العربية والكف عن التهجّم المباشر على اتفاقيات السلام التي وقعتها مصر والأردن مع إسرائيل في محاولة لبعث رسائل تطمين للمحيط العربي الذي ستتعاون مع حكوماته.

---

439 محمد عبد العاطي، مرجع سابق.

- القبول بمنظّمة التحرير الفلسطينية ممثلًا شرعيًا ووحيدًا للشعب الفلسطيني شريطة إصلاحها وإعادة ترتيبها من الداخل.

فوز حماس في الانتخابات 2006

مطلع 2006 جرت ثاني انتخابات تشريعية فلسطينية، وهي أول انتخابات تشارك فيها حماس. وحصدت فيها أغلبية المقاعد، ليسارع القيادي في حركة فتح محمد دحلان إلى التصريح بأنه من العار على فتح المشاركة في حكومة تقودها حماس، في حين دعا الرئيس محمود عباس الحكومة القادمة إلى الالتزام باتّفاقات منظّمة التحرير ونهج السلام. وبعد رفض الفصائل المختلفة المشاركة في حكومة حماس، شكّلت الحركة حكومتها برئاسة إسماعيل هنية الذي سلم يوم 19 آذار/مارس 2006 قائمة بأعضاء حكومته إلى الرئيس محمود عباس، لكن الحكومة قوبلت بحصار إسرائيلي مشدّد عرقل عملها، وبمحاولات داخلية للإطاحة بها من خلال سحب كثير من صلاحياتها وإحداث القلاقل الداخلية طوال عام2006 .

ونظرًا لرفض الأجهزة الأمنية التعاطي مع الحكومة الجديدة، شكّل وزير الداخلية آنذاك سعيد صيام قوة مساندة عُرفت بـ"القوة التنفيذية"، لكن حركة فتح شنّت عليها حملة واسعة وصلت إلى حد الاصطدام مع الأجهزة الأمنية الأخرى، بالتزامن مع حملة اغتيالات في غزة.

وفي هذا الظرف، تحرّكت العديد من الجهات الفلسطينية والعربية لوقف الاشتباكات بين مسلّحي حماس وفتح والأجهزة التابعة لهما، ونجحت في وقف الاشتباكات وإنشاء لجنة تنسيق وضبط العلاقات بين الطرفَين، لكن الأمور ما كانت تهدأ حتى تعود إلى التوتّر والصدامات المسلّحة.

في أيار/مايو 2006 أطلقت قيادات الأسرى الفلسطينيين وثيقة للمصالحة سميت لاحقًا بوثيقة الأسرى التي لاقت ترحيبًا من جميع الأطراف، وعلى أثرها عُقد مؤتمر الحوار الوطني يوم 25 أيار/مايو 2006، ومع ذلك ظلّ الانقسام قائمًا ولم تتوقّف الاشتباكات المسلّحة، وفشلت وساطات عديدة بينها الوساطة القطرية في تشرين الأول/أكتوبر 2006 في تهدئة الأوضاع.

وبحسب إحصائية أعدتها «الهيئة الفلسطينية المستقلة لحقوق المواطن»، فقد قتل نتيجة الانفلات الأمني خلال الفترة ما بين كانون الثاني/يناير وتشرين الثاني/نوفمبر 2006 نحو 322 فلسطينيًا منهم 236 في قطاع غزة و86 في الضفة الغربية.

وفي كانون الأول/ديسمبر 2006 دعا الرئيس محمود عباس إلى عقد انتخابات لمجلس تشريعي فلسطيني جديد، لكن عددًا من قيادات الفصائل الفلسطينية في دمشق رفض الدعوة وانفجرت الأوضاع مجددًا، وتعرّض وزير الداخلية سعيد صيام لمحاولة اغتيال فاشلة في العاشر من كانون الثاني/يناير 2007 [440].

اتفاق مكة

إستمرت أجواء التوتر مع بداية العام 2007، حتى بادر الملك السعودي الراحل عبد الله بن عبد العزيز إلى دعوة حركتَي فتح وحماس إلى التحاور في مكة، على مدار ثلاثة أيام بين أعلى الهرم القيادي في الحركتين: محمود عباس ومحمد دحلان عن فتح، خالد مشعل وإسماعيل هنية عن حركة حماس. بنهاية هذه الحوارات، وقّعت الحركتان على ما بات يعرف بـ"اتفاق مكة" في شباط/فبراير 2007، وكلّف الرئيس محمود عباس، إسماعيل هنية بتشكيل الحكومة الحادية عشر وسميت «حكومة الوحدة الوطنية». إلا أن الاتفاق سقط بعد بضعة أشهر على الرغم من الأجواء الإيجابية التي رافقت الإعلان عنه.[441]

سيطرة حماس على قطاع غزة

بعد اتفاق مكة بأسابيع قليلة، تجدّدت الاشتباكات بين مسلّحي فتح وحماس، وهو ما انتهى بسيطرة حماس على قطاع غزة في ما عرف بإسم «الحسم العسكري»، ليتحوّل الانقسام الجغرافي إلى انقسام سيطرة سياسية كامل يوم 14 حزيران/يونيو2007 .

احتدم القتال في منتصف شهر أيار/مايو 2007 بين القوة التنفيذية المؤلّفة من عناصر كتائب عز الدين القسّام، وبين قوات الأمن التابعة للسلطة الوطنية الفلسطينية، من جهة أخرى. واستمرت عمليات القتل والخطف المتبادل بين الجانبين حتى 14 حزيران/يونيو سنة 2007 حين سيطرت حماس على كلّ المواقع الأمنية في قطاع غزة الذي وقع بذلك تحت السيطرة الكاملة لحماس. كما فرّ قادة الأجهزة الأمنية

440 https://www.paldf.net/forum/showthread.php?t=300624.

441https://kamalalawneh8.wordpress.com/201323/03//%D8%A7%D8%AA%D%81%D8%A7%D982-%%D985%%D983%%D8%A9-%D8%A7%D984%%D985%%D983%%D8%B1%D985%%D8%A9-%D8%A8%D98%A%D986-%%D981%%D8%AA%D8%AD-%D988%%D8%AD%D985%%D8%A7%D8%B3-%D8%A7%D984%%D8%A7%D986%%D8%BA/

وأعضاء من فتح إلى الضفة الغربية ومصر وإسرائيل عن طريق مراكب أبحرت من مقر الرئاسة الفلسطينية «منتدى الرئيس»، وعلى رأسهم محمد دحلان[442].

يقول عضو في المكتب السياسي لحركة حماس إن عملية الحسم لم تكن قرارًا، القضية كانت مواجهات انتهت بهذه النتيجة، والدليل على ذلك أن مقر أبو مازن وبيته وبيت أبو عمار لم يدخله أحد.[443]

نشأة ازدواجية الحكومات

في رام الله أعلن الرئيس الفلسطيني محمود عباس إقالة حكومة إسماعيل هنية، وكلّف سلام فياض بتشكيل حكومة جديدة. ورفضت حماس على لسان الناطق باسمها فوزي برهوم تكليف فياض تشكيل حكومة طوارئ واعتبرته «انقلابًا ضد الشرعية وتجاوزًا لكل القوانين الفلسطينية»[444]. وقال هنية إن حكومته جاءت «بإرادة شعبية ديمقراطية». وإنها «ستمارس عملها ولن تتخلّ عن مسؤولياتها». ووصف القرارات التي اتّخذها الرئيس الفلسطيني بإقالته وإعلان حالة الطوارئ في الأراضي الفلسطينية بأنها «قرارات متسرّعة». وأكد أن حركة حماس لا تعتزم إعلان دولة في قطاع غزة. وأوضح أن «قطاع غزة جزء لا يتجزأ من الوطن الفلسطيني العزيز وشعبنا في القطاع جزء لا يتجزأ من شعبنا في كامل أماكن وجوده[445] واستمرت الأمور بحكومتَين واحدة في الضفة وأخرى في غزة.

442 http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/200723/10//%D8%A7%D984%%D8%B2%D987%%D8%A7%D8%B1-%D8%A7%D984%%D8%AD%D8%B3%D985-%%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B3%D983%%D8%B1%D98%A-%D981%%D98%A-%D8%BA%D8%B2%D8%A9-%D983%%D8%A7%D986-%%D8%AF%D981%%D8%A7%D8%B9%D8%A7-%D8%B9%D986-%%D8%A7%D984%%D986%%D981%%D8%B3

443 http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/201117/3//%D8%A7%D984%%D8%A7%D986%%D982%%D8%B3%D8%A7%D985-%%D8%A7%D984%%D981%%D984%%D8%B3%D8%B7%D98%A%D986%%D98%A-%D8%AA%D8%B3%D984%%D8%B3%D984-%%D8%B2%D985%%D986%%D98%A

444 http://www.aljazeera.net/news/arabic/200715/6//%D8%B9%D8%A8%D8%A7%D8%B3-%D98%A%D983%%D984%%D981-%%D981%%D98%A%D8%A7%D8%B6-%D8%A8%D8%AD%D983%%D988%%D985%%D8%A9-%D8%A7%D984%%D8%-B7%D988%%D8%A7%D8%B1%D8%A6-%D988%%D8%AD%D985%%D8%A7%D8%B3-%D8%AA%D8%B7%D8%B9%D986-%%D8%A8%D8%B4%D8%B1%D8%B9%D98%A%D8%AA%D987%%D8%A7

445 المرجع نفسه.

وبعد أكثر من عامين وتحديدًا في أوائل 2009 إثر انتهاء الحرب الإسرائيلية على غزة، تجدّدت الوساطة بين الفصائل لتكون هذه المرة مصرية. وأعدت القاهرة خلاصة أفكارها بما عُرف بـ«الورقة المصرية» وطرحتها في أيلول/سبتمبر 2009.

ولئن سارعت فتح إلى التوقيع عليها، فإن حماس قالت إنها بحاجة إلى وقت لدراستها قبل أن تطلب إدخال تعديلات عليها، لكن السلطات المصرية رفضت الطلب، وهو ما أدى إلى تجميد الأمور من جديد لشهور طويلة.

الحوار في دمشق

عاد الحراك مجددًا إلى ملف المصالحة بعد لقاء جمع رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل ورئيس المخابرات المصرية عمر سليمان أواسط عام 2010، عقد على أثره لقاء بين فتح وحماس في دمشق في 9 تشرين الثاني/نوفمبر 2010. وعلى الرغم من الإعلان عن جلسة جديدة أواخر كانون الأول/ديسمبر 2010، فإن اللقاء لم يعقد، وتبادلت الحركتان الاتّهامات بالمسؤولية عن تعطيله.

لم يكن البرنامج السياسي وصراع الصلاحيات المصدر الوحيد للخلاف الداخلي في هذه المرحلة، فقد واكبهما أيضًا خلاف قديم-جديد بشأن حق مقاومة الاحتلال ومواجهة اعتداءات إسرائيل المتكررة، ناهيك عن الصراعات العربية-العربية، والتدخّلات الإقليمية أيضًا، على الإمساك بالقرار الفلسطيني.

الربيع العربي ومطلب إنهاء الانقسام

مع اندلاع الانتفاضات العربية مطلع عام 2011 وفشل خيار المفاوضات مع إسرائيل، ارتفعت مجددًا أصوات الفلسطينيين في المطالبة بإنهاء الانقسام والعودة للوحدة الوطنية. فنظّموا حملة من التظاهرات والمسيرات انطلقت في 15 آذار/مارس عام 2011 في كلّ من الضفة الغربية وقطاع غزة.

وفي يوم الأربعاء 4 أيار/مايو2011، وقّعت الفصائل الفلسطينية في القاهرة على الورقة المصرية (وثيقة الوفاق الوطني للمصالحة وإنهاء الانقسام الفلسطيني) وأقيم احتفال موسّع بحضور الرئيس الفلسطيني محمود عباس والأمين العام لجامعة الدول العربية عمرو موسى ووزير خارجية مصر نبيل العربي ورئيس

المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل[446]. ولكن وثيقة المصالحة بقيت حبرًا على ورق على الرغم من جلسات حوار متكرّرة هنا وهناك.

15- الأوضاع الراهنة

أُعلن في 23 نيسان/إبريل 2014 في غزّة أن اجتماعات بين فتح وحماس خلال يومين أفضت إلى اتفاق (عُرف بإسم اتفاق مخيم الشاطئ) على المصالحة بين الطرفَين والالتزام باتفاق القاهرة وإعلان الدوحة، والعمل على إنشاء حكومة توافق وطني تعلن خلال خمسة أسابيع، وإجراء انتخابات رئاسية وتشريعية وللمجلس الوطني الفلسطيني، بشكل متزامن، بعد ستة أشهر على الأقل من تشكيل الحكومة[447].

حكومة الوفاق الوطني وقطاع غزة

وبالفعل تشكّلت حكومة الوفاق الوطني وأدت اليمين الدستورية في 2 حزيران/يونيو 2014، وضمّت في عضويتها وزراء من الضفة الغربية وقطاع غزة على أمل وضع حد للانقسام المستمر منذ العام 2007[448]. كانت آمال المواطنين الفلسطينيين -لا سيما في قطاع غزة- معلّقة على هذه الحكومة، إذ طالبوها بالعمل على رفع الحصار وتحسين الأوضاع المعيشية الصعبة في القطاع وحلّ المشكلات المختلفة نتيجة الحصار المفروض على القطاع منذ عام 2007. لكن ومع مرور الوقت، لم يلحظ المواطنون الفلسطينيون أي تغيير في واقعهم المأساوي، بل ازدادت الأوضاع صعوبة، خصوصًا بعد الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة أواخر عام 2014، لعدم تحرّك الحكومة بالشكل المطلوب للتخفيف من آثار الحرب.

---

446 http://www.aljazeera.net/news/arabic/20114/5//%D8%A7%D8%AD%D8%AA%D981%%D8%A7%D984-%%D8%A8%D8%AA%D988%%D982%%D98%A%D8%B9-%D8%A7%D984%%D9%85%D8%B5%D8%A7%D984%%D8%AD%D8%A9-%D8%A8%D8%A7%D984%%D982%%D8%A7%D987%%D8%B1%D8%A9

447 http://www.alarabiya.net/ar/arab-and-world/201423/04//%D988%%D9%81%D8%AF%D8%A7-%D8%A7%D984%%D985%%D8%B5%D8%A7%D984%%D8%AD%D8%A9-%D8%A7%D984%%D981%%D984%%D8%B3%D8%B7%D98%A%D986%%D98%A%D8%A9-%D8%A7%D986%%D8%AA%D987%%D8%A7%D8%A1-%D8%B3%D986%%D988%%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D984%%D8%A7%D986%%D982%%D8%B3%D8%A7%D985%.html

448 https://www.shasha.ps/news/108452.html

علاوة على ذلك، برزت مشاكل جديدة كأزمة الرواتب وأزمة الكهرباء ما فاقم من معاناة سكان القطاع[449]. في المقابل، كانت الحكومة تعلل موقفها من عدم تمكنها بالقيام بمهامها باستمرار سيطرة حماس على قطاع غزة، مدّعية بأنها ما زالت الحاكم الفعلي للقطاع، الأمر الذي يمنع الحكومة من تنفيذ مهامها بالشكل المطلوب[450]، في حين اعتبر الناطق باسم حماس سامي أبو زهري أن فتح انقلبت على التوافق بشأن تشكيلة الحكومة وقامت باستبدال عدد من الوزراء بقيادات من فتح مما حوّلها إلى حكومة فتحاوية، وأن رامي الحمد الله يتجاهل معاناة غزة ويتبنّى مواقف معادية لحماس ويتصرّف وكأنه مسؤول في فتح وليس رئيسًا لحكومة توافقية[451].

كما أن استئناف عمل لجنة المصالحة المجتمعية ولجانها الفرعية، وتنفيذ ما اتفق عليه بشأن ملف الحريات العامة وتفعيل المجلس التشريعي وإجراء الانتخابات بعد ستة أشهر من تشكيل الحكومة، لم يحصل.

استمرت الوساطات القطرية والتركية، ونجحت في عقد لقاءات جديدة يومي 7 و8 من شباط/فبراير 2016 في الدوحة بين فتح وحماس، لبحث آليات تطبيق المصالحة الفلسطينية ومعالجة العقبات التي حالت دون تحقيقها في الفترة الماضية. وقالت مصادر للجزيرة إن ممثلي الحركتين بحثا آليات وخطوات وضع اتفاقيات المصالحة موضع التنفيذ ضمن جدول زمني يجري الاتفاق عليه. وتوصّل الطرفان بمشاركة قطرية إلى تصوّر عملي محدد سيتم تداوله والتوافق عليه في المؤسسات القيادية للحركتَين، كما سيتم عرضه على الفصائل والشخصيات الوطنية، ليأخذ مساره إلى التطبيق العملي على الأرض، في الإطار الوطني الفلسطيني.[452] وقد اتفق الطرفان على «تصوّر عملي للمصالحة الوطنية» تتضمّنه «ورقة عمل مشتركة»، فضل البعض تسميتها «شبه اتفاق» وليس «اتفاقًا»، في خطوة احترازية يبدو أنها ترمي إلى الإبقاء على خط للرجعة إذا تعثّر تنفيذ ما جاء في «الورقة» أو «التصور العملي». كما شدَّد الطرفان على أنها ستخضع للمراجعة والتدقيق في الإطارَين القياديَين للحركتَين، وسيتم طرحها للنقاش مع الفصائل والقوى الفلسطينية الأخرى. وفق المعلومات المتوافرة حول ما اشتملت عليه «الورقة»، اتفق الطرفان على تشكيل حكومة وحدة وطنية تعمل على الإعداد لانتخابات رئاسية وتشريعية، وعقد

449 http://alresalah.ps/ar/index.php?act=post&id=98585

450 http://www.palnnn.com/?p=46771

451 http://hamas.ps/ar/post/6281

452 http://www.aljazeera.net/news/arabic/20169/2//%D981%%D8%AA%D8%AD-%D988%%D8%AD%D985%%D8%A7%D8%B3-%D98%A%D8%A8%D8%AD%D8%AB%D8%A7%D986-%%D8%A8%D8%A7%D984%%D8%AF%D988%%D8%AD%D8%A9--%D8%A2%D984%%D98%A%D8%A7%D8%AA-%D8%AA%D8%B7%D8%A8%D98%A%D982-%%D8%A7%D984%%D985%%D8%B5%D8%A7%D984%%D8%AD%D8%A9

المجلس الوطني لانتخاب مجلس وطني جديد، وتطبيق ما جاء في اتفاق القاهرة في ما يتعلّق بالأجهزة الأمنية، بحيث يتم تشكيل لجنة أمنية عليا، بمساعدة من جامعة الدول العربية، وتسليم معبر رفح لجهاز حرس الرئاسة الفلسطينية، من دون المساس بأوضاع الموظفين الحاليين في المعبر[453].

وبعد بضعة أشهر، أعلن الطرفان فشل لقاءات الحوار في الدوحة، بحسب تصريحات أدلى بها مسؤولون في الحركتَين، في 18 حزيران/يونيو 2016.

وقال القيادي في حركة فتح، جبريل الرجوب، بحسب مصادر صحافية، إنّ هناك عدة رسائل يجب أن تصل لحماس، موضحًا أن التطورات الإقليمية التي حصلت، وبينها فشل حركات الإسلام السياسي في الدول العربية، أدى لغلبة الحالة الوطنية. وأكد الرجوب أن على حماس أن تفهم هذه الحالة، وأكبر مثال عليها النموذج التونسي".

بدورها، أكدت حركة حماس أن فتح «أفشلت» لقاءات الدوحة، من خلال تراجعها عن الاتفاقيات السابقة، خاصة في ما يتعلق بقضايا الموظفين وإعادة تفعيل المجلس التشريعي وبرنامج الوفاق الوطني.

وقالت حماس، في بيان لها، إن وفد فتح لم يكمل اللقاءات، وانسحب خلال الجلسة الثانية، موضحة أن فتح رفضت القبول ببرنامج الإجماع الوطني المتمثّل بوثيقة الوفاق، وأصرت على فرض برنامجها السياسي الخاص لتعمل به أي حكومة وحدة مقبلة. وحمّل المتحدث الرسمي باسم حماس، سامي أبو زهري، فتح مسؤولية فشل اللقاءات المنعقدة بين الطرفين في الدوحة. وعلى الرغم من ذلك، أكد أبو زهري استمرار حركته في تحمّل مسؤولياتها تجاه الشعب الفلسطيني، وتمسكها كذلك بتحقيق المصالحة بالرغم من مواقف حركة فتح[454].

ولكن منذ التوقيع على اتّفاق الشاطئ، تراكمت الخلافات «الكبيرة» بين فتح وحماس وكانت تتمحور حول قضايا محددة في ملفّ المصالحة، إذ لم تتخلّ حماس عن إدارة المعابر مع قطاع غزّة، فيما لم تصرف حكومة التوافق رواتب موظّفي غزّة الذين عيّنتهم حماس عقب سيطرتها على غزّة في عام 2007، (عددهم أكثر من 40 ألف موظف)، ونتيجة لذلك لم يلتزم الطرفان بتنفيذ بقية البنود[455].

453 https://arabic.sputniknews.com/analysis/201602101017426934

454 https://arabic.rt.com/news/828367-%D981%%D8%B4%D984-%%D8%AD%D988%%D8%A7%D8%B1%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D984%%D8%AF%D988%%D8%AD%D8%A9-%D98%4%D984%%D985%%D8%B5%D8%A7%D984%%D8%AD%D8%A9-%D8%A8%D98%A%D986-%%D981%%D8%AA%D8%AD-%D988%%D8%AD%D985%%D8%A7%D8%B3/

455 http://www.al-monitor.com/pulse/ar/originals/201606//palestine-hamas-fatah-reconciliation-egypt-qatar.html#ixzz4UWnpcRSa

الوساطة القطرية

في 27 تشرين الأول/أكتوبر 2016، التقى وفدان من حركتَي فتح وحماس في الدوحة بقطر حيث أكد رئيس وفد حركة فتح، ودولة فلسطين، محمود عباس، وجوب تحقيق المصالحة الوطنية الفلسطينية، وإزالة أسباب الانقسام من خلال تشكيل حكومة وحدة وطنية، وإجراء الانتخابات. وتم خلال اللقاء البحث في مختلف المواضيع ذات العلاقة، والتأكيد على ضرورة استئناف الحوار الذي تستضيفه دولة قطر بين الحركتَين بمشاركة رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل، ورئيس الوزراء الأسبق إسماعيل هنية. واتفق الطرفان على أن تحقيق المصالحة يعتبر المدخل الرئيس لحماية المشروع الوطني الفلسطيني ومواجهة ودحر مخططات الحكومة الإسرائيلية الهادفة إلى تدمير خيار الدولتين. وأكدا أن لا دولة فلسطينية في غزة ولا دولة فلسطينية من دون قطاع غزة.[456] وشهدت هذه الجولة الرابعة من جهود إنهاء حال الانقسام وتحقيق المصالحة الوطنية الفلسطينية، انفراجًا كبيرًا واتفاقًا على حلّ أهم النقاط الخلافية، واستمرار الوسيط القطري في العمل على حلّ النقاط الفرعية[457].

يوم الثلاثاء 2016/11/29 عقدت حركة فتح مؤتمرها العام السابع بمشاركة رئيس دولة فلسطين محمود عباس، في قاعة أحمد الشقيري في مقر الرئاسة بمدينة رام الله، بحضور 60 وفدًا من 28 دولة، ومشاركة من حركة حماس وغياب كامل لجماعة محمد دحلان. قال النائب أحمد الحاج علي الذي ألقى كلمة باسم رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل في مؤتمر فتح، إن مشاركة الحركة لم تكن «بروتوكولية ولا رفعًا للعتب، وإنما إحساسًا بالمسؤولية حيال الشعب الفلسطيني عامة». ورأى الحاج علي أن حماس عليها مسؤولية أيضًا في رأب الصدع مع حركة فتح وكان عليها أن تقدّم تصورًا لذلك، وقد ترجمته في دعوة مشعل في المؤتمر بأن تجسّد الحركتان شراكة حقيقية في ما سماه «النضال والقرار»، لأنه -بحسب قوله- لا يجوز أن يتصدّر طرف بمفرده قضية الشعب الفلسطيني[458].

456 http://www.alhadath.ps/tag/283/%D8%A7%D984%%D985%%D8%B5%D8%A7%D984%%D8%AD%D8%A9-%D8%A8%D98%A%D986-%%D8%AD%D985%%D8%A7%D8%B3-%D988%%D981%%D8%AA%D8%AD

457 http://www.alhadath.ps/article/47016/%D8%B5%D8%AD%D98%A%D981%%D8%A9-%D982%%D8%B7%D8%B1%D98%A%D8%A9-%D8%AD%D985%%D8%A7%D8%B3-%D988%%D981%%D8%AA%D8%AD-%D8%AA%D8%AA%D981%%D982%%D8%A7%D986-%%D8%B9%D984%%D989-%%D8%AD%D984-%%D8%A7%D984%%D986%%D982%%D8%A7%D8%B7-%D8%A7%D984%%D8%AE%D984%%D8%A7%D981%%D98%A%D8%A9

458 http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/201630/11//%D8%AD%D985%%D8%A7%D8%B3-%D981%%D98%A-%D985%%D8%A4%D8%AA%D985%%D8%B1-%D981%%D8%AA%D8%AD-%D8%A7%D8%B9%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D981-%%D985%%D

حماس والمشروع السياسي الجديد

بعد مرور زهاء ثلاثين عامًا على تأسيس حماس، وبالتزامن مع تحضيرات الحركة لانتخاباتها الداخلية، اتّجهت الحركة نحو الإعلان عن وثيقة سياسيّة جديدة، تختلف عن ميثاقها الصادر عام 1988 وهو الوثيقة الأساسيّة التي تعبرّ عن المبادئ الفكريّة والوطنيّة للحركة. وقد دأبت الحركة بين حين وآخر، في إصدار بيان توضيحي، أو مذكّرة تفسيريّة، ترسلهما إلى الجهّات العربيّة والدوليّة عند كلّ موقف. وفي عام 2006، أصدرت برنامجها السياسيّ للانتخابات التشريعيّة، قدّمت فيه مواقفها من قضايا التعليم والصحّة ومكافحة الفساد، وهو يعتبر وثيقة رسمية في الحركة قدّمتها للناخبين الفلسطينيين. وفي 2014، نشر أحد مفكّري حماس السياسيّين، الدكتور يوسف رزقة، ورقة بحثيّة عن الرؤية السياسيّة للحركة[459]، أبدى فيها اهتمامًا ملحوظًا بقضايا المواطنة وحقوق الإنسان والمساواة وحريّة التعبير. وعلى الرغم من أن تلك الورقة ليست من وثائق حماس الرسمية، إلا أنها كانت من ثمار نقاشاتها الداخلية[460]. وبحسب معلومات أولية[461]، فإن قيادات الحركة، ونخبة من المفكّرين الفلسطينيّين والعرب، ساهمت بإعداد الوثيقة الجديدة التي تعبرّ عن نضوج الحركة سياسيًّا وفكريًّا واستفادتها من تجاربها وتجارب الشعب الفلسطيني السابقة، خصوصًا من مشاركتها في الانتخابات التشريعيّة عام 2006، ومواجهتها الحروب الإسرائيليّة الثلاث على غزّة في أعوام 2008، 2012، و2014، وصولاً إلى الحوار المستمر مع حركة فتح[462].

لم تتأخّر حماس عن التنبّه إلى مستجدّات المنطقة، منذ الربيع العربي، وكانت علاقاتها مع دول الجوار أبرز نقاط التنبّه خصوصًا مع بروز الحلف المصري الخليجي المعادي للإخوان المسلمين بعد إسقاط الرئيس المصري محمد مرسي. وقد أبدت حركة حماس الكثير من المرونة، وضاعفت من الحديث عن الشراكة السياسيّة مع الفصائل الفلسطينيّة ومع منظّمة التحرير والسلطة الفلسطينيّتَين، وطالبت بالبحث الجدي حول شكل النظام السياسيّ الفلسطيني. وكانت حماس مبادرة

8%AA%D8%A8%D8%A7%D8%AF%D984%

459 أستاذ الأدب والنقد في الجامعة الإسلامية بغزة وقد عمل وزيرًا للإعلام في حكومة السلطة الفلسطينية العاشرة سنة 2006، ثم مستشارًا سياسيًا لرئيس الوزراء من 2007 حتى 2014. وهذه الدراسة أجازت حماس نشرها في كتاب «حركة المقاومة الإسلامية حماس: دراسات في الفكر والتجربة»، الذي قام بتحريره محسن محمد صالح وصدر عن مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت 2014، الصفحات 61-108.

460 عدنان أبو عامر: استحقاقات حماس بين انتخاباتها الداخلية ووثيقتها السياسية، جريدة العربي الجديد، 24 تشرين الأول/أكتوبر 2016.

461 أنجزت كتابة هذا النص في شهر تشرين الأول/أكتوبر من العام 2016 أي قبل عدة أشهر على صدور الوثيقة الجديدة لحركة حماس والمنشورة هنا في الملحق. وكنت قد حصلتُ على البنود الأساسية لهذه الوثيقة من لقاء خاص مع الأخوين خالد مشعل وإسماعيل هنية في الدوحة بتاريخ 23 أيلول/سبتمبر 2016.

462 المرجع نفسه.

في إعادة تموضعها في علاقاتها الإقليميّة والدوليّة. فبالإضافة إلى تحالفها المعلن مع قطر وتركيا، تحاول الحركة ترميم علاقاتها مع السعودية ودول الخليج ومع مصر، مع الإبقاء على علاقاتها مع إيران وحزب الله. وعلى مقلب آخر، تعمل الحركة جاهدة لكسر الحصار الدولي وهي نجحت مرارًا وتكرارًا في تنظيم حملات الدعم عبر أسطول الحرية الذي يحمل الكثير من الناشطين الدوليين إلى شواطئ غزة. كما تقود الحركة نضالات واسعة في الغرب إلى جانب حملة المقاطعة الدولية للكيان الصهيوني. وتبدو الأكثر استعدادًا ومرونة من بين جماعات الإخوان المسلمين في العالم في عملية التكيّف مع الظروف السياسيّة الجديدة في المنطقة والعالم، خصوصًا بعد تشكيل التحالفات الدولية والإقليمية للـ«حرب على الإرهاب». وقد نجحت الحركة (كما حركة النهضة في تونس والجبهة الإسلامية القومية في السودان وحزب العدالة والتنمية في المغرب) في تقديم خطاب إسلاميّ جديد، منفتح وديموقراطي، وأخذت مسافة واسعة عن التنظيمات السلفيّة والجهادية المتطرفة.

النقد الذاتي لحركة حماس

خلال ندوة في الدوحة، أقامها مركز الجزيرة للدراسات، عن التحوّلات في الحركات الإسلامية، أكد خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، في كلمة له بعنوان «المقاومة الفلسطينية وتحولات الربيع العربي»، (بتاريخ 24 أيلول/سبتمبر 2016)، أن الحركة «تنحاز لتطلّعات الشعوب باعتبارها حركة شعبية في الأساس، ولن تنحاز إلى أنظمة ضد شعوبها»، موضحًا أن «حماس هي حركة مقاومة، وتحرّر وطني ومعركتها الأساسية ضد الاحتلال، لكن، بلا شك، هي ذات فكر إسلامي ولها أداؤها السياسي». ولفت إلى أن «تجربة حماس كانت ملهمة للدول العربية وقدّمت نموذجين للأمة وللربيع العربي، المقاومة والبطولات من جهة، ثم النموذج الشعبي وكيف يواجه الطفل الدبابة، ما أدى إلى إعطاء نموذج لإمكانية مواجهة قمع السلطة». وذكر أن الحركة لم تحصر نفسها بمحور بل «طرقت باب الجميع بما في ذلك دول الاعتدال لأن الحركة تؤمن أن قضية الأمّة لا بد أن تكون فلسطين، وأننا لسنا جزءًا من التقسيمات في المنطقة».

ولفت مشعل إلى «تأثّر حماس بثورات الربيع العربي والثورات المضادة»، مشيرًا إلى «عدم التدخّل في صراعات المنطقة، مع توضيح موقفنا بلا التباس، فنحن مع الشعوب ومع الأمة واستقرارها أيضًا». وأضاف: «نجتهد في إدارة علاقاتنا السياسية مع دول المنطقة استنادًا إلى مصالحنا وضروراتها كحركة تحرّر ومقاومة، وإذا تعارضت المصالح ننحاز إلى مبادئنا». وبينّ أن حماس، «تعاملت في مرحلة الربيع

العربي بالالتفات للذات، وبالحرص على ترتيب البيت الفلسطيني، كما أنها تنازلت لاحقًا عن الحكومة وأصبح (إسماعيل هنية) رئيس وزراء سابقًا».

ودعا مشعل إلى «تحقيق المصالحة الفلسطينية»، مشددًا على أن «نظرية البديل نظرية خاطئة، والمنهج الصحيح هو الشراكة والتوافق». واعتبر أن الحركة «أخطأت عندما استسهلت حكم قطاع غزة بمفردها بعد أحداث الانقسام الفلسطيني مع حركة فتح، عقب فوزها بالانتخابات البرلمانية عام 2006، وظنّت أنه أمر ميسور ثم اكتشفت أنه صعب»، مؤكدًا أن «القرار السياسي والنضالي لا يحق لأحد التفرد به»، وتابع: «أخطأنا عندما ظننا أن زمن فتح مضى، وحلّ زمن حماس، وفتح أخطأت عندما أرادت إقصاءنا».

خاتمة: فتح وحماس: الماضي والحاضر

لا بد في الختام من التأكيد على أن حماس ككلّ ظاهرة اجتماعية سياسية ليست حركة جامدة أو أن خطابها خطاب ثابت لم ولا يتغير؛ فقد شهد هذا الخطاب، كما شهدت الحركة نفسها وممارستها، العديد من التطورات والتغيرات المهمة أدت إلى تحولها تدريجيًا من حركة ذات طابع دعوي ديني على النمط الإخواني الكلاسيكي إلى حركة وطنية جهادية (من نوع جديد) ذات خطاب سياسي برغماتي (على النمط الفتحاوي) لا يرتكز على الإحالات الدينية أو على مرجعية الشرع وحده. فبين خطاب وعمل المؤسّسين الأوائل أيام المجمع الإسلامي والجامعة الإسلامية في غزة ونشاطاتهم السياسية والاجتماعية الدعوية (1967-1987) من ناحية، وخطاب وممارسة المقاومة الوطنية ضد إسرائيل وصعود الجناح العسكري للحركة من ناحية أخرى، وصولاً إلى خطاب رئيس المكتب السياسي السابق خالد مشعل ووثيقة الحركة الجديدة، فرق كبير هو بالتأكيد لصالح السياسة البرغماتية وفكرة التحرّر الوطني والمقاومة الشعبية المدنية الشاملة.

لا بل يمكننا استعادة ما كان كتبه خالد الحروب عن أن هذا الاتجاه «سيتعزز أكثر في الفترة التي تلت اتفاقيات أوسلو 1993؛ حيث اختفى «الديني» من خطاب حماس ليحلّ محلّه السياسي بشكل شبه كامل، كما ستطغى الاعتبارات السياسية على حسابات الحركة، وتتضاءل أهمية المحور الدعوي»، كما شهدت تلك الفترة «تحوّلاً محوريا يتعلق برؤية الحركة للصراع مع إسرائيل؛ حيث بدأت الحركة تدرك أن مطلب « تحرير فلسطين من النهر إلى البحر» غير واقعي، بعد أن تجاوزته التطورات والأحداث؛ وهو ما تمثّل في تصريحات الشيخ أحمد ياسين

بأن الحركة مستعدة لقبول دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، ولعقد هدنة طويلة مع إسرائيل»[463].

مثّلت انطلاقة حركة حماس ودخولها ميدان المقاومة ضد الاحتلال الصهيوني كحالة استثنائية في جماعة الإخوان المسلمين تأسيسًا لوضع جديد، إذ أصبحت طرفًا في الصراع الوطني ضد الاحتلال سياسيًا وعسكريًا وخفت العلاقة الصدامية مع الحركة الوطنية ومع أطراف إقليمية عدة منها إيران، وانتهى الخطاب التكفيري للشيعة.[464]

ومن جهة أخرى، فإن تغييب الشيخ أحمد ياسين وخليفته عبد العزيز الرنتيسي كان نقطة مفصلية في مسيرة تحوّلات الحركة؛ فبغياب القائدَين الرمزَين لم تعد هناك سلطة مركزية في الحركة تستفرد بعملية اتخاذ القرار، بل توزّعت سلطة اتّخاذ القرار بين قيادات عدة. وما يثير الاهتمام هو أن كلّ القرارات الرئيسة التي اتّخذتها حماس (مثل قرار خوض الانتخابات وتشكيل حكومة) جرى تبريرها على أساس سياسي صرف دون الدخول في جدل ديني حول حلّ أو حرمة المشاركة في انتخابات تنظّم بمقتضى اتفاقات مع العدو الصهيوني[465].

إيديولوجية الحركة اليوم خليط من أفكار واتّجاهات عدة، من دون أن يعني ذلك قطيعة مع ميراث الإخوان المسلمين. هذا الميراث يتمثّل في حرص الحركة على الحفاظ على وحدتها؛ فحماس هي الفصيل الفلسطيني الوحيد الذي لم يشهد انشقاقات داخل صفوفه حتى اليوم بفضل استعدادها للتضحية بأي مكسب استراتيجي مهما كانت أهميته إذا كان ذلك سيهدد وحدتها الداخلية، فيجب أن لا تغيب الحسابات والاعتبارات الداخلية للحركة عن بال من يحاول تحليل مواقفها وقراراتها[466].

والحال أن العلاقة بين حركتي فتح وحماس تحمل إرثًا تاريخيًا-نفسيًا لم يستطع الجيل الأول من مؤسسي حماس التخلّص منه، إلا أنها تحمل أيضًا إرثًا سياسيًا-نظريًا صار من الضروري اليوم العودة إلى إطلاقه والحوار حوله.

إن فتح، وعلى الرغم مما كان يعتريها من نواقص من الناحية التنظيمية الداخلية أو من الناحية المسلكية بالنسبة إلى البعض، أو من ناحية العقلية والتركيبة

---

463 في ندوة نظمها برنامج الشرق الأوسط في معهد الدراسات السياسية في باريس، الخميس 9 نيسان/إبريل 2010، وأدارها جيل كيبيل.

464 فتحي الشقاقي، مقابلة مع صحيفة الشرق الأوسط، 1995/3/17.

465 خالد الحروب في ندوة باريس، مرجع سابق.

466 المرجع نفسه.

العشائرية، إلا أنها كانت أفضل إنجاز ثوري تحرّري عربي، وأفضل إنجاز وطني استقلالي فلسطيني، في القرن العشرين. ولم تكن فتح لقادرة على تحقيق ما حققته للشعب الفلسطيني لولا تمتعها بشيئ مميز يشكل قطيعة تاريخية مع تراث الإخوان وأحزاب البعث والشيوعي من الأساس. ففتح هي التي صنعت انطلاقة الثورة الفلسطينية المعاصرة وهي التي أعادت المبادرة للكفاح المسلح والمقاومة بعد «نكسة» حزيران 67، وهي التي أخذت قرار الصمود والمواجهة في الكرامة 68، وهي التي حمت استمرارية البنّادق وخط الكفاح المسلح ووقفت في مقدمة الصراع والمعارك ضد العدو الصهيوني... وفتح هي التي جمعت في صفوفها الحشد الأكبر من الكفاءات والقدرات الثورية والإنسانية، وهي التي قدمت أكبر التضحيات في الأرض المحتلة كما على خطوط التماس في الأردن ولبنان. والشيء المميّز وسر نجاحات فتح هو تلك التعددية التي لم يسبق أن عرفت أية تجربة ثورية عالمية مثيلًا لها... ونحن نتكلّم عن منتصف القرن العشرين أي قبل نصف قرن على بروز موضوعات التعددية والرأي الآخر في الفكر السياسي العالمي...

لقد كانت فتح تتقدّم في قيادتها للشعب الفلسطيني وفقًا لقانون المحصّلة: أي خروج محصّلة عامة من خلال تصارع عدة آراء واتجاهات في داخلها ومن خارجها. ففتح لم تعمل ضمن خط الانتظام الصارم المركزي الفوقي على غرار الأحزاب الشيوعية والبعث والإخوان. تقدّمت فتح من خلال الاجتهادات المتعددة وأحيانًا المتضاربة في الإيديولوجيا والسياسة والممارسة ومن خلال التنوّع المشهود من جهة الأصول التي جاءت منها قياداتها وكوادرها وقواعدها. فهي كانت تعكس في داخلها كلّ الوضع العربي الرسمي والشعبي، والوضع الفلسطيني بمختلف تياراته. فهي كانت حالة مركبة معقّدة. كما أن قيادة فتح اتسمت بروح عجيبة في احتمال النقد والتجريح والتهجّمات التي كانت تصل إلى حدود من القسوة والعدائية لا يمكن احتمالها. وكان هناك دائمًا وحدة على مستوى القيادة الأساسية، ولا سيما في مواجهة التحديات الكبرى، وكان هناك قدرة لعودة المياه إلى مجاريها كأن شيئًا لم يكن ومن دون أن يمنع ذلك أو يلغي العودة المستمرة لتفجّر الخلافات والتناقضات والاتّهامات... وهذا ما دفع بالكثيرين إلى اعتبار أن ما يحصل هو من قبيل توزيع الأدوار بينما هو في الواقع تعبير عن تلك التركيبة الداخلية الفتحاوية ابتداء من مستوى القيادة، والتي لا تقوم على أساس المركزية والطوطمية الحزبية، بل تسمح بتعدد وجهات النظر، ونزولها إلى الكوادر والقواعد، وخروجها إلى العلن، وتشجيع المبادرات على اختلافها. إن الذي سمح بمثل هذا النمط من العلاقات الداخلية هو طبيعة العلاقة بين أفراد القيادة أولًا، ثم منهج قيادة فتح في احتواء كلّ التناقضات والاتّجاهات بداخلها، ومنهجها في مراعاة الضغوط والمحاور العربية والدولية، الأمر الذي كان يفترض التسامح إلى حد ما مع الاختراقات، لكن ضمن حدود.

ما ميّز فتح بالنسبة إلى جيلنا العربي أمر أساسي هو الخط السياسي الصحيح المتماسك والمتمحور حول قضية التحرير والاستقلال والعودة، والتحليل الصحيح للوضع العام ولميزان القوى، المحلي والاقليمي والدولي، وعند كلّ مرحلة ومنعطف، مع خط فكري صحيح هو خط مرحلة التحرّر الوطني الديموقراطي وحرب الشعب الطويلة الأمد. وهو خط أصيل وتاريخي، ينسجم مع واقع وتطلّعات الشعب الفلسطيني، كما الشعوب العربية، في المزاوجة بين الأصالة والحداثة، وفي التوفيق بين القديم والجديد، وفي الإطلالة على روح العصر ومتغيرّاته، مع التمسّك بموقف مبدئي يحمل أكبر درجة من الثبات... وقد حافظت فتح في بداياتها على معنى ثوري عميق، وهو أن المبادئ ليست شيئًا مؤجّلاً، كما أن الاستراتيجية ليست مسألة بعيدة قائمة بذاتها لا علاقة لها بالتكتيك اليومي، فاستحقت عن جدارة شرف قيادة حركة التحرّر الوطني الفلسطيني. إن هذه الأفكار والمنهجيات هي ما تحتاج اليوم إلى الحوار حوله كلّ من حركتَي فتح وحماس وإلى استعادته وتطويره وذلك من أجل نهضة جديدة للشعب الفلسطيني وثورته وحركته الوطنية التحرّرية....

ملحق 1

كلمة خالد مشعل في المؤتمر السابع لحركة فتح[467]

الأخ العزيز أبو مازن محمود عباس حفظه الله، رئيس اللجنة المركزية لحركة فتح، رئيس اللجنة التنفيذية لمنظّمة التحرير، رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية،

الإخوة والأخوات أعضاء اللجنة المركزية لحركة فتح، وأعضاء مؤتمرها العام السابع، وجميع قيادتها وكوادرها، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،

فإن مؤتمركم الكريم هذا ينعقد في ظروف معقدة واستثنائية لها انعكاساتها على قضيتنا الفلسطينية وعلى الواقع الإقليمي من حولنا مما يضاعف من مسؤولياتنا الوطنية جميعًا ويزيد من حجم المسؤولية الملقاة عليكم تجاه حركتكم وشعبكم وشركائكم في الوطن وأنتم تتداولون في جدول أعمالكم وترسمون مواقفكم وسياساتكم.

وأني إذ أخاطبكم بهذه الكلمات فمن منطلق إننا شركاء في الوطن والقضية والنضال والقرار، ونحن في حركة المقاومة الإسلامية «حماس» جاهزون لكلّ مقتضيات هذه الشراكة معكم في فتح ومع جميع الفصائل والقوى والشخصيات الوطنية، وذلك لمصلحة شعبنا وقضيتنا ولمصلحة نضالنا ومعركتنا مع الاحتلال الإسرائيلي.

ومن هنا، فإننا نتمنى لكم النجاح والتوفيق في أعمال مؤتمركم هذا والوصول إلى نتائج إيجابية ومخرجات سديدة بما يعزز صفكم ووحدتكم الداخلية أولاً، ويجدّد ثانيًا أداء الحركة وبرنامجها النضالي الذي عُرف عنها وتميّزت به منذ كانت الثورة الفلسطينية المعاصرة والتي كان على رأسها القائد الشهيد المرحوم ياسر عرفات رحمه الله.

467 http://safa.ps/post/195672/%D983% %D984% %D985% %D8%A9-%D8%AD%D985%%D8%A7%D8%B3-%D981%%D98%A-%D8%A7%D984%%D985%%D8%A4%D8%AA%D985%%D8%B1-%D8%A7%D984%%D8%B3%D8%A7%D8%A8%D8%B9-%D986%%D8%AD%D986-%%D8%B4%D8%B1%D983%%D8%A7%D8%A1-%D981%%D98%A-%D8%A7%D984%%D988%%D8%B7%D986-%%D988%%D8%A7%D984%%D982%%D8%B1%D8%A7%D8%B1

ويرسّخ ثالثًا مناخ الوحدة وروح الشراكة الوطنية التي تساعد على سرعة إنجاز المصالحة وإنهاء الانقسام وترتيب بيتنا الفلسطيني وبناء مؤسساتنا الوطنية. ثم أخيرًا بما يمكّننا من العمل معًا وبجميع طاقات شعبنا العظيم وقواه ومكوناته في الداخل والخارج في مقاومة الاحتلال والاستيطان والتهويد ومواجهة عدوانه وجرائمه وكسر الحصار عن غزة، وذلك وفق برنامج نضالي وسياسي وطني مشترك نتوافق عليه، مما يضاعف قوتنا ومقاومتنا ويجسّد وحدتنا وشراكتنا ويحمي قرارنا الفلسطيني المستقل، ويقرّبنا بإذن الله إلى لحظة النصر والتحرير والعودة واستعادة القدس والأقصى وجميع مقدّساتنا الإسلامية والمسيحية، وإنجاز مشروعنا الوطني، وإقامة دولتنا الفلسطينية المستقلة ذات السيادة الكاملة وعاصمتها القدس، وكذلك عودة اللاجئين إلى أرضهم وإعادة الحرية لأسرانا وأسيراتنا البواسل جميعًا.

الإخوة الكرام،

من البداهة والمنطق الطبيعي والوطني أن يحرص أبناء الشعب الواحد والقضية الواحدة على بعضهم البعض وعلى نجاح المجموع الوطني. فإن كلّ إنجاز ونجاح لفصيل هو إنجاز ونجاح لبقية الفصائل والقوى ورصيد متراكم لأصل الموضوع وهو الشعب والقضية فكيف حين يمر شعبنا وقضيتنا بهذه الظروف الخطيرة وغير المسبوقة. فإن هذا الحرص المتبادل يصبح من الضرورات والمسائل المصيرية التي لا يجوز التفريط فيها بحال من الأحوال مهما كانت الظروف والمبررات أو الخلافات والتباينات، فالوطن أكبر منا ويكبر بنا والقضية تحتاجنا جميعًا وتنتصر بوحدتنا وشراكتنا وباجتماع جهودنا وجهادنا معًا.

وهذه الكلمات التي أكتبها لكم ما هي إلا تعبير نابع من قلبي وعقلي عن هذه الرؤية والقناعات التي أؤمن بها وإخواني، أحببت أن أتبادلها معكم في مؤتمركم الكريم متمنيًا كلّ نجاح وتوفيق،

الرحمة للشهداء والشفاء للجرحى والحرية للأسرى والعزّ لأبطال المقاومة والنصر لشعبنا وأمتنا

وستظل القدس رمز قضيتنا العادلة وعاصمة دولتنا الحرة المستقلّة بإذن الله.

وفقكم الله جميعًا وسدد خطاكم لكلّ خير.

ملحق 2

وثيقة المبادئ والسياسات العامة لحركة المقاومة الإسلامية «حماس»

أذاع خالد مشعل نص الوثيقة في الأول من أيار/مايو 2017

بسم الله الرحمن الرحيم،

حركة المقاومة الإسلامية «حماس"

وثيقة المبادئ والسياسات العامة

الحمد لله ربّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيّد المرسلين وإمام المجاهدين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

مقدمة

فلسطين أرض الشعب الفلسطيني العربي، منها نبت، وعليها ثبت، ولها انتمى، وبها امتدّ واتّصل.

فلسطين أرضٌ أعلى الإسلام مكانتها، ورفع لها مقامَها، وبسط فيها روحَه وقيمه العادلة، وأسّس لعقيدة الدفاع عنها وتحصينها.

فلسطين قضية شعب عجز العالم عن ضمان حقوقه واسترداد ما اغتُصِب منه، وبقيت أرضه تعاني من واحد من أسوأ أشكال الاحتلال في هذا العالم.

فلسطين التي استولى عليها مشروع صهيونيّ إحلاليّ عنصري معادٍ للإنسانية، تأسس على تصريح باطل (وعد بلفور)، واعترافٍ بكيان غاصب، وفرضِ أمرٍ واقعٍ بقوة النار.

فلسطين المقاومة التي ستظل متواصلة حتى إنجاز التحرير، وتحقيق العودة، وبناء الدولة ذات السيادة الكاملة، وعاصمتها القدس.

فلسطين الشراكة الحقيقية بين الفلسطينيين بكلّ انتماءاتهم، من أجل بلوغ هدف التحريرالسامي.

فلسطين روح الأمة، وقضيتها المركزية، وروح الإنسانية، وضميرها الحي.

بهذه الوثيقة تتعمق تجربتُنا، وتشترك أفهامُنا، وتتأسّس نظرتُنا، وتتحرّك مسيرتنا على أرضيات ومنطلقات وأعمدة متينة وثوابت راسخة، تحفظ الصورة العامة، وتُبرز معالمَ الطريق، وتعزِّز أصولَ الوحدة الوطنية، والفهمَ المشترك للقضية، وترسم مبادئ العمل وحدود المرونة.

تعريف الحركة

1- حركة المقاومة الإسلامية «حماس» هي حركة تحرّر ومقاومة وطنية فلسطينية إسلامية، هدفها تحرير فلسطين ومواجهة المشروع الصهيوني، مرجعيَّتها الإسلام في منطلقاتها وأهدافها ووسائلها.

أرضُ فلسطين

2- فلسطين بحدودها من نهر الأردن شرقًا إلى البحر المتوسط غربًا، ومن رأس الناقورة شمالاً إلى أمّ الرشراش جنوبًا وحدة إقليمية لا تتجزّأ، وهي أرضُ الشعب الفلسطيني ووطنُه. وإنَّ طردَ الشعب الفلسطيني وتشريدَه من أرضه، وإقامة كيانٍ صهيونيّ عليها، لا يلغي حقَّ الشعب الفلسطيني في كامل أرضه، ولا ينشئُ أيّ حق للكيان الصهيوني الغاصب فيها.

3- فلسطين أرض عربية إسلامية، وهي أرض مباركة مقدّسة، لها مكانتها الخاصة في قلب كلّ عربي ومسلم.

شعب فلسطين

4- الفلسطينيون هم المواطنون العرب الذين كانوا يقيمون في فلسطين حتّى سنة 1947، سواء من أُخرج منها أم من بقي فيها؛ وكلّ مَنْ ولد من أب عربي فلسطيني بعد هذا التاريخ، داخل فلسطين أو خارجها، هو فلسطيني.

5- الشخصية الفلسطينية صفة أصيلة، لازمة، لا تزول، وهي تنتقل من الآباء إلى الأبناء؛ كما أن النكبات التي حلّت بالشعب الفلسطيني، بفعل الاحتلال الصهيوني وسياسة التهجير التي ينتهجها، لا تفقده شخصيته وانتماءَه ولا تنفيها. كذلك لا يتسبّب حصول الفلسطيني على جنسية أخرى في فقدانه هويته وحقوقه الوطنية.

6- الشعب الفلسطيني شعبٌ واحد، بكلّ أبنائه في الداخل والخارج، وبكلّ مكوّناته الدينية والثقافية والسياسية.

الإسلام وفلسطين

7- فلسطين في موقع القلب من الأمة العربية والإسلامية، وتحتفظ بأهمية خاصة، ففيها بيت المقدس الذي بارك الله حوله، وهي الأرض المقدّسة التي بارك الله فيها للعالمين، وهي قبلة المسلمين الأولى، ومسرى رسول الله محمد -صلىّ الله عليه وسلّم- ومعراجه إلى السماء، ومهد المسيح -عليه السلام- وفي ثراها رفات الآلاف من الأنبياء والصحابة والمجاهدين، وهي أرض القائمين على الحق -في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس- الذين لا يضرّهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله.

8- تفهم حركة حماس الإسلام بشموله جوانب الحياة كافة، وصلاحيته لكلّ زمان ومكان، وروحه الوسطية المعتدلة؛ وتؤمن أنه دين السلام والتسامح، في ظلّه يعيش أتباع الشرائع والأديان في أمن وأمان؛ كما تؤمن أنَّ فلسطين كانت وستبقى نموذجًا للتعايش والتسامح والإبداع الحضاري.

9- تؤمن حماس بأنَّ رسالة الإسلام جاءت بقيم الحق والعدل والحرية والكرامة، وتحريم الظلم بأشكاله كافة، وتجريم الظالم مهما كان دينه أو عرقه أو جنسه أو جنسيته؛ وأنَّ الإسلام ضدّ جميع أشكال التطرّف والتعصب الديني والعرقي والطائفي، وهو الدينُ الذي يربّي أتباعه على ردّ العدوان والانتصار للمظلومين، ويحثّهم على البذل والعطاء والتضحية دفاعًا عن كرامتهم وأرضهم وشعوبهم ومقدساتهم.

القدس

10- القدس عاصمة فلسطين، ولها مكانتها الدينية والتاريخية والحضارية، عربيًا وإسلاميًا وإنسانيًا؛ وجميع مقدّساتها الإسلامية والمسيحية، هي حقّ ثابت للشعب الفلسطيني والأمَّة العربية والإسلامية، ولا تنازل عنها ولا تفريط بأيّ جزء منها؛ وإنَّ كلّ إجراءات الاحتلال في القدس من تهويدٍ واستيطانٍ وتزوير للحقائقِ وطمس للمعالمِ منعدمة.

11- المسجد الأقصى المبارك حق خالص لشعبنا وأمتنا، وليس للاحتلال أي حق فيه، وإن مخططاته وإجراءاته ومحاولاته لتهويد الأقصى وتقسيمه باطلة ولا شرعية لها.

اللاّجئون وحقّ العودة

12- إنَّ القضية الفلسطينية هي في جوهرها قضية أرض محتلّة وشعبٍ مُهجَّر؛ وإنَّ حقَّ العودة للاجئين والنازحين الفلسطينيين إلى ديارهم التي أُخرجوا منها، أو منعوا من العودة إليها، سواء في المناطق التي احتلت عام 1948 أم عام 1967 (أي كلّ فلسطين)، هو حقّ طبيعي، فردي وجماعي، تؤكدُه الشرائع السماوية والمبادئ الأساسية لحقوق الإنسان، والقوانين الدولية، وهو حقّ غير قابل للتصرّف من أيّ جهة كانت، فلسطينية أو عربية أو دولية.

13- ترفض حماس كلّ المشروعات والمحاولات الهادفة إلى تصفية قضية اللاجئين، بما في ذلك محاولات توطينهم خارج فلسطين، ومشروعات الوطن البديل؛ وتؤكد أنَّ تعويضَ اللاجئين والنازحين الفلسطينيين عن الضرر الناتج عن تشريدهم واحتلال أرضهم هو حقّ ملازم لحق عودتهم، ويتم بعد تنفيذ هذا الحق، ولا يلغي حقّهم في العودة ولا ينتقص منه.

المشروع الصهيوني

14- المشروع الصهيوني هو مشروع عنصري، عدواني، إحلالي، توسّعي، قائم على اغتصاب حقوق الآخرين، ومعادٍ للشعب الفلسطيني وتطلّعاته في الحرية والتحرير والعودة وتقرير المصير؛ وإنَّ الكيان الإسرائيلي هو أداة المشروع الصهيوني وقاعدته العدوانية.

15- المشروع الصهيوني لا يستهدف الشعب الفلسطيني فقط، بل هو عدوٌّ للأمَّة العربية والإسلامية، ويشكّل خطرًا حقيقيًا عليها، وتهديدًا بالغًا لأمنها ومصالحها، كما أنّه معادٍ لتطلّعاتها في الوحدة والنهضة والتحرّر، وهو سبب رئيس لما تعانيه الأمة اليوم، ويشكّل المشروع الصهيوني، أيضًا، خطرًا على الأمن والسلم الدّوليَين، وعلى المجتمع الإنساني ومصالحه واستقراره.

16- تؤكّد حماس أنَّ الصراع مع المشروع الصهيوني ليس صراعًا مع اليهود بسبب ديانتهم؛ وحماس لا تخوض صراعًا ضد اليهود لكونهم يهودًا، وإنَّما تخوض صراعًا ضد الصهاينة المحتلّين المعتدين؛ بينما قادة الاحتلال هم من يقومون باستخدام شعارات اليهود واليهودية في الصراع، ووصف كيانهم الغاصب بها.

17- ترفض حماس اضطهاد أيّ إنسان أو الانتقاص من حقوقه على أساس قومي أو ديني أو طائفي، وترى أنَّ المشكلة اليهودية والعداء للسامية واضطهاد اليهود ظواهر ارتبطت أساسًا بالتاريخ الأوروبي، وليس بتاريخ العرب والمسلمين ولا مواريثهم، وأنَّ الحركة الصهيونية -التي تمكّنت من احتلال فلسطين برعاية القوى الغربية- هي النموذج الأخطر للاحتلال الاستيطاني، الذي زال عن معظم أرجاء العالم، والذي يجب أن يزول عن فلسطين.

الموقف من الاحتلال والتسوية السياسية

18- يُعدُّ منعدمًا كلٌّ من تصريح «بلفور»، وصكّ الانتداب البريطاني على فلسطين، وقرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين، وكلّ ما ترتّب عليها أو ماثلها من قرارات وإجراءات؛ وإنَّ قيام «إسرائيل» باطلٌ من أساسه، وهو مناقضٌ لحقوق الشعب الفلسطيني غير القابلة للتصرّف، ولإرادته وإرادة الأمة، ولحقوق الإنسان التي تكفلها المواثيق الدولية، وفي مقدّمتها حقّ تقرير المصير.

19- لا اعترافَ بشرعية الكيان الصهيوني؛ وإنَّ كلّ ما طرأ على أرض فلسطين من احتلال أو استيطان أو تهويد أو تغيير للمعالم أو تزوير للحقائق باطلٌ؛ فالحقوق لا تسقط بالتقادم.

20- لا تنازلَ عن أيّ جزء من أرض فلسطين، مهما كانت الأسباب والظروف والضغوط، ومهما طال الاحتلال. وترفض حماس أي بديلٍ عن تحرير فلسطين تحريرًا كاملاً، من نهرها إلى بحرها.

ومع ذلك -وبما لا يعني إطلاقًا الاعتراف بالكيان الصهيوني، ولا التنازل عن أيٍّ من الحقوق الفلسطينية- فإن حماس تعتبر أن إقامة دولة فلسطينية مستقلّة كاملة السيادة، وعاصمتها القدس، على خطوط الرابع من حزيران/يونيو 1967، مع عودة اللاجئين والنازحين إلى منازلهم التي أخرجوا منها، هي صيغة توافقية وطنية مشتركة.

21- تؤكّد حركة حماس على أن اتفاقات أوسلو وملحقاتها تخالف قواعد القانون الدولي الآمرة من حيث إنها رتّبت التزامات تخالف حقوق الشعب الفلسطيني غير القابلة للتصرّف، ولذلك فإن الحركة ترفض هذه الاتّفاقات، وما ترتّب عليها من التزامات تضرّ بمصالح شعبنا، وخاصة التنسيق (التعاون) الأمني.

22- ترفض حماس جميع الاتّفاقات والمبادرات ومشروعات التسوية الرامية إلى تصفية القضية الفلسطينية أو الانتقاص من حقوق شعبنا الفلسطيني، وإنَّ أيَّ موقفٍ أو مبادرةٍ أو برنامجٍ سياسيّ يجبُ أن لا يمس هذه الحقوق، ولا يجوزُ أن يخالفها أو يتناقضَ معها.

23- تؤكّد حماس أن ظلم الشعب الفلسطيني واغتصاب أرضه وتهجيره منها لا يمكن أن يُسمى سلامًا. وإنَّ أي تسويات تقوم على هذا الأساس، لن تؤدّي إلى السلام؛ وستظلّ المقاومة والجهاد لتحرير فلسطين حقًّا مشروعًا وواجبًا وشرفًا لكلّ أبناء شعبنا وأمتنا.

المقاومة والتحرير

24- إنَّ تحرير فلسطين واجب الشعب الفلسطيني بصفة خاصة، وواجب الأمة العربية والإسلامية بصفة عامة، وهو أيضًا مسؤولية إنسانية وفق مقتضيات الحق والعدل. وإنَّ دوائر العمل لفلسطين سواء كانت وطنية أم عربية أم إسلامية أم إنسانية هي دوائر متكاملة متناغمة، لا تعارض بينها.

25- إنَّ مقاومة الاحتلال، بالوسائل والأساليب كافة، حقّ مشروع كفلته الشرائع السماوية والأعراف والقوانين الدولية، وفي القلب منها المقاومة المسلّحة التي تعدّ الخيارَ الاستراتيجي لحماية الثوابت واسترداد حقوق الشعب الفلسطيني.

26- ترفض حماس المساس بالمقاومة وسلاحها، وتؤكّد على حق شعبنا في تطوير وسائل المقاومة وآلياتها. وإنَّ إدارة المقاومة من حيثُ التصعيدُ أو التهدئة، أو من حيث تنوّعُ الوسائل والأساليب، يندرج كلّه ضمن عملية إدارة الصراع، وليس على حساب مبدأ المقاومة.

النظام السياسي الفلسطيني

27- الدولة الفلسطينية الحقيقية هي ثمرة التحرير، ولا بديلَ عن إقامة الدولة الفلسطينية كاملة السيادة على كلّ التراب الوطني الفلسطيني، وعاصمتها القدس.

28- تؤمن حماس وتتمسّك بإدارة علاقاتها الفلسطينية على قاعدة التعددية والخيار الديمقراطي والشراكة الوطنية وقبول الآخر واعتماد الحوار، بما يعزّز وحدة الصف والعمل المشترك، من أجل تحقيق الأهداف الوطنية وتطلّعات الشعب الفلسطيني.

29- منظّمة التحرير الفلسطينية إطار وطني للشعب الفلسطيني في الداخل والخارج يجب المحافظة عليه، مع ضرورة العمل على تطويرها وإعادة بنائها على أسس ديمقراطية، تضمن مشاركة جميع مكوّنات وقوى الشعب الفلسطيني، وبما يحافظ على الحقوق الفلسطينية.

30- تؤكّد حماس على ضرورة بناء المؤسسات والمرجعيات الوطنية الفلسطينية على أسس ديمقراطية سليمة وراسخة، في مقدمتها الانتخابات الحرة والنزيهة، وعلى قاعدة الشراكة الوطنية، ووفق برنامج واستراتيجية واضحة المعالم، تتمسّك بالحقوق وبالمقاومة، وتلبّي تطلّعات الشعب الفلسطيني.

31- تؤكّد حركة حماس على أن دور السلطة الفلسطينية يجب أن يكون في خدمة الشعب الفلسطيني وحماية أمنه وحقوقه ومشروعه الوطني.

32- تؤكّد حماس على ضرورة استقلالية القرار الوطني الفلسطيني، وعدم ارتهانه لجهات خارجية، وتؤكّد في الوقت ذاته على مسؤولية العرب والمسلمين وواجبهم ودورهم في تحرير فلسطين من الاحتلال الصهيوني.

33- إنَّ مختلفَ مكوّنات المجتمع من شخصيات ورموز ووجهاء ومؤسسات المجتمع المدني، والتجمّعات الشبابية والطلابية والنقابية والنسائية، العاملة من أجل تحقيق الأهداف الوطنية، هي روافد مهمّة لعملية البناء المجتمعي ولمشروع المقاومة والتحرير.

34- إن دور المرأة الفلسطينية أساس في بناء الحاضر والمستقبل، كما كان دائمًا في صناعة التاريخ الفلسطيني، وهو دور محوري في مشروع المقاومة والتحرير وبناء النظام السياسي.

الأمة العربية والإسلامية

35- تؤمن حماس أن قضية فلسطين هي القضية المركزية للأمة العربية والإسلامية.

36- تؤمن حماس بوحدة الأمَّة بكلّ مكوّناتها المتنوّعة، وترى ضرورةَ تجنب كلّ ما من شأنه تمزيق صف الأمة ووحدتها.

37- تؤمن حماس بالتعاون مع جميع الدول الداعمة لحقوق الشعب الفلسطيني، وترفض التدخّل في الشؤون الداخلية للدول، كما ترفض الدخول في النزاعات والصراعات بينها. وتتبنّى حماس سياسة الانفتاح على مختلف دول العالم، وخاصة العربية والإسلامية؛ وتسعى إلى بناء علاقات متوازنة، يكون معيارُها الجمعَ بين

متطلّبات القضية الفلسطينية ومصلحة الشعب الفلسطيني، وبين مصلحةِ الأمَّة ونهضتها وأمنها.

الجانب الإنساني والدولي

38- إنَّ القضية الفلسطينية قضية ذات أبعاد إنسانية ودولية كبرى؛ وإنَّ مناصرتها ودعمها هي مهمَّة إنسانية وحضارية، تفرضها مقتضيات الحق والعدل والقيم الإنسانية المشتركة.

39- إنَّ تحريرَ فلسطين من ناحية قانونية وإنسانية عمل مشروع تقتضيه ضرورات الدفاع عن النفس، وحقّ الشعوب الطبيعي في تقرير مصيرها.

40- تؤمن حماس، في علاقاتها مع دول العالم وشعوبه، بقيم التعاون، والعدالة، والحرية، واحترام إرادة الشعوب.

41- ترحّب حماس بمواقف الدول والمنظّمات والهيئات الداعمة لحقوق الشعب الفلسطيني، وتحيّي أحرار العالم المناصرين للقضية؛ كما تدين دعمَ أيّ جهة أو طرف للكيان الصهيوني، أو التغطية على جرائمه وعدوانه على الفلسطينيين، وتدعو إلى ملاحقة مجرمي الحرب الصهاينة.

42- ترفض حماس محاولات الهيمنة على الأمة العربية والإسلامية، كما ترفض محاولات الهيمنة على سائر الأمم والشعوب، وتدين أيّ شكل من أشكال الاستعمار والاحتلال والتمييز والظلم والعدوان في العالم.

1 أيار (مايو) 2017 م

ملحق 3

الميثاق القومي الفلسطيني

أقره المجلس الوطني الفلسطيني في جلسته المنعقدة بالقدس يوم الثلاثاء في 2 حزيران/يونيو 1964

مقدمة:

نحن الشعب العربي الفلسطيني الذي خاض معارك ضارية متّصلة من أجل الحفاظ على وطنه والدفاع عن شرفه وكرامته والذي قدّم عبر السنين قوافل متتابعة من الشهداء الخالدين وسطّر أروع صفحات البذل والتضحية والفداء.

نحن الشعب العربي الفلسطيني الذي تألّبت عليه عوامل الظلم والشر والعدوان وتآمرت عليه قوى الصهيونية العالمية والاستعمار وعملت على تشريده واغتصاب دياره وأراضيه واستباحة حرماته وانتهاك مقدّساته فما استكان أو لانت له قناة.

نحن الشعب العربي الفلسطيني الذي آمن بعروبته وبحقه في استخلاص وطنه وتحقيق حريته وكرامته وصمم على حشد قواه وتعبئة كلّ جهوده وطاقاته من أجل متابعة نضاله والسيرقدمًا على طريق الجهاد المقدس حتى يتحقق له النصر النهائي الكامل.

نحن الشعب العربي الفلسطيني استنادًا إلى حقنا في الدفاع عن النفس واسترداد الوطن السليب بكامله وهو الحق الذي أقرته الأعراف والمواثيق الدولية وفي مقدّمتها ميثاق الأمم المتحدة.

وتطبيقًا لمبادئ حقوق الإنسان وإدراكًا منا لطبيعة العلاقات السياسية الدولية بمختلف أبعادها ومراميها.

واعتبارًا للتجارب التي خلت في كلّ ما يتعلّق بأسباب النكبة وأساليب مجابهتها.

وانطلاقًا من الواقع العربي الفلسطيني ومن أجل عزة الإنسان الفلسطيني وحقه في الحياة الحرة الكريمة.

وشعورًا منا بالمسؤولية القومية الخطيرة الملقاة على عاتقنا.

من أجل هذا كلّه:

نحن الشعب العربي الفلسطيني نملي هذا الميثاق الفلسطيني ونعلنه ونقسم على تحقيقه:

مادة 1 - فلسطين وطن عربي تجمعه روابطه القومية العربية بسائر الأقطار العربية التي تؤلّف معها الوطن العربي الكبير.

مادة 2 - فلسطين بحدودها التي كانت قائمة في عهد الانتداب البريطاني وحدة إقليمية لا تتجزأ.

مادة 3 - الشعب العربي الفلسطيني هو صاحب الحق الشرعي في وطنه وهو جزء لا يتجزأ من الأمة العربية يشترك معها في آمالها وآلامها وفي كفاحها من أجل الحرية والسيادة والتقدم والوحدة.

مادة 4 - شعب فلسطين يقرر مصيره بعد أن يتم تحرير وطنه ووفق مشيئته وبمحض إرادته واختياره.

مادة 5 - الشخصية الفلسطينية صفة أصيلة لازمة لا تزول وهي تنتقل من الآباء إلى الأبناء.

مادة 6 - الفلسطينيون هم المواطنون العرب الذين كانوا يقيمون إقامة عادية في فلسطين حتى عام 1947 سواء من أخرج منها أو بقي فيها وكلّ من ولد لأب عربي فلسطيني بعد هذا التاريخ داخل فلسطين أو خارجها هو فلسطيني.

مادة 7 - اليهود الذين هم من أصل فلسطيني يُعتبَرون فلسطينيون إذا كانوا راغبين بأن يلتزموا العيش بولاء وسلام في فلسطين.

مادة 8 - إن تنشئة الجيل الفلسطيني تنشئة عربية قومية واجب قومي رئيسي ويجب اتّخاذ جميع وسائل التوعية والتثقيف لتعريفه بوطنه تعريفًا روحيًا عميقًا يشدّه على الدوام إلى وطنه شدًّا وثيقًا راسخًا.

مادة 9 - المذاهب العقائدية سياسية كانت أو اجتماعية أو اقتصادية لا تشغل أهل فلسطين عن واجبهم الأول في تحرير وطنهم، والفلسطينيون جميعًا جبهة وطنية واحدة يعملون لتحرير وطنهم بكلّ مشاعرهم وطاقاتهم الروحية والمادية.

مادة 10 - يكون للفلسطينيين ثلاثة شعارات: الوحدة الوطنية والتعبئة القومية والتحرير.

وبعد أن يتم تحرير الوطن يختار الشعب الفلسطيني لحياته العامة ما يشاء من النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

مادة 11 - الشعب الفلسطيني يؤمن بالوحدة العربية ولكي يؤدّي دوره في تحقيقها يجب عليه في هذه المرحلة من كفاحه أن يحافظ على شخصيته الفلسطينية ومقوماتها وأن ينمي الوعي بوجودها وأن يناهض أيًا من المشروعات التي من شأنها إذابتها أو إضعافها.

مادة 12 - الوحدة العربية وتحرير فلسطين هدفان متكاملان يهيّئ الواحد منها تحقيق الآخر فالوحدة العربية تؤدي إلى تحرير فلسطين وتحرير فلسطين يؤدي إلى الوحدة العربية والعمل لهما يسير جنبًا إلى جنب.

مادة 13 - إن مصير الأمة العربية بل الوجود العربي بذاته رهن بمصير القضية الفلسطينية ومن هذا الترابط ينطلق سعي الأمة العربية وجهدها لتحرير فلسطين ويكرم شعب فلسطين بدوره الطليعي لتحقيق هذا الهدف القومي المقدس.

مادة 14 - إن تحرير فلسطين من ناحية عربية هو واجب قومي تقع مسؤولياته كاملة على الأمة العربية بأسرها حكومات وشعوبًا وفي طليعتها الشعب العربي الفلسطيني ومن أجل ذلك فإن على الأمة العربية أن تعبئ جميع طاقاتها العسكرية والمادية والروحية في سبيل تحرير فلسطين وعليها بصورة خاصة أن تبذل للشعب العربي الفلسطيني العون والتأييد وتوفر الوسائل والفرص الكفيلة بتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه.

مادة 15 - إن تحرير فلسطين من ناحية روحية يهيّئ للبلاد المقدّسة جوًا من الطمأنينة والسكينة تصان في ظلاله جميع المقدّسات الدينية وتكفل حرية العبادة والزيارة للجميع من غير تفريق ولا تمييز سواء على أساس العنصر أو اللون أو اللغة أو الدين. ومن أجل ذلك فإن أهل فلسطين يتطلّعون إلى نصرة جميع القوى الروحية في العالم.

مادة 16 - إن تحرير فلسطين من ناحية دولية هو عمل دفاعي تقتضيه ضرورات الدفاع عن النفس كما نص عليه ميثاق الأمم المتحدة. ومن أجل ذلك فإن الشعب الفلسطيني الراغب في مصادقة جميع الشعوب يتطلّع إلى تأييد الدول المحبة للحرية والعدل والسلام لإعادة الأوضاع الشرعية إلى فلسطين وإقرار الأمن والسلام في ربوعها وتمكين أهلها من ممارسة السيادة الوطنية والحرية القومية.

مادة 17 - إن تقسيم فلسطين الذي جرى عام 1947 وقيام إسرائيل باطل من أساسه مهما طال عليه الزمن لمغايرته لإرادة الشعب الفلسطيني وحقه الطبيعي في وطنه ومناقضته للمبادئ العامة التي نص عليها ميثاق الأمم المتحدة وفي مقدمتها حق تقرير المصير.

مادة 18 - يعتبر باطلاً كلّ من وعد بلفور وصكّ الانتداب وما ترتب عليهما وأن دعوى الروابط التاريخية أو الروحية بين اليهود وفلسطين لا تتفق مع حقائق التاريخ ولا مع مقومات الدولة في مفهومها الصحيح وإن اليهودية بوصفها دينًا سماويًا ليست قومية ذات وجود مستقل وكذلك فإن اليهود ليسوا شعبًا واحدًا له شخصيته المستقلة وإنما هم مواطنون في الدول التي ينتمون إليها.

مادة 19 - الصهيونية حركة استعمارية في نشوئها، عدوانية وتوسّعية في أهدافها، عنصرية في تكوينها وفاشستية بمراميها ووسائلها؛ وإن إسرائيل بوصفها طليعة هذه الحركة الهدامة وركيزة للاستعمار مصدر دائم للقلق والاضطراب في الشرق الأوسط خاصة وللأسرة الدولية بصورة عامة ومن أجل ذلك فإن أهل فلسطين جديرون بعون الأسرة الدولية وتأييدها.

مادة 20 - إن دواعي الأمن والسلم ومقتضيات الحق والعدل تتطلّب من الدول جميعها حفظًا لعلاقة الصداقة بين الشعوب واستبقاءً لولاء المواطنين لأوطانهم أن تعتبر الصهيونية حركة غير مشروعة وتحرّم وجودها ونشاطها:

مادة 21 - يؤمن الشعب الفلسطيني بمبادئ العدل والحرية والسيادة وتقرير المصير والكرامة الإنسانية وحق الشعوب في ممارستها ويؤيّد جميع المساعي الدولية التي تهدف إلى إقرار السلم على أساس الحق والتعاون الدولي.

مادة 22 - يؤمن الشعب الفلسطيني بالتعايش السلمي على أساس الوجود الشرعي، إذ لا تعايش مع العدوان ولا سلم مع الاحتلال والاستعمار.

مادة 23 - تحقيقًا لأهداف هذا الميثاق ومبادئه تقوم منظّمة التحرير الفلسطينية بدورها الكامل في تحرير فلسطين وفق النظام الأساسي لهذه المنظّمة.

مادة 24 - لا تمارس هذه المنظّمة أية سيادة إقليمية على الضفة الغربية في المملكة الأردنية الهاشمية، ولا قطاع غزة، ولا منطقة الحمة، وسيكون نشاطها على المستوى القومي الشعبي في الميادين التحريرية والتنظيمية والسياسية والمالية.

مادة 25 - تكون هذه المنظّمة مسؤولة عن حركة الشعب الفلسطيني في نضاله من أجل تحرير وطنه في جميع الميادين التحريرية والتنظيمية والسياسية والمالية وسائر ما تتطلّبه قضية فلسطين على الصعيدَين العربي والدولي.

مادة 26 - تتعاون منظّمة التحرير مع جميع الدول العربية كلّ حسب إمكانياتها لا تتدخّل في الشؤون الداخلية لأية دولة عربية.

مادة 27 - يكون لهذه المنظّمة علم وقسم ونشيد ويقرر ذلك كلّ بموجب نظام خاص.

مادة 28 - يلحق بهذا الميثاق نظام يعرف بالنظام الأساسي لمنظّمة التحرير الفلسطينية تحدد فيه كيفية تشكيل المنظّمة وهيئاتها ومؤسساتها واختصاصات كلّ منها وجميع ما تقتضيه الواجبات الملقاة عليها بموجب هذا الميثاق.

مادة 29 - لا يعدّل هذا الميثاق إلا بأكثرية ثلثَي مجموع أعضاء المجلس الوطني لمنظّمة التحرير الفلسطينية في جلسة خاصة يدعى إليها من أجل هذا الغرض.

ملحق 4

الميثاق الوطني الفلسطيني

10-17 تموز/يوليو 1968

المادة 1:
فلسطين وطن الشعب العربي الفلسطيني وهي جزء لا يتجزأ من الوطن العربي الكبير، والشعب الفلسطيني جزء من الأمة العربية.

المادة 2:

فلسطين بحدودها التي كانت قائمة في عهد الانتداب البريطاني وحدة إقليمية لا تتجزّأ.

المادة 3:

الشعب العربي الفلسطيني هو صاحب الحق الشرعي في وطنه ويقرر مصيره بعد أن يتم تحرير وطنه وفق مشيئته وبمحض إرادته واختياره.

المادة 4:

الشخصية الفلسطينية صفة أصيلة لازمة لا تزول وهي تنتقل من الآباء إلى الأبناء وإن الاحتلال الصهيوني وتشتيت الشعب العربي الفلسطيني نتيجة النكبات التي حلّت به لا يفقدانه شخصيته وانتماءه الفلسطيني ولا ينفيانهما.

المادة 5:

الفلسطينيون هم المواطنون العرب الذين كانوا يقيمون إقامة عادية في فلسطين حتى عام 1947 سواء من أخرج منها أو بقي فيها، وكلّ من ولد لأب عربي فلسطيني بعد هذا التاريخ داخل فلسطين أو خارجها هو فلسطيني.

المادة 6:

اليهود الذين كانوا يقيمون إقامة عادية في فلسطين حتى بدء الغزو الصهيوني لها يعتبرون فلسطينيين.

المادة 7:

الانتماء الفلسطيني والارتباط المادي والروحي والتاريخي بفلسطين حقائق ثابتة، وإن تنشئة الفرد الفلسطيني تنشئة عربية ثورية واتخاذ كافة وسائل التوعية والتثقيف لتعريف الفلسطيني بوطنه تعريفًا روحيًا وماديًا عميقًا وتأهيله للنضال والكفاح المسلح والتضحية بماله وحياته لاسترداد وطنه حتى التحرير، واجب قومي.

المادة 8:

المرحلة التي يعيشها الشعب الفلسطيني هي مرحلة الكفاح الوطني لتحرير فلسطين، ولذلك فإن التناقضات بين القوى الوطنية هي من نوع التناقضات الثانوية التي يجب أن تتوقف لصالح التناقض الأساسي فيما بين الصهيونية والاستعمار من جهة وبين الشعب العربي الفلسطيني من جهة ثانية، وعلى هذا الأساس فإن الجماهير الفلسطينية سواء من كان منها في أرض الوطن أو في المهاجر تشكّل منظّمات وأفرادا جبهة وطنية واحدة تعمل لاسترداد فلسطين وتحريرها بالكفاح المسلّح.

المادة 9:

الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين وهو بذلك استراتيجية وليس تكتيكًا ويؤكّد الشعب العربي الفلسطيني تصميمه المطلق وعزمه الثابت على متابعة الكفاح المسلّح والسير قدمًا نحو الثورة الشعبية المسلّحة لتحرير وطنه والعودة إليه وعن حقه في الحياة الطبيعية فيه وممارسة حق تقرير مصيره فيه والسيادة عليه.

المادة 10:

العمل الفدائي يشكّل نواة حرب التحرير الشعبية الفلسطينية وهذا يقتضي تصعيده وشموله وحمايته وتعبئة كافة الطاقات الجماهيرية والعلمية الفلسطينية وتنظيمها وإشراكها في الثورة الفلسطينية المسلّحة وتحقيق التلاحم النضالي الوطني بين مختلف فئات الشعب الفلسطيني وبينها وبين الجماهير العربية ضمانًا لاستمرار الثورة وتصاعدها وانتصارها.

المادة 11:

يكون للفلسطينيين ثلاثة شعارات: الوحدة الوطنية، والتعبئة القومية، والتحرير.

المادة 12:

الشعب العربي الفلسطيني يؤمن بالوحدة العربية، ولكي يؤدّي دوره في تحقيقها يجب عليه في هذه المرحلة من كفاحه الوطني أن يحافظ على شخصيته الفلسطينية ومقوماتها، وأن ينمي الوعي بوجودها وأن يناهض أيا من المشروعات التي من شأنها إذابتها أو إضعافها.

المادة 13:

الوحدة العربية وتحرير فلسطين هدفان متكاملان يهيّئ الواحد منهما تحقيق الآخر، فالوحدة العربية تؤدّي إلى تحرير فلسطين وتحرير فلسطين يؤدّي إلى الوحدة العربية، والعمل لهما يسير جنبًا إلى جنب.

المادة 14:

مصير الأمة العربية بل الوجود العربي بذاته رهن بمصير القضية الفلسطينية، ومن الترابط ينطلق سعي الأمة العربية وجهدها لتحرير فلسطين. ويقوم شعب فلسطين بدوره الطليعي لتحقيق هذا الهدف القومي المقدّس.

المادة 15:

تحرير فلسطين من ناحية عربية هو واجب قومي لرد الغزوة الصهيونية والإمبريالية عن الوطن العربي الكبير ولتصفية الوجود الصهيوني في فلسطين، تقع مسؤولياته كاملة على الأمة العربية شعوبًا وحكومات وفي طليعتها الشعب العربي الفلسطيني. ومن أجل ذلك فإن على الأمة العربية أن تعبّئ جميع طاقاتها العسكرية والبشرية والمادية والروحية للمساهمة مساهمة فعالة مع الشعب الفلسطيني في تحرير

فلسطين، وعليها بصورة خاصة في مرحلة الثورة الفلسطينية المسلّحة القائمة الآن أن تبذل وتقدّم للشعب الفلسطيني كلّ العون وكلّ التأييد المادي والبشري وتوفّر له كلّ الوسائل والفرص الكفيلة بتمكينه من الاستمرار للقيام بدوره الطليعي في متابعة ثورته المسلحة حتى تحرير وطنه.

المادة 16:

تحرير فلسطين من ناحية روحية، يهيّئ للبلاد المقدّسة جوًا من الطمأنينة والسكينة تصان في ظلاله جميع المقدّسات الدينية وتكفل حرية العبادة والزيارة للجميع من غير تفريق ولا تمييز سواء على أساس العنصر أو اللون أو اللغة أو الدين، ومن أجل ذلك فإن أهل فلسطين يتطلّعون إلى نصرة جميع القوى الروحية في العالم.

المادة 17:

تحرير فلسطين من ناحية إنسانية، يعيد إلى الإنسان الفلسطيني كرامته وعزته وحريته، لذلك فإن الشعب العربي الفلسطيني يتطلّع إلى دعم المؤمنين بكرامة الإنسان وحريته في العالم.

المادة 18:

تحرير فلسطين من ناحية دولية، هو عمل دفاعي تقتضيه ضرورات الدفاع عن النفس، من أجل ذلك فإن الشعب الفلسطيني الراغب في مصادقة جميع الشعوب يتطلّع إلى تأييد الدول المحبة للحرية والعدل والسلام لإعادة الأوضاع الشرعية إلى فلسطين وإقرار الأمن والسلام في ربوعها، وتمكين أهلها من ممارسة السيادة الوطنية والحرية القومية.

المادة 19:

تقسيم فلسطين الذي جرى عام 1947 وقيام إسرائيل باطل من أساسه مهما طال عليه الزمن لمغايرته لإرادة الشعب الفلسطيني وحقه الطبيعي في وطنه ومناقضته للمبادئ التي نص عليها ميثاق الأمم المتحدة وفي مقدّمتها حق تقرير المصير.

المادة 20:

يعتبر باطلاً كلّ من تصريح بلفور وصكّ الانتداب وما ترتب عليهما، وإن دعوى الترابط التاريخية أو الروحية بين اليهود وفلسطين لا تتّفق مع حقائق التاريخ ولا مع مقومات الدولة في مفهومها الصحيح، وإن اليهودية بوصفها دينًا سماويًا ليست

قومية ذات وجود مستقل وكذلك فإن اليهود ليسوا شعبًا واحدًا له شخصيته المستقلّة وإنما هم مواطنون في الدول التي ينتمون إليها.

المادة 21:

الشعب العربي الفلسطيني معبرًا عن ذاته بالثورة الفلسطينية المسلّحة، يرفض كلّ الحلول البديلة عن تحرير فلسطين تحريرًا كاملاً ويرفض كلّ المشاريع الرامية إلى تصفية القضية الفلسطينية أو تدويلها.

المادة 22:

الصهيونية حركة سياسية مرتبطة ارتباطًا عضويًا بالإمبريالية العالمية ومعادية لجميع حركات التحرّر والتقدم في العالم، وهي حركة عنصرية تعصّبية في تكوينها، عدوانية توسّعية استيطانية في أهدافها، وفاشية نازية في وسائلها، وإن إسرائيل هي أداة الحركة الصهيونية وقاعدة بشرية جغرافية للإمبريالية العالمية ونقطة ارتكاز ووثوب لها في قلب أرض الوطن العربي لضرب أماني الأمة العربية في التحرير والوحدة والتقدّم. إن إسرائيل مصدر دائم لتهديد السلام في الشرق الأوسط والعالم أجمع، ولما كان تحرير فلسطين يقضي على الوجود الصهيوني والإمبريالي فيها ويؤدّي إلى استتباب السلام في الشرق الأوسط، لذلك فإن الشعب الفلسطيني يتطلّع إلى نصرة جميع أحرار العالم وقوى الخير والتقدّم والسلام فيه ويناشدهم جميعًا على اختلاف ميولهم واتجاهاتهم تقديم كلّ عون وتأييد له في نضاله العادل المشروع لتحرير وطنه.

المادة 23:

دواعي الأمن والسلم ومقتضيات الحق والعدل تتطلّب من الدول جميعها، حفظًا لعلاقات الصداقة بين الشعوب واستبقاء لولاء المواطنين لأوطانهم أن تعتبر الصهيونية حركة غير مشروعة وتحرّم وجودها ونشاطها.

المادة 24:

يؤمن الشعب العربي الفلسطيني بمبادئ العدل والحرية والسيادة وتقرير المصير والكرامة الإنسانية وحق الشعوب في ممارستها.

المادة 25:

تحقيقًا لأهداف هذا الميثاق ومبادئه تقوم منظّمة التحرير الفلسطينية بدورها الكامل في تحرير فلسطين.

المادة 26:

منظّمة التحرير الفلسطينية الممثّلة لقوى الثورة الفلسطينية مسؤولة عن حركة الشعب العربي الفلسطيني في نضاله من أجل استرداد وطنه وتحريره والعودة إليه وممارسة حق تقرير مصيره، في جميع الميادين العسكرية والسياسية والمالية وسائر ما تتطلّبه قضية فلسطين على الصعيدَين العربي والدولي.

المادة 27:

تتعاون منظّمة التحرير الفلسطينية مع جميع الدول العربية كلّ حسب إمكانياتها وتلتزم بالحياد فيما بينها في ضوء مستلزمات معركة التحرير وعلى أساس ذلك، ولا تتدخّل في الشؤون الداخلية لأية دولة عربية.

المادة 28:

يؤكّد الشعب العربي الفلسطيني أصالة ثورته الوطنية واستقلاليتها ويرفض كلّ أنواع التدخّل والوصاية والتبعية.

المادة 29:

الشعب العربي الفلسطيني هو صاحب الحق الأول والأصيل في تحرير واسترداد وطنه ويحدد موقفه من كافة الدول والقوى على أساس مواقفها من قضيته ومدى دعمها له في ثورته لتحقيق أهدافه.

المادة 30:

المقاتلون وحملة السلاح في معركة التحرير هم نواة الجيش الشعبي الذي سيكون الدرع الواقي لمكتسبات الشعب العربي الفلسطيني.

المادة 31:

يكون لهذه المنظّمة علم وقسم ونشيد ويقرر ذلك كلّه بموجب نظام خاص.

المادة 32:

يلحق بهذا الميثاق نظام يعرف بالنظام الأساسي لمنظّمة التحرير الفلسطينية تحدد فيه كيفية تشكيل المنظّمة وهيئاتها ومؤسساتها واختصاصات كلّ منها وجميع ما تقتضيه الواجبات الملقاة عليها بموجب هذا الميثاق.

المادة 33:

لا يعدّل هذا الميثاق إلا بأكثرية ثلثي مجموع أعضاء المجلس الوطني لمنظّمة التحرير الفلسطينية في جلسة خاصة يدعى إليها من أجل هذا الغرض.

ملحق 5

تعديل الميثاق الوطني الفلسطيني

24 نيسان/إبريل 1996

إن المجلس الوطني إذ ينعقد في دورته الحادية والعشرين، وإذ ينطلق من وثيقة إعلان الاستقلال والبيان السياسي المعتمدين في الدورة التاسعة عشرة المنعقدة في الجزائر في 15 نوفمبر (تشرين الثاني) 1988 والتي نصت على اعتماد حلّ لدولتين وأكدت مبدأ حلّ النزاعات بالطرق السلمية، وإذ يستند إلى مقدمة اتفاق إعلان المبادئ الموقع في واشنطن في 13 سبتمبر (أيلول) والتي تضمّنت اتفاق الطرفين على أن الوقت قد حان لإنهاء عقود من المواجهة والنزاع والاعتراف بحقوقهما السياسية المشروعة المتبادلة والسعي إلى العيش في ظل تعايش سلمي وبكرامة وأمن متبادلين ولتحقيق تسويه سلمية عادلة ودائمة وشاملة ومصالحة تاريخية من خلال العملية السياسية المتفق عليها، وإذ يستند إلى الشرعية الدولية المتمثلة في قرارات الأمم المتحدة الخاصة بقضية فلسطين، بما فيها المتعلّقة بالمستوطنات والقدس واللاجئين وبقية قضايا المرحلة النهائية وتطبيق القرارين (242 و338)، وإذ يؤكّد التزامات منظّمة التحرير الفلسطينية الواردة في اتفاق إعلان المبادئ في أوسلو والاتفاق الموقع في القاهرة ورسائل الاعتراف الموقعة في 9 و10 سبتمبر (أيلول) 1993 والاتفاق الإسرائيلي-الفلسطيني المرحلي حول الضفة الغربية وقطاع غزة (أوسلو 2) الموقع في واشنطن في 28 سبتمبر (أيلول) 1995 وقرار المجلس المركزي لمنظّمة التحرير الفلسطينية في أكتوبر (تشرين الأول) 1993 الذي وافق على اتفاق أوسلو وجميع ملحقاته، وإذ يستند إلى المبادئ التي انعقد على أساسها مؤتمر مدريد للسلام ومفاوضات واشنطن، يقرّر:

أولاً: تعديل الميثاق الوطني وإلغاء المواد التي تتعارض مع الرسائل المتبادلة بين منظّمة التحرير الفلسطينية وحكومة إسرائيل يومَي 9 و10 سبتمبر (أيلول) 1993.

ثانيًا: يكلّف المجلس الوطني الفلسطيني اللجنة القانونية إعادة صوغ الميثاق الوطني ويتم عرضه على المجلس المركزي في أول اجتماع له.

ملحق 6

المصادقة على بنود الميثاق الوطني الفلسطيني الجديد

غزة، 1998/12/14

صادق أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني في غزة (وبحضور الرئيس الأميركي بيل كلنتون) على إلغاء مواد الميثاق الوطني الفلسطيني التي تدعو إلى القضاء على دولة إسرائيل وتعديل بعضها الآخر التزامًا باتفاق واي بلانتيشن. والمواد الملغاة هي 6 و7 و8 و9 و10 و15 و19 و20 و21 و22 و23 و30. أما المواد التي حذفت منها مقاطع فهي 1 و2 و3 و4 و5 و11 و12 و13 و14 و16 و17 و18 و25 و26 و27 و29[468].

468 لم أعثر على أي نص منشور للميثاق المعدل كي أقارن المواد التي حذفت منها بعض المقاطع في الميثاق الجديد مع المواد الأصلية في الميثاق القديم.

ملحق 7

المبادئ الاساسية لحركة فتح

المادة 1 - فلسطين جزء من الوطن العربي والشعب الفلسطيني جزء من الأمة العربيه وكفاحه جزء من كفاحها.

المادة 2 - الشعب الفلسطيني صاحب الحق الطبيعي والشرعي في فلسطين وهو ذو شخصية مستقلّة ويملك وحده حق تقرير مصيره واستلام زمام قضيته دون وصاية أو تبعية أو توجيه وله السيادة المطلقة على جميع أراضيه.

المادة 3 - الثورة الفلسطينية طليعة الأمة العربيه في معركة تحرير فلسطين.

المادة 4 - نضال الشعب الفلسطيني جزء من النضال المشترك لشعوب العالم ضد الصهيونية والاستعمار والإمبريالية العالمية.

المادة 5 - معركة تحرير فلسطين واجب قومي تسهم فيه الأمة العربية بكافة إمكانياتها وطاقاتها المادية والمعنوية.

المادة 6 - المشاريع والاتفاقات والقرارات التي صدرت أو تصدر عن هيئة الأمم المتحدة أو أية مجموعة من الدول أو أي دولة منفردة بشأن قضية فلسطين والتي تهدر حق الشعب الفلسطيني في وطنه باطلة ومرفوضة.

المادة 7 - الصهيونية حركة عنصرية استعمارية عدوانية في الفكر والأهداف والتنظيم والأسلوب.

المادة 8 - الوجود الإسرائيلي في فلسطين هو غزو صهيوني عدواني وقاعدة استعمارية توسعية وحليف طبيعي للاستعمار والإمبريالية العالمية.

المادة 9 - تحرير الديار المقدسة والدفاع عن حرماتها واجب عربي وإسلامي وإنساني.

المادة 10 - حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) حركة وطنية ثورية مستقلّة وهي تمثّل الطليعة الثورية للشعب الفلسطيني.

المادة 11 - الجماهير التي تخوض الثورة وتقوم بالتحرير هي صاحبة الأرض ومالكة فلسطين.

الأهداف

المادة 12 - تحرير فلسطين تحريرًا كاملاً وتصفية دولة الاحتلال الصهيوني اقتصاديًا وسياسيًا وعسكريًا وثقافيًا.

المادة 13 - إقامة دولة فلسطينية ديمقراطية مستقلّة ذات سيادة على كامل التراب الفلسطيني وتحفظ للمواطنين حقوقهم الشرعية على أساس العدل والمساواة دون تمييز في العنصر أو الدين والعقيدة وتكون القدس عاصمة لها.

المادة 14 - بناء مجتمع تقدّمي يضمن حقوق الإنسان ويكفل الحريات العامة لكافة المواطنين.

المادة 15 - المشاركة الفعالة في تحقيق أهداف الأمة العربية في تحرير أقطارها وبناء المجتمع العربي التقدّمي الموحّد.

المادة 16 - مساندة الشعوب المضطهدة في كفاحها لتحرير أوطانها وتقرير مصيرها من أجل بناء صرح السلام العالمي على أسس عادلة.

الأسلوب

المادة 17 - الثورة الشعبية المسلحة هي الطريق الحتمي الوحيد لتحرير فلسطين.

المادة 18 - الاعتماد على الشعب الفلسطيني كطليعة وأساس، وعلى الأمة العربية كشريك في المعركة وتحقيق التلاحم الفعلي بين الأمة العربية والشعب العربي الفلسطيني بإشراك الجماهير العربية في المعركة من خلال الجبهة العربية الموحدة.

المادة 19 - الكفاح المسلّح استراتيجية وليس تكتيكًا والثورة المسلّحة للشعب العربي الفلسطيني عامل حاسم في معركة التحرير وتصفية الوجود الصهيوني ولن يتوقف هذا الكفاح إلا بالقضاء على الكيان الصهيوني وتحرير فلسطين.

المادة 20 - السعي للقاء كلّ القوى الوطنية العاملة على أرض المعركة من خلال العمل المسلّح لتحقيق الوحدة الوطنية.

المادة 21 - العمل على إبراز الشخصية الفلسطينية بمحتواها النضالي الثوري في الحقل الدولي وهذا لا يتعارض ولا يتناقض مع الارتباط المصيري بين الأمة العربية والشعب الفلسطيني.

المادة 22 - مقاومة كلّ الحلول السياسية المطروحة كبديل عن تصفية الكيان الصهيوني المحتل في فلسطين، وكلّ المشاريع الرامية إلى تصفية القضية الفلسطينية أو تدويلها أو الوصاية على شعبها من أية جهة.

المادة 23 - إقامة علاقات مع الدول العربية تهدف إلى تطوير الجوانب الإيجابية في مواقف هذه الدول بشرط أن لا يتأثّر بذلك الكفاح المسلّح واستمراره وتصاعده.

المادة 24 - إقامة أوثق الصلات مع القوى التحرّرية في العالم لمناهضة الصهيونية والإمبريالية والتي تدعم كفاحنا المسلّح العادل.

المادة 25 - العمل على إقناع الدول المعنية في العالم بوقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين كاسهام منها في حلّ المشكلة.

المادة 26 - عدم الزج بقضية فلسطين في الخلافات العربية والدولية واعتبار القضية فوق أي خلاف.

المادة 27 - حركة فتح لا تتدخّل في الشؤون المحلّية للدول العربية ولا تسمح لأحد بالتدخل في شؤونها بعرقلة كفاح الشعب الفلسطيني لتحرير وطنه.

من فتح إلى حماس:
البدايات الإخوانية والنهايات الوطنية

لكأنّ في هذا البحث التاريخي السياسيّ العلميّ الدقيق الذي يكشف بدايات حركتَي فتح وحماس، ثمّ التحوّلات الفكرية والسياسية التي شهدتها الحركتان بالاتّجاه عينه، شيئًا من ملامسة لمذهب فلسفة التاريخ. وإذا كانت التحوّلات الكبيرة في الوثيقة السياسية لحماس، لم تبلغ حدود التبدّلات الجذرية التي أخذتها القيادات الإخوانية الشابّة في غزّة قبل ستة عقود، يوم قرّرت تأسيس فتح، فإنّ خياراتها السياسية المتجدّدة من شأنها أن تفتح الباب أمام منعطفات جديدة ستتحكّم بها مجريات السياسات الكبرى في منطقة الشرق الأدنى.

يُظهِر هذا الكتاب الذي يستعيد أحداثًا وحركيات شديدة الأهمية عن نشأة فتح وحماس -بعضها يُنشَر للمرّة الأولى نتيجة جهد شخصي للمؤلّف الذي عايش العديد من الآباء المؤسّسين لهما- طوتها الأحداث الكبيرة التي عرفتها المنطقة، تأثيرَ الظروف السياسية واللاعبين الكبار على الخيارات العقائدية والسياسية للحركات السياسية. وخير تعبير عن ذلك الفكرة التي تزعّمها أبو جهاد ورفاقه ذات يوم:

«إذا بقينا ننادي بالإسلام، فإننا نعرّض أنفسنا لنقمة جمال عبد الناصر، وغيره من الزعماء العرب، بل والعالم أجمع، أما إذا نادينا بتحرير فلسطين، فإنّ جميع العرب سيقفون إلى جانبنا».



الدكتور سعود نعمه المولى من مواليد بيروت ١٩٥٣؛ حاصل على الدكتوراه في الحضارة الإسلامية والدراسات الإسلامية من جامعة السوربون، باريس شباط ١٩٨٤.

من أبرز مؤلّفاته: الحوار الإسلامي-المسيحي: ضرورة المغامرة ١٩٩٦، العدل في العيش المشترك ٢٠٠٣، الشيعة اللبنانيون في تبلوّر وعيهم الوطني ٢٠٠٨، الجماعات الإسلامية والعنف: موسوعة تاريخية-سوسيولوجية ٢٠١١، في الحوار والمواطنة والدولة المدنية ٢٠١٢، الحوثيون واليمن الجديد ٢٠١٤، السلفية والسلفيون الجدد: من أفغانستان إلى لبنان، ٢٠١٦.

ومن ترجماته: ميرتشيا الياده: البحث عن التاريخ والمعنى في الدين ٢٠٠٧، ميشال دوبوا: مدخل إلى علم اجتماع العلوم ٢٠٠٨، لورنس لوير: السياسة الشيعية العابرة للأوطان: الشبكات الدينية والسياسية في الخليج ٢٠١٤.

ISBN 978-614-451-084-1

